عالم المعرفة

الأيديولوجية الصهيونية

دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة

الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري

القسم الثاني

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

الأيديولوجية الصهيونية

دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة

الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري

القسم الثاني

٦١ - ربيع الاول - ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ م

المراسلات:

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب/ ٢٣٩٩٦ - الكويت.

الأيديولوجية الصهيونية

دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة

الفصل التاسع

الصهيونية واليهود

الصهيونية واليهود

تنطلق الصهيونية من رفض لليهودية دينا ، ولليهود مواطنين وأفراداً يحيا كل واحد منهم حياته بحسب انتمائه الطبقي أو الحضاري ، وتطرح ، بدلاً من ذلك ، نسقاً أيديولوجياً يتسم بالتجريد والاطلاق في موقفه من التاريخ ومن الإنسان ومن الأرض . ويترجم هذا التجريد عن نفسه في فكرة اليهودي الخالص ، الذي يعيش في أرض يهودية خالصة (أرض الميعاد) ، وإذا كان التجريد ، وتجاهل الحقائق ، وخلع الإطلاق على ظواهر نسبية هي ضرب من ضروب العنف النظري ، فهذا العنف النظري لا بد أن يترجم عن نفسه في عنف فعلي . وهذا ما حدث فعلا ، فتاريخ الصهيونية هو تاريخ عنف موجه ضد اليهود (والعرب) يختلف في درجات حدته حسب الزمان والمكان ابتداء من محاولة خلخلة وضع اليهود القانوني في المنفى ، ومرورا بالحملات المعادية للسامية ضدهم ، وانتهاء بالعنف المسلح وبالتعاون مع النازي .

الوضع القانوني :

قد يكون من المفيد أن نعيد إلى الأذهان الفقرة الخاصة بيهود المنفى في وعد بلفور ، التي جاء فيها أنه لن يتم فعل أي شيء يكون من شأنه الإخلال « بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في أي دولة أخرى » ، وقد أضيفت هذه الفقرة نتيجة لضغط أعضاء الأقلية اليهودية في بريطانيا ، الذين كانوا يخشون أن يتحولوا ، بالضرورة ، إلى مواطنين في الدولة اليهودية ، وبالتالي إلى أجانب في أوطانهم .

ولكن الدولة الصهيونية تصر على أنها ليست قاصرة على مواطنيها فحسب ، وإنما هي دولة للشعب اليهودي بأسره ، داخل حدودها

وخارجها ، ومما له دلالته أن بيان إعلان قيام الدولة الصهيونية (عام ١٩٤٨) قد تم عن طريق مجلس قومي يتحدث باسم كل اليهود ، سواء في فلسطين أم في خارجها .

وبن جوريون نفسه - في عدد أغسطس سنة ١٩٦٢ من جويش فرانتير- وصف إسرائيل بأنها « دولة الشعب اليهودي كله »[١] .

وقد أصدرت الدولة الصهيونية قوانين كثيرة ، وأقامت هيئات مختلفة بهدف ترجمة مفهوم الشعب اليهودي إلى واقع قائم . ومن أهم هذه القوانين « قانون العودة » ، الذي يمنح « جميع » اليهود حق مغادرة مسقط رأسهم و« العودة » إلى وطنهم القومي . وتعمل المنظمة الصهيونية العالمية على تكريس الوحدة اليهودية دون أي مراعاة للحدود الوطنية للدول المختلفة . ويحدد « ميثاق » المنظمة مهمتها بأنها « لم شمل المنفيين في أرض إسرائيل التاريخية ، وتدعيم وحدة الشعب اليهودي »[٢] .

وتدعو كل من الدولة الصهيونية والمنظمة الصهيونية العالمية الى المثل نفسها ، وتعملان على تحقيق الأهداف نفسها ، وفي إطار مفهوم واحد خاص بالقومية اليهودية . وعندما حاولتا وضع مثلهما الأعلى موضع التنفيذ ، اعترضتهما بعض الصعوبات ، حيث إن الدولة الصهيونية تقع -جغرافيا - في الشرق الأوسط في حين تتوزع الأغلبية العظمى من « المنفيين » في جميع أنحاء العالم . وحيث إن الدولة لا تستطيع الوصول إلى « شعبها » ، نظرا « لضآلة سلطتها خارج حدودها » ، كما قال بن جوريون في إحدى المناسبات ، فان المنظمة الصهيونية العالمية ، التي « تمتلك الفرصة والقدرة على القيام بما قد لا يمكن للدولة القيام به ، ستكون بمثابة حلقة الوصل بين الدولة ويهود الشتات »[٣] .

وتأسيسا على هذا الهدف الصهيوني / الإسرائيلي ، وعلى هذا الأسلوب في العمل ، فان ميثاق المنظمة الصهيونية العالمية يتحدث عن واجبات المنظمة تجاه الدولة ، مثل « تقوية دولة إسرائيل » ، و« تعبئة الرأي العام العالمي » لتأييدها ، ووردت بالميثاق أيضا إشارة إلى « الأنشطة التي تتم خارج إسرائيل » ، وحتى بعد قيام الدولة سنة ١٩٤٨ لا تزال المنظمة الصهيونية العالمية هي اليد الطولى للدولة في محاولة الوصول إلى الجاليات اليهودية في الدول الأخرى[٤] .

ولإيجاد شكل رسمي منظم لهذه العلاقة الشاذة بين دولة مستقلة ومنظمة تعمل نيابة عنها في دول أخرى ذات سيادة ؛ أصدرت إسرائيل سنة ١٩٥٢ قانون « الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية » ، الذي يتضمن الاعتراف بالمنظمة بوصفها « وكالة مرخصا لها بالعمل في دولة إسرائيل من أجل تنمية وتعمير البلاد » . وجاء في الاتفاقية التي أبرمت بين الدولة والمنظمة الصهيونية العالمية ـ التي استهدفت تفسير القانون المشار إليه ـ أن من المهام الموكلة للمنظمة « تنظيم الهجرة في الخارج »، و« نقل المهاجرين وممتلكاتهم إلى إسرائيل » ، و« تعبئة كافة الموارد لتمويل هذه الأنشطة (الصهيونية) داخل إسرائيل » . وقانون الوضع القانوني للمنظمة ـ الذي وصفه بن جوريون بأنه مكمل لقانون العودة ولا يقل أهمية عنه ـ قائم هو الآخر على فكرة الشعب اليهودي[٥] .

ولا يقتصر الالتزام بفكرة الشعب اليهودي ـ بالمعنى السياسي للكلمة ـ على القوانين والهيئات ، بل يتخذ أشكالا أخرى مباشرة وأقل تجريدا ، مثل التصريحات القوية التي يدلي بها المسئولون الاسرائيليون ، بل قد يصل الأمر إلى حد التدخل المباشر في شئون

يهود الشتات ، وهناك الكثير من التصريحات الاسرائيلية / الصهيونية التي تضمنت إشارات إلى وجود علاقة عضوية تربط اليهود بالدولة والوطن القومي اليهوديين . ففي إحدى المناسبات قال يوسف تكواه مندوب إسرائيل السابق لدى الامم المتحدة ، إن مستقبل اليهود في امريكا ومستقبل يهود إسرائيل « مرتبطان ارتباطا حتميا »(٦) وكتب بن جوريون عن وجود « رابطة لا تنفصم عراها بين دولة إسرائيل والشعب اليهودي . . رابطة الحياة والموت . . ووحدة المصير والغاية »(٧) .

وتظهر الدلالة السياسية لمثل هذه الأقوال ، حين تترجم الى افعال . فعلى سبيل المثال ، صرح بن جوريون أمام لجنة العمل الصهيوني بأنه « ينبغي ان يكون لدى الصهاينة ؛ في الدول الاخرى ، الشجاعة الكافية لتأييد دولة (إسرائيل) حتى عندما تقف دولهم ضدها »(٨) . واشار بن جوريون إلى انه عندما يقول يهودي ليهودي آخر « حكومتنا » فانه يعني حكومة اسرائيل دائما . بل إنه ادعى ان « عامة اليهود في مختلف الدول ينظرون إلى السفير الاسرائيلي على انه يقوم بتمثيلهم »(٩) وكانت جولدا مائير على نفس الدرجة من الصراحة ، ففي إحدى المناسبات ، إبان توليها وزارة الخارجية ، أكدت أن من بين مسؤوليات الدبلوماسيين الاسرائيليين أن يظلوا على اتصال مستمر بالمنظمات الصهيونية المحلية ، وأن يعملوا بالتعاون معها(١٠) .

والمبدأ الكامن وراء هذه الأقوال هو استقلالية اليهود القومية وانعزاليتهم ، وقد وصل الأمر بالحاخام موردخاي كابلان ، أحد كبار الصهاينة الأميركيين ومؤسس حركة اعادة البناء ، إلى حد المطالبة بالاعتراف قانونا « بيهود العالم كشعب واحد » ، حتى

يستعيدوا « وضعهم القانوني الجمعي » الذي « أضعفته حركة الانعتاق وفلسفة التنوير اللتان وضعتا نهاية لعزلة اليهود »[١١] .

ومثل هذا المنطق خطير لأقصى حد ، لأن الجهود الرامية للدفاع عن الحقوق المدنية أو السياسية لليهود . أو لأي أقلية اخرى في المجتمع ، لا يمكن أن تكلل بالنجاح إلا على أساس المطالبة بالحرية الفردية لأعضاء هذه الأقلية ، وليس على أساس المطالبة باستقلالها القومي . ومن الواضح أن الافتراض الصهيوني الخاص بوجود شخصية يهودية قومية مشتركة بين كل يهود العالم ليس في صالحهم ، لأنه يجعل منهم غرباء ومواطنين مؤقتين في أوطانهم ، ويضعف من شرعية مطالبتهم بالمساواة أمام القانون ، ولكن هذا هو الهدف الصهيوني ، لأنه إذا تحققت العدالة لليهود ، أينما وجدوا ، فان هذا يعني إفلاس الصهيونية .

وقد رفض غاندي فكرة الشعب اليهودي ، وميز بين حقوق الأفراد من جهة ، واستقلال الأقليات ، من جهة اخرى ، فنجده يصر على ضرورة « ان يلقى اليهود معاملة عادلة ، أيا كان المكان الذي يولدون أو ينشأون فيه . فاليهود الذين يولدون في فرنسا فرنسيون ، تماما كما أن المسيحي الذي يولد في فرنسا فرنسي » . ثم بين غاندي الخطر الكامن في المنطق الصهيوني ، عندما تساءل : « إذا لم يكن لليهود وطن غير فلسطين ، فهل ستسعدهم فكرة أن يكونوا مجبرين على مغادرة أجزاء العالم الأخرى التي يحيون فيها ؟ أم أنهم يريدون أن يكون لهم وطنان يحيون في أي منهما كما يتراءى لهم ؟ » وأخيرا ، بين غاندي النتيجة المنطقية والحتمية للرؤ ية الصهيونية : « إن الدعوة للوطن القومي (اليهودي) تقدم تسويغا لطرد ألمانيا لليهود »[١٢] .

ولم تكن كلمات غاندي تصويرا مبالغا فيه للموقف ، فقد استفاد النازيون فعلا ، وإلى اقصى حد من مزاعم الصهيونية وافتراضاتها . ففي المناطق التي سيطر عليها النازيون في أوروبا ، كان شعارهم هو : « ليخرج اليهود إلى فلسطين » . وكان النازيون يقبلون فكرة وحدة اليهود التي تتجاوز الحدود السياسية ، مثل الصهاينة تماما ، ولذا أرادوا أن يصبح اليهود مجرد كيان قومي منعزل ، « أجانب موضوعون تحت الحماية » يمكن السماح لهم بالعمل أطباء أو معلمين مؤقتا(١٣) طالما أنهم في طريقهم إلى وطنهم القومي . وقد تنبأ هرتزل بكثير من المعاني المعادية الكامنة في فكرة أن « اليهود يكونون شعبا واحدا » (آين فولك) ، وكان مدركا أن مثل هذه الفكرة قد تعوق استيعاب اليهود ، وقد تعرض وضعهم القانوني للخطر ، حتى بعد اندماجهم في مجتمعاتهم ، بل قد تكون « بمثابة مساعدة للمعادين للسامية »(١٤) . لكنه كان يعلم ، تمام العلم ، أن هذه الفكرة هي جوهر الصهيونية .

الخلاص الجبري :

على الرغم من الادعاءات والدعاوى الصهيونية ، فقد تم - في واقع الأمر - اندماج الأغلبية العظمى من يهود العالم ، وحيث إن الصهيونية ترى أن حياة اليهود في الشتات شبه مؤقتة ، وان الاندماج شيء ينبغي تجنبه ، فلا غرو ان المؤسسة الصهيونية تبدي نفاذ صبر ملحوظ ازاء « فشل » اليهود الواضح ، في جميع انحاء العالم ، في أن يرقوا الى مستوى المجردات الصهيونية بالهجرة الى أرض الميعاد ! .

وقد وصف مسئول بوزارة استيعاب المهاجرين الاسرائيلية تقاعس يهود الشتات عن الهجرة بقوله : إننا نجد أنفسنا مضطرين

لسحب كل مهاجر جديد الى اسرائيل وكأنه « بغل حرون » ثم حذر من ان اسرائيل قد تلجأ الى التدخل الجراحي (أي الذي يشبه العملية الجراحية)[١٥] .

وعقب قيام اسرائيل مباشرة ، أعرب بن جوريون عن خيبة أمله لعدم تدفق ابناء الشعب اليهودي « المنفيين » على اسرائيل ، وقال إنه من واجب « الجيل الحالي أن يخلص يهود الدول العربية والأوروبية »[١٦] وتعني عملية الخلاص هذه ـ من الوجهة العملية ـ فرض السيطرة السياسية والصهيونية على اليهود بأي ثمن ، واجبارهم على اعتناق رؤ ية للحياة والتاريخ قد لا يقبلونها بالضرورة . « فتخليص » الجاليات اليهودية ، في المصطلح الصهيوني ، إن هو الا طريقة أخرى للقول بضرورة إكراههم « أو حتى اخضاعهم للرؤ ية الصهيونية »[١٧] ـ على حد قول الحاخام جاكوب أ . بينوتشوفسكي . ان الصهيونية تحاول التحكم في مصير الأقليات اليهودية في العالم ، باسم مركزية إسرائيل في حياة الشتات ، وذلك عن طريق التدخل في شئونهم دون استشارتهم . ففي يونيو سنة ١٩٦٠ بعثت جولدا مائير ـ بوصفها وزيرة لخارجية اسرائيل ـ رسائل رسمية إلى بعض الحكومات الغربية احتجاجا على بعض الأحداث التي تنطوي على معاداة السامية والتي وقعت في تلك الدول ، وقد امتدحت وسائل الاعلام الاسرائيلية هذا الإجراء باعتباره عملا تاريخيا يمنح إسرائيل سلطة حماية اليهود في كل مكان . لكن يهود الغرب نظروا الى نوايا اسرائيل الطيبة تجاههم بكثير من التشكك ، وضاقت بهذا الامر بعض الدوائر اليهودية الأميركية ، كما عبرت الصحافة اليهودية البريطانية عن استيائها[١٨] .

ولكن التدخل فى الشؤون الداخلية ليهود الشتات لا يتخذ دائما

مثل هذا الشكل الدبلوماسي ، ولعل التدخل الصهيوني في شئـون اليهود العرب خير شاهد على هذا . لقد نال اليهود العرب ـ تاريخيا ـ حصتهم من السعادة والشقاء، مثلهم في هذا مثل أية أقلية أخرى في العالـم ، وكان وضعهـم يختلف من دولـة عربية لأخـرى ، تبعـا للظروف الاقتصادية والثقافية السائدة ، وهو الامر الذي أشار اليه شلومو إفنيري المدير العام السابق بوزارة الخارجية الإسرائيلية [١٩] . ولكن ، انطلاقا من الرؤ ية الصهيونية لم يكن من الممكن ترك اليهود العرب وشأنهم ، لأنه كان من الضروري تحقيق « خلاصهم » على الطريقة الصهيونية .

ولكي نفهم التهديد الذي كان ينطوي عليه النشاط الصهيوني بين اليهود في العالم العربي فهما تامـا فلا بد من النظـر إليه على ضوء خلفيته التاريخية المحددة ، فقد حاولت القوى الاستعمارية أن تجعل الأقليات في العالم العربي ، بما فيها اليهود ، تنضوي تحت لوائها . وكان من بـين الأسـاليب التـي اتبعـت في هذا المضمار فتـح آفـاق وخيارات غير متاحة للشعب كله أمام الاقليات . ومن أمثلة هذا منح الجنسية الفرنسية ليهود الجزائـر طبقـا لمرسـوم كريميبه الصـادر سنـة ١٨٧٠ ، وقبيل انـدلاع ثورة الجزائـر سنـة ١٩٥٤ كانـت الأغلبية العظمى منهم قد أصبحوا يهودا فرنسيين . ولـم يأت عام ١٩٤٧ إلا وكان ٢٠٪ فقـط من اليهـود المصريين مواطنـين مصريين [٢٠] ، أمـا بقيتهم فقد فضلوا إما أن يظلوا مواطنين لدول غربية ، أو بلا انتماء لأي دولة . وعجل تدفـق اليهـود الاشكنـار من مختلف دول شرق أوروبا بعملية تحويل اليهود العرب إلى مواطنين غربيين ، وعزلهـم عن مجتمعهم ، ففي سنة ١٨٣٥ ، كان عدد اليهود المصريين خمسة آلاف ، وارتفع هذا الرقم إلى ٢٥ ألفا سنة ١٨٩٧ ، وكانت الزيادة

ترجع ، أساسا ، إلى الهجرة من الخارج ، وقد تمت عملية « التغريب » هذه إبان السيطرة الاستعمارية الغربية على العالم العربي ومقاومة العرب لها .

وقد بدأ الصهاينة نشاطهم ، « نيابة عن » اليهود العرب ، بتأييد كامل من القوى الاستعمارية . فقد تعاونت حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين مع المستوطنين الصهاينة على حساب عرب فلسطين . وفي العراق ، حصلت الجمعية الصهيونية سنة ١٩٢١ على اعتراف قانوني بها من حكومة الانتداب البريطاني التي كانت قائمة هناك آنذاك . وحصل اتحاد تونس الصهيوني على الاعتراف نفسه من السلطات الفرنسية سنة ١٩٢٢ ، أي بعد عامين من تكوينه . وتكونت في مصر ، وغيرها ـ بناء على دعوة بريطانية صهيونية ـ عدة فيالق يهودية ، ضمت بين صفوفها يهودا من الأشكناز والسفارد ، وأخيرا في سنة ١٩٤٨ ، تأسست دولة استيطانية / استعمارية ، تدعى انها يهودية ، في قلب الوطن العربي ، على الرغم من إرادة العرب ، وفي الوقت الذي كان فيه وعي حركة التحرر العربية بنفسها آخذا في التزايد .

كأن هذا هو الإطار التاريخي للمنطقة حينما أخذ المبعوثون الصهاينة يطوفون جميع أنحاء العالم العربي ، بهدف كسب أنصار للدولة الصهيونية والدعوة لتأييدها ، وقد أقيمت معسكرات التدريب لمن يحتمل أن يهاجروا الى الدولة الصهيونية(٢١) ، كما قامت حملات لجمع التبرعات . وخلال الفترة من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٤٠ جمع الصهاينة تبرعات بلغت ربع مليون دولار في بغداد وحدها . واستمرت حملة جمع التبرعات حتى بعد إقامة إسرائيل . فقد ذكرت مصادر صهيونية أن أعضاء المنظمة الصهيونية العالمية في

مصر دفعوا ـ سرا ـ اشتراكات العضوية سنة ١٩٥١ « أي « بعد » قيام إسرائيل استعدادا للمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، الذي كانت النغمة الأساسية المسيطرة عليه هي الهجرة [٢٢] . وفي ليبيا مثلا ـ وهي المكان الذي كان الصهاينة قد نظروا إليه سنة ١٩٠٨ كمنطقة محتملة للاستيطان الصهيوني ـ قامت حملات لجمع التبرعات لحركة الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، الأمر الذي أشار اليه تقرير المؤتمر الصهيوني الثاني عشر سنة ١٩٢١ . وفي تونس حصل كثير من اليهود على الجنسية الفرنسية ، واعتنقوا الأيديولوجية الصهيونية . وفي سنة ١٩٢٢ ، قام الصهاينة التونسيون بتنظيم حركة احتجاج على الثورة الفلسطينية التي قامت سنة ١٩٢١ . وطبع الاتحاد الصهيوني في تونس منشوراته باللغة العربية لتوزيعها على النوادي الصهيونية في جميع أنحاء العالم العربي .

ولعبت الصهيونية في الجزائر دورا على نفس الدرجة من السلبية والتخريب في صفوف الأقلية اليهودية ، ونجحت في دق إسفين بين الجالية اليهودية الجزائرية ، التي استوعبتها الثقافة الفرنسية ، وبين باقي الشعب الجزائري . وكما حدث في الدول العربية الأخرى ، نظمت في الجزائر اللجان الصهيونية لتجنيد مهاجرين للاستيطان في فلسطين ، وأقيم معسكر لاستقبال المهاجرين في الجزائر خلال الخمسينات .

وأرسلت إسرائيل ، إبان نضال شعب الجزائر العربي ، مبعوثين ، ربما كانت مهمتهما الاتصال بالصهاينة الجزائريين ، لتكثيف الأنشطة الصهيونية هناك ، إلا أن الثوار أعدموهما . وعشية استقلال الجزائر ، وفي أعقاب التواطؤ بين اسرائيل وبريطانيا وفرنسا ضد مصر في حرب سنة ١٩٥٦ ، أظهر الصهاينة الجزائريون

عداءهم للشعب العربي باحتفالهم بالذكرى العاشرة لقيام إسرائيل ، وبعدها بعامين (سنة ١٩٦٠) احتفلوا بذكرى مولد هرتزل .

وشهدت المغرب ، هي الأخرى ، بعض النشاط الصهيوني ، مثل الزيارات الدولية التي كان يقوم بها الصهاينة الفرنسيون ، ونشر الكتابات الصهيونية الداعية الى « الهجرة الجماعية لليهود المغاربة الى الوطن » وهو ما يشير إلى ان اليهود في المغرب كانوا منعزلين ، يعدون وجودهم هناك أمرا مؤقتا . ووصل التدخل الصهيوني في المغرب إلى درجة غير عادية حين قام بعض شباب اليهود بمظاهرة ، ارتدوا أثناءها قبعات بيضاء محلاة بنجمة داود الزرقاء ، ورددوا هتافات ضد الرئيس عبدالناصر خلال زيارته للمغرب[٢٣] . ان كل هذه النشاطات الصهيونية لم تكن تهدف إلى الدفاع عن حقوق أعضاء الأقليات اليهودية في العالم العربي ، وإنما كانت تهدف إلى خلخلة انتمائهم السياسي ووضعهم القانوني ، وإلى استغلالهم لصالح الوطن القومي اليهودي .

واستغلال يهود العالم العربي يتضح في عمليات التجسس التي نظمتها الوكالة اليهودية ، التي كانت تقوم بتجنيد العملاء الصهاينة من بين صفوف اليهود العرب . ففي العشرينات ، كونت الوكالة اليهودية شبكة تجسس ، كان لها فروع في العالم العربي ، تعمل سرا تحت ستار تنظيمات شرعية ، مثل الأندية المكابية أو المنظمات الخيرية اليهودية الكثيرة . وفي الثلاثينات أنشأت الهاجاناه قسما للمخابرات برياسة موشى (شيرتوك) شاريت أول رئيس وزراء لإسرائيل وأنشأت المخابرات الاسرائيلية (الموساد) سنة ١٩٣٧ مركزا لتدريب اليهود العرب على القيام بأعمال التجسس على مواطنيهم ، وأطلق على هؤلاء الجواسيس اسم « الأولاد العرب » .

وفي أعقاب قيام دولة إسرائيل ، استمرت عملية تجنيد اليهود العرب للقيام بأعمال التجسس ، وتخبرنا **الموسوعة اليهودية** بأنه كانت هناك « حركة صهيونية سرية على درجة عالية من التطور » في مصر تعمل في خدمة الصهيونية[٢٤] وكان من الشخصيات البارزة في هذه الحركة المواطن اليهودي / المصري موشى مرزوق ، الذي ولد في القاهرة سنة ١٩٢٦ . وجاء في الموسوعة أنه بدلا من أن يرتبط الدكتور مرزوق ببلاده ، فانه كان « على اقتناع بأن مستقبل جميع اليهود المصريين يكمن في الهجرة إلى أرض إسرائيل التاريخية » . ونتيجة لهذا ، فانه كرس حياته ، لا للدفاع عن البلد الذي ولد فيه وتربى بل « لتحقيق الأهداف الصهيونية » ، فقام بتجنيد « اليهود الشبان » ليذهبوا إلى إسرائيل . وكان باستطاعته ، هو نفسه ، أن يغادر البلاد ، ولكنه « قرر ان يبقى في وظيفته بالمستشفى الاسرائيلي بالقاهرة ، وأن يعمل من أجل إسرائيل . وكان من أصدقاء مرزوق شخص يدعى صمويل عزار ، من مواليد الاسكندرية ، حصل على منحة لدراسة الهندسة الالكترونية في الخارج لكنه اختار (هو الآخر) ـ كما فعل مرزوق ـ أن يبقى في مصر ليؤدي مهمته[٢٥] .

ومن بين أسوأ « المهام » المشبوهة التي قام بها الصهاينة في مصر سرا ، تلك المهمة التي أصبحت معروفة باسم فضيحة لافون . ففي سنة ١٩٥٥ قام ١٣ يهوديا مصريا ـ بناء على تعليمات من اسرائيل ـ بوضع متفجرات في مكتبة المركز الاعلامي الاميركي في القاهرة ، وفي منشآت أخرى مملوكة لأمريكا وبريطانيا في القاهرة والاسكندرية .

وكان الهدف من هذه الأعمال خلق التوتر في العلاقات بين مصر وهاتين الدولتين الغربيتين . وكما أوضح يوري افنيري في كتابه **إسرائيل دون صهاينة** ، كان المقصود من هذا التوتر تمكين العناصر

الاستعمارية الرجعية في البرلمان البريطاني « من منع ابرام اتفاقية تنص على الجلاء عن قواعد السويس ، وكذلك تقديم سلاح يستطيع معارضو تسليح مصر في الولايات المتحدة استخدامه » . ولكن الهدف من العمليات التخريبية كان ، قبل كل شيء ، إضعاف مظهر نظام الحكم الثوري الجديد في مصر ، وإظهار افتقاره إلى الاستقرار أمام العالم[٢٦] . وقد ألقى القبض على بعض العملاء الصهاينة متلبسين بالجريمة ، الأمر الذي أدى إلى القبض على جميع المشتركين في المؤامرة . وكان المقبوض عليهم هم ماكس بنيت زعيم الشبكة ، والدكتور مرزوق ، وصمويل عزار ، وعشرة آخرون ، وأثناء المحاكمة ، تمكن اثنان من الهرب ، وانتحر ماكس بنيت ، أما الباقون ، فقد برئت ساحة اثنين منهم ، وصدرت أحكام بالسجن على سبعة ، بينما صدر حكم بالاعدام على مرزوق وعزار ، اللذين كانا يتزعمان شبكتي القاهرة والاسكندرية . وقد وجهت إلى مرزوق تهمة تنظيم مجموعة القاهرة ، ووضع ترتيبات الاتصال اللاسلكي مع إسرائيل ، بعد أن أمضى فترة تدريب هناك . أما عزار ، فقد اتهم بتزعم مجموعة الاسكندرية و« إدارة مصنع سرى لتصنيع أجهزة التخريب »[٢٧] .

وظلت فضيحة لافون تؤرق القيادة الاسرائيلية لفترة طويلة بعد انتهاء محاكمات القاهرة . وقد أنكر بن جوريون مسئوليته عن إعطاء أوامر العملية ، وألقى اللوم كله على بنحاس لافون ، وزير دفاع اسرائيل في الفترة (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) ، الذي أصر على براءته إلى النهاية . وعندما برأت لجنة تقصي الحقائق لافون ، استقال بن جوريون من حزب الماباي الحاكم ، وكون ـ بالاشتراك مع بيريز ودايان ـ حزب رافي . وبغض النظر عن الضجة السياسية داخل إسرائيل بشأن المسؤولية الشخصية عن الموضوع ، فقد كان هناك

اعتراف ضمني بتورط إسرائيل في فضيحة لافون حين منح اسم الدكتور مرزوق رتبة عسكرية في الجيش الاسرائيلي[٢٨] ، واطلق عليه ، هو وعزار ، لقب « شهيدا القاهرة »[٢٩] والذي يهمنا من هذا السياق هو أن فضيحة لافون تسببت في تعقيد موقف اليهود المصريين .

لقد كانت محاولات تحقيق خلاص الشعب اليهودي بالقوة ، باسم المثل الأعلى الصهيوني ، مصحوبة ، في حالات كثيرة ، بالمآسي وأحيانا بالمجازر . ومن أمثلة هذا حادث الباخرة باتريا . فقد انفجرت السفينة ـ التي كانت تحمل لاجئين يهودا ـ في ميناء حيفا يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٠ الأمر الذي ادى إلى مصرع ٢٤٠ لاجئا يهوديا و١٢ من رجال البوليس . ووصفت الوكالة اليهودية الحادث وقتئذ بأنه عمل من أعمال « الاحتجاج الجماعي » ، أو حتى « الانتحار الجماعي » ، أي « ماساداه » جديدة . وكان الحادث مبعث حرج للسلطات البريطانية التي كانت ـ بوحي من نظرتها إلى موضوع اللاجئين اليهود من منطلق إنساني لا سياسي ـ تنوي إرسال المهاجرين إلى إحدى المستعمرات البريطانية ، في حين كانت الوكالة اليهودية تصر على دخولهم إلى فلسطين ، وتوصلت لجنة التحقيق البريطانية ، التي تكونت في يناير سنة ١٩٤١ ، إلى أن غرق الباخرة كان « من عمل جماعة صغيرة محددة تعمل من على الشاطىء دون اتصال بركاب السفينة » وأن تدمير الباخرة باتريا كان ، في واقع الأمر ، من فعل الصهاينة المتطرفين . ولكن كريستوفر سايكس يقول في كتابه مفترق الطرق إلى إسرائيل إن المسؤولية عن الحادث تقع على عاتق « الوكالة اليهودية ذاتها ، التي كانت تعمل من خلال الهاجاناه » . وكان رجال الهاجاناه ينوون تفجير محرك الباخرة ، حتى تضطر السلطات البريطانية إلى توطين المهاجرين في الوطن القومي ،

ولكنهم أغرقوا الباخرة بالكامل بشحنتها البشرية و« لكي تغطي الوكالة اليهودية على هذه الوحشية ، فانها لفقت قصة الانتحار الجماعي »[٣٠] .

وعندما أشار زعيم الجالية اليهودية الألمانية في فلسطين ، مجرد إشارة ، إلى أن « قضية الانتحار الجماعي ليست إلا دعاية لا معنى لها » ، جرت محاولة لاغتياله أثناء عودته الى منزله بعد حضوره اجتماعا عبر فيه عن شكوكه هذه[٣١] . ومن المهم أن نبين أنه على الرغم من النتائج التي توصلت اليها لجنة التحقيق فقد واصلت وسائل الدعاية الصهيونية ترديد خرافتها المفضلة عن الماساداه .

وقد نشرت المجلة اليهودية مورننج فريهايت التي تصدر في نيويورك في عددها ٢٧ نوفمبر ١٩٥٠ ـ أن الأمر بتفجير السفينة أعطي إلى من كانوا على ظهر السفينة باتريا من أعضاء الهاجاناه[٣٢] فقاموا بتنفيذه ، ومن المعتقد أن الرجل الذي وضع القنبلة في السفينة أصبح « مسئولا معروفا في ميناء حيفا » .

وقد وقع حادث مماثل عندما انفجرت سفينة أخرى للاجئين اليهود قرب الساحل التركي ، وهي السفينة ستروما . . ومن المعتقد أن الشخص الوحيد الذي نجا ، « بمعجزة » ، من الحادث كان ضابطا سابقا في الهاجاناه[٣٣] .

وهذا الموقف العملي من المهاجرين اليهود متسق ، لأقصى حد ، مع الرؤية الصهيونية ، فالصهيونية حركة تحاول إنشاء الدولة اليهودية ، وليست نزعة إنسانية تسعى لانقاذ اليهود كبشر . وقد عبر بن جوريون عن هذه الحقيقة في رسالة ، بعث بها إلى اللجنة التنفيذية الصهيونية في ١٧ ديسمبر ١٩٣٨ ، قال فيها « إنه إذا طغت

الشفقة على نفوس اليهود ، واتجهت كل طاقاتهم نحو إنقاذ اليهود من مختلف البلدان ، فلن يؤدي ذلك إلا إلى تلاشي نفوذ الصهيونية .. إننا إذا سمحنا لمشكلة اللاجئين اليهود بأن تنفصل عن .. هدف إقامة الدولة اليهودية نكون قد عرضنا وجود الصهيونية نفسه للزوال »(٣٤) - أي إنه كان على الصهيونية الاختيار بين الانسان اليهودي والمثال الصهيوني ، فلم تتردد في اختيار الأخير .

نقل السكان اليهود :

إن الرؤية الصهيونية ، الخاصة بانعدام قيمة يهود الشتات ، وحتمية معاداة السامية ، تفترض أن اليهود سيعودون إلى أرض أجدادهم ، لأن هذه العودة هي العلاج الأوحد « لمرضهم المتوارث » ، ولأنها هي الحماية الوحيدة لهم من الأخطار الخارجية . ففي قرب نهاية القرن التاسع عشر ، بدأت موجات المهاجرين ، من اليهود وغير اليهود ، في ترك بلادهم ، في روسيا وبولندا ، وفي إيطاليا وفي أيرلندا ، ليستوطنوا العالم الجديد وغيره من البلاد . واستقر ملايين اليهود في الولايات المتحدة ، وبخاصة منذ سنة ١٨٨٠ فصاعدا ، فجعلوا منها واحدا من أكبر المراكز الروحية لليهودية . ولم يذهب إلى فلسطين إلا بضعة آلاف ، حتى بعد وضعها تحت الانتداب البريطاني .

وعندما قامت الدولة الصهيونية سنة ١٩٤٨ ، بعد ستين سنة من الهجرة الصهيونية المنظمة ، لم يكن في إسرائيل غير حوالي ٨٠٠ ألف يهودي ولأن الهجرة التلقائية لم تتم ، كان لا بد أن يتم النقل الأول للسكان اليهود من المنفى إلى أرض الميعاد برغم أنوفهم وقد سنحت

الفرصة ، بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، حين كانت معسكرات المرحلين في أوروبا تعج باليهود ، الذين لم يكونوا ، بالضرورة ، راغبين في الاستيطان في فلسطين . . وقد كشفت إحدى استطلاعات الرأي ـ الذي نشرته صحيفة نيويورك تايمز سنة ١٩٤٨ ـ النقاب عن أن ثمانين في المائة من نزلاء معسكرات المرحلين كانوا يرغبون في الهجرة إلى الولايات المتحدة لا إلى فلسطين ، نظرا للمحن التي اجتازوها ، ونظرا للصراع المسلح الذي كان دائرا وقتها في فلسطين . وقد مارس الصهاينة أقصى انواع الضغط على نزلاء معسكرات المرحلين لاقناعهم باستيطان فلسطين . ومن بين أساليب الضغط التي اتبعوها « الحرمان من حصص الطعام » ، والطرد من العمل » ، وحرم المنشقون والمعارضون من « الحماية القانونية ، ومن حق الحصول على تأشيرة للسفر ، وكانوا ، في بعض الأحيان ، يطردون من المعسكرات كلية »[٣٥] .

ومحاولة نقل اليهود من المنفى ، مهما كان الثمن ، وبغض النظر عن مدى رغبة اليهود أنفسهم في ذلك ، تتمثل في الحملة الصهيونية الخاصة « بانقاذ » اليهود السوفيت ،فهذه الحملة تتجاهل ، عن عمد ، الكثير من التعقيدات التي تشوب موقفهم . فهناك أولا كون اليهود السوفيت ، مواطنين للدولة التي ما تزال ـ برغم الوفاق ـ مشتبكة في صراع أيديولوجي واقتصادي ، بل وعسكري أحيانا (وإن كان بشكل غير مباشر) مع الولايات المتحدة وحلفائها . وأي حملة يشنها الصهاينة الامريكيون ـ الذين يمثلون جزءا لا يتجزأ من المجتمع الأميركي ـ لن تكون في صالح اليهود السوفيت بالضرورة . ولم تغب هذه النقطة عن أحد اللاجئين السوفييت الذي وصف

المهاجرين السوفيت بأنهم « قطع شطرنج في مباراة بين الاتحاد السوفياتي وبين الولايات المتحدة وإسرائيل » (وربما بمقدور المرء ان يضيف والصهاينة الأميركيين الذين يلعبون دور « السماسرة » المحرضين[٣٦] .

وبالاضافة الى هذه الاعتبارات المتعلقة بالسياسة الدولية ، ينبغي أن نتذكر العوامل الداخلية ، الاقتصادية والثقافية ، المتعلقة بهيكل المجتمع السوفياتي نفسه . فالاتحاد السوفياتي يتكون من عدة قوميات مختلفة تقوم على توازن غير مستقر . وأي دعوة انفصالية قومية لا بد ـ على الأقل من وجهة نظر المسؤ ولين السوفيات وقطاع يعتد به من المثقفين السوفيات ـ أن تؤدي إلى إشاعة عدم التوازن في هذا الهيكل الضعيف ، والصهيونية تشكل مثل هذا التهديد . ويقول السوفيات : إن استمرار الدعوة الصهيونية الانفصالية من شأنه أن يؤدي إلى زيادة حدة المشاعر الانقسامية ، بل واثارة المشاعر المعادية للسامية ، وسواء وافق المرء على هذا الرأي أم رفضه ، فمن الواجب وضعه في الاعتبار لأن اليهود السوفيات يعيشون في مجتمع يلقي هذا الرأي فيه قبولا لدى كثير من المسؤ ولين والمواطنين العاديين .

اننا نجد الكثرين ينسون أن الاتحاد السوفياتي ، قبل كل شيء ، ما يزال ـ في بعض نواح هامة ـ « دولة نامية » تحتاج الى جميع مواردها البشرية . والأقلية اليهودية هناك هذه من الموارد الهامة إذ يوجد بينها واحدة من أعلى نسب المتخصصين والخبراء بين جميع الأقليات القومية السوفياتية ، وسياسات الهجرة السوفياتية ـ التي أملتها احتياجات البلاد السياسية والاقتصادية ـ تنطبق بالدرجة نفسها على « جميع » المواطنين السوفيت ، بغض النظر عن ديانتهم أو جنسهم أو « انتمائهم

القومي » وتعتبر الهجرة في الاتحاد السوفيتي عملا من أعمال الخيانة ، وينظر السوفيات إلى أولئك الراغبين في الهجرة على أنهم من هؤلاء الذين كانوا يرغبون في البقاء في مجتمعهم ليحصلوا على درجة عالية من الخبرة في عملهم ، ثم عندما يحين الوقت ليخدموا بلادهم بما اكتسبوه من خبرة ، إذا بهم يتجهون إلى الولايات المتحدة ليشتروا « سيارة أفضل » وهذه النظرة للمهاجر الممتاز شائعة للغاية في الدول النامية ، وقد تفسر لنا « لم لا يتعرض المهاجرون اليهود للاضطهاد إلا بعد طلبهم تأشيرة الخروج »(٣٧) .

إن حملة التهييج الصهيونية بالنيابة عن اليهود السوفيات ، لأنها حملة أيديولوجية لا إنسانية لا تضع مثل هذه الأمور في حسابها . فلو كانت الحملة تعبيرا عن نزعة إنسانية واهتمام حقيقي باليهود السوفيت ، الأفراد والكيان الثقافي ، لطالبت بتحسين موقف جميع الأقليات والقوميات السوفيتية ، بما في ذلك اليهود ، وهم في وطنهم . لكن هدف النضال الصهيوني هو نقل السكان ، وهذه هي الاستراتيجية الصهيونية منذ البداية . وقد عبر ليفي أشكول عن هذا بقوله : « نحن لا نناضل الآن من أجل الحقوق اليهودية في الشتات »(٣٨) وإنما من أجل يهود الشتات انفسهم ، وهذا بالطبع يتناقض تماما مع الخطة التي يفترضها المفكر اليهودي الأميركي أ. ف. ستون ، الذي يقترح وجوب حث الاتحاد السوفياتي على القضاء على معاداة السامية ، وعلى منح اليهود نفس الدرجة من الاستقلالية الثقافية الممنوحة للقوميات الأخرى ، بدلا من التهييج . ضد السوفيت ، بهدف نقل اليهود خارجه(٣٩) .

على أية حال فان خطة نقل اليهود السوفيت إلى إسرائيل بدأت

تفقد ، تدريجيا ، الأرض التي تقف عليها ، لأن أكثر من ٥٠ في المائة (بل ٨٠٪ أحيانا) من المهاجرين السوفيت يفضلون الذهاب الى الولايات المتحدة ، رافضين « شرف » الذهاب إلى الأرض التاريخية القومية[٤٠] . وقد أدى ارتفاع معدلات تخلف المهاجرين السوفيت عن الاستيطان في إسرائيل إلى خلق توتر وتصادم في العلاقات بين مختلف المنظمات الصهيونية . ويتركز الجدل المرير على مدى مشروعية إعطاء مساعدات للمهاجرين السوفييت الذين يختارون الاستقرار في الولايات المتحدة ، بدلا من إسرائيل . ففي يوليو سنة ١٩٧٦ ، عرض على مجلس الوكالة اليهودية اقتراح يقضي بأن توقف الجمعية العبرية لمساعدة المهاجرين ولجنة التوزيع المشتركة « مساعداتهما الادارية والمالية عن المتخلفين »[٤١] .

ونقل السكان اليهود يمكن أن يتخذ أشكالا أكثر عنفا ، ففي إحدى المناسبات ، قال كاتب بصحيفة دافار ، كبرى الصحف الصهيونية العمالية ، إن الأمر لو كان بيده لبعث مجموعة من الشبان الصهاينة الاسرائيليين المتحمسين ليتولوا مهمة تحقيق الخلاص القسري ليهود الشتات المتفرقين ، بأن يتخفوا ويثيروا ذعر اليهود ، باطلاق نعوت وشعارات معادية للسامية ، مثل « اليهود الملاعين » و« أيها اليهود اذهبوا الى فلسطين »[٤٢] .

وقد وصف أ. ف. ستون احدى الجوانب الهامة في الصهيونية بقوله إن الحركة الصهيونية « تترعرع على مآسي اليهود »[٤٣] . وقد أظهرت التجربة أنه عندما لا يتفق الواقع مع الرؤ ية الصهيونية ، أي عندما لا يوجد العدد الكافي من الكوارث ، فان الواقع يتم تغييره ليتفق مع الرؤ ية ، وهذا تقريبا ما حدث ليهود العراق .

ونحن لا ندعي أن يهود العراق كانوا يحيون حياة مثالية ، ففي الأربعينات ، كان المجتمع العراقي يمر بمرحلة انتقالية ، وكانت هناك صعوبات تكتنف حياة جميع الاقليات الدينية أو العرقية هناك ، بما فيها الأقلية اليهودية ، وفي سنة ١٩٤١ قامت مظاهرات معادية للجالية اليهودية ، وإن كانت « الأولى من نوعها » ، كما تقول موسوعة الصهيونية وإسرائيل(٤٤) ولكن ، في النهاية ، كان لليهود العراقيين نصيبهم العادي من السعادة والشقاء ، ففي ديسمبر ١٩٣٤ أرسل السير ف. همفري ، السفير البريطاني في بغداد ، برقية سرية إلى وزارة الخارجية البريطانية ، قال فيها إن الجالية اليهودية في العراق تتمتع « بوضع موات أكثر من أي أقلية أخرى في البلاد » ، وأوضح أنه ليس هناك « عداء طبيعي بين اليهود والعرب في العراق »(٤٥) ، ويبدو أن تقرير السفير البريطاني كان دقيقا بصفة عامة ، فيهود العراق كانوا مؤمنين بأنهم ، عراقيون ، اساسا ، يرجع نسبهم إلى أيام النفي البابلي ، وكان عدد كبير منهم يتمتع برخاء نسبي .

وكانت نسبة قيد الصغار من يهود العراق في المدارس والكليات أعلى بكثير من النسبة العامة في البلاد ، فقد اوضح رافي نيسان ، اليهودي العراقي الذي هاجر إلى إسرائيل واستوطن فيها ، أنه ، على الرغم من أن اليهود العراقيين تركوا ممتلكاتهم خلفهم في العراق ، فإنهم أتوا معهم بشيء أكثر أهمية « من المال ، وهو خبرتنا وعلمنا » ـ على حد تعبيره . فثلث المهاجرين من يهود العراق تلقوا تعليما لمدة أحد عشر عاما على الأقل وهي نسبة تعلو حتى على النسبة المقابلة بين أولئك القادمين الجدد (إلى الدولة الصهيونية) من أوروبا وأمريكا . وأضاف رافي أن « اكثر من ٨٠ في المائة من أرباب الأسر المهاجرة كانوا

من الحرفيين المهرة وأصحاب المحلات والمديرين والمحامين والموظفين والمعلمين »[٤٦] . وهذا أبعد ما يكون عن صورة الأقلية المضطهدة .

وفيما يتعلق بمقدار المشاركة في الحكومة والسلطة ، فقد أعلنت الحكومة العراقية « حرية الدين والتعليم والتوظف ليهود بغداد الذين لعبوا دورا هاما للغاية في تحقيق رخاء المدينة وتطورها » . وكان هناك ستة اعضاء يهود في البرلمان العراقي،[٤٧] وعلى الرغم من هذا السلام والاستقرار اللذين كانت تتمتع بهما الأقلية اليهودية ، قرر الصهاينة جعل العراق هدفا لنشاطهم، والعراق ـ مثلها في هذا مثل ليبيا ومصر وفلسطين ـ كانت ، هي الأخرى ، مطروحة في وقت من الأوقات هدفا محتملا لخطة الاستيطان الصهيوني ، الأمر الذي كان كافيا في حد ذاته لاثارة التوتر بين أغلبية السكان والأقلية اليهودية ، وعندما اقتصرت المخططات الاقليمية الصهيونية على فلسطين (وتخومها) ، تحولت الأنشطة الصهيونية عن أرض العراق ، وتركزت على يهود العراق ، فأسس آهارون ساسون ، سنة ١٩١٩ جمعية في بغداد تدعى « اللجنة الصهيونية »[٤٩] . وأنشأت هذه المنظمة فروعا لها في عدة مدن عراقية (نحو ١٦ فرعا) ، بل أرسلت وفدا عنها إلى المؤتمر الصهيوني الثالث عشر ، الذي عقد سنة ١٩٢٣[٥٠] كما قامت بتنظيم جماعات شبابية لاعداد الشباب المهجرين ، وقامت بطبع عدة نشرات شهرية بالعبرية والعربية ، وأسست مكتبة صهيونية[٥١] . وكان الصهاينة يقومون ، أحيانا ـ بغرض تسميم العلاقات بين يهود العراق وباقي الشعب العربي العراقي ـ بتوزيع منشورات في المعابد تحتوي على شعارات مهيجة ، مثل « لا تشتروا من المسلمين » ، متعمدين أن تصل هذه المنشورات إلى أيدي المسلمين[٥٢] . ونجحت الدعاية

الصـــهيونية ، إلى حد ما ، في بذر الشقــاق و« المرارة » ، كما ألمح السفير البريطاني في برقيته سنـة ١٩٣٤ ، وبـين أن منـع النشرات الصهيونية من الصدور قد يكون في « صالح اليهود انفسهم »[٥٣] .

ويبدو أنه ، برغم الجهود الصـهيونية ، وبرغـم تشاؤم السفـير البريطاني ، فان يهود العراق لم يكونوا منعزلين تماما عن وطنهم . فبعد النشاط الصهيوني لفترة طويلة في العراق ، وبعـد مظاهـرات ١٩٤١ المؤسفة ، استأنف اليهود العراقيون ـ بجذورهم الثابتـة في البلاد ـ حياتهم الطبيعية ، فأقاموا حيا يهـوديا ، واستثمـروا مبالـغ ضخمة في مجال البناء في مدينة بغداد . فقـد جاء في كتـاب لمؤلفـة إسرائيلية « أن المبعوثين الصهاينة في العراق أدركوا أن الأيديولوجية الصهيونية لن تلقى قبولا في معظم الدوائر اليهودية » . وقـد حاول أحـد هؤلاء المبعوثـين تجنيد أتبـاع من بـين المثقفـين ، « إلا انـه فشل »[٥٤] . ثم جاء قيام الدولة الصهيونية والهزيمة العربية ، الأمر الذي أدى ، كما هو متوقع ، إلى تعقيد الأمور بالنسبة للجميع . فقد أعفى اليهود العـراقيون ، الـذين كانـوا يتولـون مناصـب تتطلـب الاتصـال بدول أجنبية ، من مناصبهـم[٥٥] . وباستثنـاء مثـل هذه الحالات ، فان رد الفعل العراقـي كان يتسـم بضبـط النفس إذا ما أخذنا في الحسبان أبعاد الموقف .

وعلى الرغم من النشاط الصهيوني المكثف داخل العراق ، وعلى الرغم من تورط بعض يهود العراق البارزين في هذا النشاط ، فانه لم تنشأ حالة هستيريا شعبية من ذلك النوع الذي يجتاح الرأي العام عادة في زمن الحرب ، وبصفة خاصة في أعقاب الهزيمة . وقد قال كبـير

حاخامات العراق للحاخام بيرجر سنة ١٩٥٥ : « إننا نسمع أنكم ، في الولايات المتحدة ، لم تعاملوا مواطنيكم اليابانيين معاملة طيبة أثناء موجة الانفعال العاطفي التي أعقبت بيرل هاربر »[٥٦] ، وكان يشير بذلك إلى اعتقال آلاف من الأمريكيين اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية .

لقد كان من الممكن أن تنتهي المتاعب وقتها ، سنة ١٩٤٨ ، وكان من الممكن أن يستأنف يهود العراق حياتهم ، بدرجات مختلفة من التوتر والتوافق ، وكان الزمن كفيلا بجعل الجروح تلتئم . غير ان الصهاينة كان لديهم مخطط مختلف عن هذا ، فقد كانت هناك خطوات أساسية لا بد من اتخاذها بهدف تحقيق الخلاص « لمائة وثلاثين ألف يهودي ولتحسين موقف اسرائيل ، في الوقت نفسه ، من حيث عدد السكان »[٥٧] . ونحن نعرف من مصادر صهيونية أن حركة صهيونية سرية ـ مثل تلك التي كانت تعمل في مصر ـ قد تأسست في العراق سنة ١٩٤٢ . وأعطيت المنظمة الجديدة اسم « حركة الرواد البابليين » وبدأت في تعليم الشبان اليهود كيفية استخدام الأسلحة النارية وتصنيع المتفجرات[٥٨] . وكونت الحركة السرية جيبا شبه مستقل داخل العراق ، كانت له اسلحته ومجندوه . وفي سنة ١٩٤٧ كتب إيجال آلون ، قائد البالماخ ، رسالة إلى دان رام وصفه فيها بأنه « قائد جيتو العراق »[٥٩] . وقامت الهاجاناه بتهريب الأسلحة ـ من بنادق ودخائر وقنابل ـ إلى العراق[٦٠] . وقال آلون في رسالته إلى دان رام إن الهدف من إرسال هذه الأسلحة هو « تشجيع كل أشكال الهجرة »[٦١] .

ولكن ما هذا التعبير الغامض ؟ وما الهدف من كل هذه

الأسلحة ؟؟. أو كما قال حاخام عراقي سنة ١٩٥٥ : « ما الذي كان يراد من كل هذه الأسلحة ؟ (التي عثر عليها فيما بعد) هل كنا سنحارب العراق كله بها ، هذا على افتراض أن ولاءنا كان متجها لاسرائيل ، وهو ، ما لم يكن كذلك في الواقع »[٦٢] . هذا التساؤل الذي طرح عام ١٩٥٥ كان له ما يسوغه ، وكان من الممكن أن يظل دون إجابة لولا تكشف بعض القرائن .

شهدت بغداد عددا من الحوادث سنة ١٩٥٠ فقد ألقيت شحنة ناسفة داخل مقهى ، اعتاد المثقفون اليهود الاجتماع فيه ، ثم انفجرت قنبلة في المركز الاعلامي للولايات المتحدة . ومرة أخرى ، نجد أن هذا المركز كان مكانا اعتاد الشباب ـ وخاصة اليهود منهم ـ أن يجلسوا فيه ويقرأوا ، وعندما انفجرت قنبلة ثالثة في معبد ماسودا شيمتوف ، أودى الحادث بحياة صبي يهودي ، كما فقد رجل يهودي إحدى عينيه . لا شك أن المؤ رخين الصهاينة كانوا سيصورون هذه الفترة على أنها مذبحة جماعية أخرى ضد اليهود ، لولا أن النقاب أزيح ، بطريق الصدفة ، عن مخطط صهيوني منظم للأعمال الاستفزازية [٦٣] .

ومن اليهود الذين ظنوا أن الانفجارات كانت من صنع العرب يهودي عراقي يدعى كوخافي ، أصبح فيما بعد مواطنا إسرائيليا ، وعضوا بجماعة الفهود السوداء . لكنه قال إنه سمع إشاعة تتردد في إسرائيل . (بعد أن كان أفراد الأقلية اليهودية العراقية جميعهم ، تقريبا ، قد هاجروا إلى الدولة الصهيونية) مفادها أن الحادث كان من فعل عميل صهيوني . « وقد نشر هذا الموضوع أيضا في الصحف ، ولم ينفه أحد »[٦٤] وربما كان كوخا في يشير بهذا إلى

المقال الذي نشرته صحيفة هاعولام هازيه ، يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٦٦ ، والتقرير الذي نشرته مجلة الفهود السوداء ، يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٧٢ اللذين أعادا ترتيب الحوادث التي وقعت أثناء المذابح الصهيونية المنظمة ، وأزاحا النقاب عن الحقيقة البشعة بأكملها .

ففي سنة ١٩٥١ ، أي بعد الانفجار الغامض مباشرة ، شاهد لاجيء فلسطيني من عكا ، كان يعمل في أحد المحلات الكبيرة في بغداد ، أحد رواد المتجر ، وعرف أنه يهودا ناجر ، الضابط بالحكومة العسكرية الاسرائيلية في عكا . فأبلغ اللاجيء الشرطة عن وجود الضابط الاسرائيلي ، الذي قبض عليه ، ومعه شالوم تزالاه وخمسة عشر آخرون من أعضاء المنظمة السرية الصهيونية . وكشف تزالاه أثناء التحقيق عن حقيقة المخطط الصهيوني ، وأرشد الشرطة العراقية إلى مخابيء الأسلحة في المعابد(٦٥) . وقد حوكم العملاء من أعضاء المنظمة الصهيونية السرية بتهمة محاولة « اثارة ذعر اليهود العراقيين لدفعهم للهجرة الى اسرائيل » وصدر الحكم بالاعدام على اثنين من هؤلاء العملاء ، وبالسجن لمدد طويلة على الباقين . وقال محام عراقي (من مواطني تل أبيب الآن) : « لقد كانت الأدلة من القوة بحيث لم يكن شيء ليمنع صدور الأحكام » ويحاول قدوري سليم ـ المواطن الاسرائيلي واليهودي العراقي الذي فقد عينه في حادث معبد شيمنوف ـ الحصول على تعويض من الحكومة الاسرائيلية(٦٦) .

إن إغراق السفن التي تحمل المهاجرين ، والتضييق على اليهود السوفيت ، وقلقلة الوضع القانوني ليهود الغرب والشرق ، وإرهاب الأقليات اليهودية في العالم العربي هي كلها أشكال من العنف

الصهيوني الموجه ضد يهود العالم لحملهم على الهجرة لوطنهم القومي المزعوم .

السفارد :

أشرنا من قبل إلى محاولة الصهيونية تسويغ نشاطها الاستعماري الاستيطاني بالاستناد إلى أسطورة تفوق اليهودي الأبيض (الأشكناز)، ولذا لم تتوجه الحركة الصهيونية إلى اليهود السفارد . ولكن ديناميات الموقف في الشرق الأوسط فرضت نفسها على الدولة الصهيونية ، « وتسرب » السفارد إلى فلسطين ، حتى أنه ، بحلول عام ١٩٤٨ ، كانوا يشكلون ٢٢٪ من كل المستوطنين الصهاينة فيها(٦٧) . لكن بعد عام ١٩٤٨ ، تحول التسرب إلى طوفان من اليهود ، « البدائيين الشرقيين » ـ على حد قول موريس صمويل في مقالة عنوانها « لم يكن هذا هو مخططنا » ويقال إنهم يشكلون ، الآن اغلبية السكان اليهود في إسرائيل . ويرى صمويل أن هذا الطوفان هو بمثابة « هجوم على إطار الدولة ومؤسساتها يثير الاشمئزاز »(٦٨) . وقد وصف كاتب ؛ في هآرتس (٢٨ أبريل ١٩٤٩) هذا التدفق السكاني على أنه هجرة جنس لم يعرف له مثيل من قبل في هذه البلاد ، « أعضاؤه يتصفون بالقذارة ويلعبون الورق للحصول على المال ، ويشربون الخمر حتى الثمالة ، ويزنون . ويعاني كثير منهم من أمراض العيون والأمراض الجلدية والتناسلية الخطيرة ، هذا فضلا عن الفسوق والسرقة»(٦٩) .

واضطهاد الصهيونية للسفارد ، يأخذ ، أساسا ، شكلا حضاريا ومعنويا (هذا على عكس اضطهادهم للعرب الذي يأخذ شكلا روحيا وجسديا) . فعلى الرغم من أن اليهود الشرقيين يشكلون

غالبية السكان في التجمع الصهيوني ، وعلى الرغم من ان اسرائيل تقع في الشرق ، « فان اليهود الأشكناز يحاولون ، منذ زمن بعيد ، المحافظة على الوجه الغربي الحضاري للدولة . ولقد زعم بن جوريون أن إسرائيل تقع جغرافياً فقط في الشرق الأوسط ، ولكنها ليست منه »(٧٠) ولقد كرر بنحاس سابير ، في محاولته تسويغ طلب إسرائيل الحصول على عضوية السوق الأوروبية المشتركة في عام ١٩٦٦ ، كرر الكلمات نفسها تقريبا : « إن إسرائيل تنتمي لأوروبا ، ثقافيا وسياسيا واقتصاديا ، على الرغم من موقعها الجغرافي في الشرق الأوسط »(٧١) .

وقياسا على هذا الاتجاه ، كان من المنطقي لبن جوريون ، أن يعلن أنه يود أن يرى مزيدا من اليهود الغربيين يستوطنون إسرائيل ، لمنع تحويلها الى دولة شرقية (٧٢) . وبالمثل ؛ فان موشي دايان صرح ، أثناء وجوده في جنوب افريقيا في عام ١٩٧٤ بأن عدد المهاجرين الشرقيين يفوق عدد المهاجرين من أصل اوروبي ، وأن هذا « أكبر مشكلة تواجهها اسرائيل » . وقد ناشد جمهور الحاضرين حل « المشكلة الديمجرافية التي تواجهها إسرائيل ، وذلك عن طريق الهجرة إليها »(٧٣) .

وفي سبيل حل جزئي للمشكلة ، صرح بن جوريون (في خطاب ألقاه في الكنيست في عام ١٩٦٠) بأنه ينبغي تهيئة اليهود الشرقيين « لاكتساب المميزات المعنوية والثقافية العليا لأولئك الذين أنشأوا الدولة »(٧٤) ، أي اليهود الأشكناز ، الذين يتصورون أن تراث الجيتو اليهودي في شرق أوروبا هو تراث كل اليهود في كل زمان ومكان . ويتضح هذا الايمان بالتفوق الأشكنازي في ادعاء ليفي أشكول أن مشكلة اليهود الشرقيين ليست ، ببساطة ، مسألة عدم معرفتهم

« اليديشية » ولكنها بالأحرى« مسألةعدم معرفتهم لأي شيء »[٧٥] .
ولقد بلغت هذه الجيتوية الأشكنازية حد التطرف ، الذي يدعو الى السخرية ، حينما صرحت جولدا مائير بأنها لا تفهم كيف يمكن أن يكون المرء يهوديا ولا يعرف اليديشية ، لغة يهود شرق أوروبا المقدسة .

وعلى الرغم من أن أسطورة تفوق الأشكناز قد خفت حدتها ، لأسباب أيديولوجية ، فانها ما تزال تعرف عن نفسها في الوقائع الملموسة للحياة اليومية في إسرائيل ، فالتحيز يوجد على مستويات كثيرة (كما يحدث ، مثلا ، في الكيبوتزات ، حيث تظهر نغمات «عنصرية» واضحة نحو اليهود الشرقيين)[٧٦] . وقد كتب ايموس ايلون ، في عام ١٩٧٠ ، قائلا إنه ، على الرغم من ان نصف السكان اليهود ، تقريبا ، من أصل إفريقي - آسيوي فان ٢٠٪ فقط من مقاعد الكنيست (وعددها ٢٢ مقعدا) يشغلها الشرقيون (ذكرت جريدة دافار في عددها الصادر في ٤ نوفمبر عام ١٩٧١ ، أنه لم يكن هناك سوى خمسة أعضاء من أصل شرقي) . ومنذ عام ١٩٤٨ . لم يضم مجلس وزارة إسرائيلي قط أكثر من وزيرين من أصل شرقي . ومن المعروف أن زعامة كل من الوكالة اليهودية ، المسؤولة عن الهجرة والاستيعاب ، والهستدروت - وهما يتمتعان بسيطرة اقتصادية قوية على المجتمع - يتشكلان من الأشكناز اساساً . ويتضح في « الجمعيات التعاونية » الزراعية في إسرائيل هذا الاستقطاب العنصري ، وذلك بقصر الكيبوتز المتميز[٧٧] على الأشكناز ، بينما يعتبر اليهود السفارد مجرد زوار عابرين ، يقدمون عملا بأجر زهيد . ولا يشغل السفارد سوى ٩٪ فقط من الوظائف القيادية في الحكومة في المجال الاقتصادي .

كما يسيطر « البيض » ، أيضا ، على الاسكان ومختلف المجالات الاجتماعية / الاقتصادية الأخرى . ويكفي هنا الاشارة إلى أن مستوى المعيشة للسفارد يبلغ حوالي ٦٠٪ من مستوى الأشكناز ، وأن الفجوة بين المجتمعين تزداد اتساعا[٧٨] وتنطبق الصورة نفسها على التعليم ، اذ بينما تصل نسبة تلاميذ المدارس الابتدائية من أصل شرقي الى حوالي ٦٨٪ من مجموع كل التلاميذ ، فانه لا يصل إلى مرحلة التعليم الجامعي سوى ١١٪ منهم[٧٩] .

ويتم ، أيضا بصورة متعمدة ، توجيه النظام التعليمي ليتلاءم مع المعايير والمثل الأشكنازية . وقد نفذت الجامعة العبرية ، منذ بضع سنوات ، مشروعا بحثيا ضخما الهدف منه ابتكار أساليب وطرق تجعل الاطفال الشرقيين يتكيفون « مع الاتجاه الغربي للبرنامج المدرسي باسرائيل »[٨٠] وكان المنهج المدرسي ، بوجه عام ، يقلل من أهمية الانجازات التاريخية للجاليات السفاردية ، بما في ذلك العصر الذهبي لليهود في اسبانيا في ظل الحكم العربي .

ولقد وصف سلزر الشعور العميق بالعزلة بين أعضاء المجتمع السفاردي في اسرائيل ، وكيف أن بعض التلاميذ يزعمون ، في بعض الأحيان ، بسبب الضغوط الاجتماعية القائمة « أنهم فرنسيون ، وينكرون أصلهم التونسي »[٨١] بل لقد ذهب بعضهم الى حد تغيير أسمائهم « لا إلى أسماء عبرية (محايدة) بل إلى أسماء أوروبية - يهودية مميزة »[٨٢] .

وعلى الرغم من أن السفارد يقعون ضحية للقمع الأشكنازي ، فان هذا لم ينتج عقد تحالف مع الضحية الأخرى للقمع الصهيوني الأشكنازي - أي الفلسطينيين العرب - وربما يعود هذا إلى أن

المؤسسة الأشكنازية الحاكمة تصعد من حدة الخلافات بين السفارد والعرب في المجال الاقتصادي ، وخاصة في مجال العمل الرخيص ، ، فكلا الفريقين مصدر أساسي له ولذا عندما يطالب أحد عمال البناء السفارد بأجر أفضل من العمل الذي يقوم به ، يأتيه الرد بأنه يمكن ان يستبدل به عامل عربي بأجر ارخص (٨٣) هذا بالاضافة الى أن أسطورة اليهودي الخالص تضم السفارد وتستبعد العرب ، ولذا يظل العربي هو العدو الحقيقي والمطلق ! ولكن ، مع هذا ، لا يمكن إنكار وجود إرهاصات بين اليهود الشرقيين ، تتمثل في ظهور منظمة مثل منظمة الفهود السوداء قد يمكنها قيادة حركة ثورية واعية تناضل المؤسسة الصهيونية ، وتعقد تحالفا مع العرب .

الصهيونية والنازية :

كل هذه النشاطات الصهيونية هي تعبير عميق عن العنصرية الصهيونية ضد يهود المنفى ، اي ضد كل يهود العالم ، باستثناء الأقلية الأشكنازية التي توجد في الشرق الأوسط على الأرض العربية ، ولكن ثمة جانب هام ، (وغير معروف) من الفكر والممارسة الصهيونية ، يعبر عن هذه العنصرية ، لم يوف حقه من الدراسة بعد ، اعني علاقة الصهيونية بالنازية . وأعترف ، ابتداء ، بأن الموضوع يثير الكثير من الدهشة ، لأننا نشأنا في عالم يتحدث عن الابادة النازية لليهود ، ورأينا الكثير من الأفلام ، وقرأنا كثيرا من الدراسات التي تتناول هذا الموضوع ، بعضها بشكل فني مركب ، والآخر بشكل دعائي ساذج ، ولكن الغالبية العظمى من هذه الأفلام

والدراسات تبين حقيقية حجم الجريمة النازية ضد الاقليات اليهودية في أوروبا ،وتؤكدها ، وهي جريمة ،دون شك ،أقل ما توصف به أنها شيطانية ، ولكن هذا النتاج يتجاهل ، في الوقت نفسه ، عدة عناصر هامة نذكر منها العناصر التالية :

١ ـ أن الاقليات اليهودية لم تكن هي وحدها ضحية العنف النازي ، الذي نزل بكل الشعوب غير الآرية . فالشعوب السلافية أبيدت منها الملايين أيضا ، وأبيد أعضاء قبائل الغجر الذين وقعوا في براثن النازيين ، كما أبيد كثير من العجزة والمرضى الألمان ، ويقال إنه كانت توجد فصائل خاصة للابادة تصاحب الفرق الالمانية المحاربة لابادة الجنود الألمان الذين يقعون جرحى ولا يؤمل شفاؤهم .

٢ ـ تهمل هذه الدراسات إبراز حقيقة أن النازية لم تكن انحرافا عن الحضارة الغربية ، وإنما هي تيار أساسي فيها كالصهيونية تماما :

أ ـ فالحضارة الغربية حضارة تكنولوجية تعلى من قيم المنفعة والكفاءة والانجاز والتقدم مهما كان الثمن المادي والمعنوي المدفوع فيها ، وترى أن البقاء للأصلح والأقوى دائما ، وتهمل كثيرا من القيم التقليدية البالية ، مثل البر بالضعفاء والشهامة والتقوى ومساعدة الغير ، والنازية حينما ابادت اليهود والعجزة فقد كانت تفعل ذلك لانهم « غير نافعين » وموضوعة تحويل اليهود إلى شعب منتج ـ كما بينا من قبل ـ كانت مطروحة في أوروبا ، وفي شرقها ووسطها بخاصة « وكان عدد كبير من يهود ألمانيا » « ايست يودين » أي من يهود شرق أوروبا ، الذين لفظهم الجيتو ، والذين لم تستوعبهم مجتمعاتهم أو أي من المجتمعات الأوروبية الأخرى ، نظرا لتخلفهم الحضاري والاقتصادي قد

حاولت ألمانيا التخلص من هذا الفائض الانساني غير النافع بارساله في قطارات ، الى بولندا . التي رفضتهم ، كما رفضتهم كثيرمن الدول الأخرى ، بما في ذلك الولايات المتحدة التي لم توافق على فتح أبواب الهجرة أمامهم . إن العالم الغربي ، برفضه لهؤلاء اليهود ، أيد ضمنيا ، الجريمة النازية ، ووافق على منطلقاتها الفلسفية ، حتى وإن لم يوافق على الشكل المتطرف الذي اتخذته .

ب ـ ويجب أن نتذكر أن الحل النازي للمسألة اليهودية لا يختلف كثيرا عن الحلول الغربية الامبريالية المطروحة للمشاكل المماثلة . فالنازية والامبريالية يصدران عن الايمان بتفوق الجنس الآري على الأجناس الأخرى ، وان هذا التفوق يعطي الحق للآريين في أن يتخلصوا من مشاكلهم عن طريق تصديرها للبلاد الأخرى ، حتى ولو أدى هذا إلى إبادة السكان الأصليين . والحل النازي لا يختلف عن ذلك ، فهو محاولة لتصدير المسألة اليهودية إلى الدول الأوروبية الأخرى (حيث إن المجال الحيوي للاستعمار النازي كان في أوروبا) فالنازيون ، حين وجدوا أن الطريق مسدودة أمامهم ، قاموا بتصدير اليهود (والغجر والسلاف) لمعسكرات الاعتقال لابادتهم هناك . إن الجريمة النازية هي نتاج منطقي للحضارة الغربية الحديثة ، وليست استثناء منها .

جـ ـ وثمة ظاهرة مشتركة بين النازيين والصهاينة ، (وهي أيضا سمة اساسية للحضارة الغربية) هي عقلانية الاجراءات والوسائل ، ولا عقلانية الهدف ، وقد أشار ماكس فيبر لهذه الظاهرة في

كتاباته ، فعملية العقلنة ، او الترشيد ، التي يتحدث عنها تنصب على الوسائل والأدوات فحسب ، أما الأهداف فهي أمر متروك لاختيار الأفراد . ومعسكرات الاعتقال والتعذيب ، سواء في ألمانيا النازية أم في إسرائيل الصهيونية هي مثال جيد على هذا الجانب في الحضارة الغربية . فهذه المعسكرات منظمة بطريقة « منهجية » تحسب فيها حسابات المكسب والخسارة ، وتحسب المدخلات والمخرجات . حتى التعذيب لا يتم بشكل عشوائي فردي وإنما يتم بشكل مؤسسي منظم (انظر الفصل الحادي عشر ، الذي يتناول طرق التعذيب الصهيونية) . ويقال إنه حتى حينما كان اليهود في طريقهم إلى غرف الغاز لم يكن مسموحا للجنود الألمان باساءة معاملتهم ، فعملية الابادة ، هذا النتاج الرائع لحضارة العلم والتكنولوجيا ، يجب أن تتم بحياد علمي رهيب ، يشبه الحياد الذي يلتزمه الانسان تجاه المادة الصماء في التجارب المعملية التي تتخطى حدود الخير والشر . أما الهدف من معسكرات الاعتقال والابادة والتعذيب ، أما المضمون الأخلاقي لهذه الأشياء ومدى عقلانيتها من منظور إنساني (لأن فكرة العقل والعقلانية لا وجود لهما خارج فكرة الانسان) ، فكل هذا متروك للزعيم أو للدولة أو للأهواء الشخصية أو للأسطورة الدينية القومية . ولعل هذا التزاوج بين العقلانية واللاعقلانية ناجم عن أن الحضارة الغربية الحديثة نتاج لحركة التنوير العقلانية ، والحركة اللاعقلانية المعادية للتنوير في ذات الوقت ، وهي أيضا نتاج انفصال النزعة الامبريقية عن النزعة العقلية ، فالتجريب لا يؤدي بالضرورة الى انتصار العقل والقيم الانسانية .

ولعل أكبر دليل على أن النازية جزء أصيل من الحضارة الغربية هو أن الرد الغربي على معسكرات الاعتقال والابادة لليهود لم يكن مغايرا ، في بنائه وفي سماته الجوهرية ، للجريمة النازية . فالغرب يحاول حل المسألة اليهودية بانشاء الدولة الصهيونية على جثث الفلسطينيين ، وكأنه يمكن أن تمحى جريمة أوشويتز بارتكاب جريمة دير ياسين . أو مذبحة بيروت . والغرب الذي أفرز هتلر وغزواته هو نفسه الذي ينظر باعجاب إلى الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان وبيروت وانحاء أخرى من العالم العربي ، وهو الذي ينظر بحياد وموضوعية للجريمة التي ارتكبت والتي ترتكب يوميا ، ضد الشعب الفلسطيني . إن الحضارة الغربية الحديثة قد أفرزت الامبريالية والنازية والصهيونية ، وهي إذ تتنكر الآن للنازية فهذا أمر مفهوم ، لأن أبعاد الجريمة والفضيحة ضخمة (خصوصا أن الجريمة ارتكبت ضد الشعوب الأوروبية) ، ولكن يجب ألا يخفى هذا الوضع عن أنظارنا ، أوعن أنظار الآخرين ، الحقيقة الأساسية ، التي تؤكد أن النازية جزء أساسي من الحضارة الغربية .

٣ - تهمل الدراسات الغربية للظاهرة النازية التشابه الفكري والتعاون الفعلي بينها وبين الصهيونية . وسأحاول في بقية هذا الفصل أن القي الضوء على بعض جوانب هذا الموضوع(لأن النقطتين الأولى والثانية تقعان خارج نطاق هذه الدراسة) أقول « القي الضوء » لأن القضية تحتاج إلى المزيد من الدراسة المكثفة ، والاطلاع على المصادر والوثائق الموجودة في كل أنحاء العالم ، والتي يمكن تجميعها واستخلاص النتائج منها .

وعلى الرغم من أن هذا الموضوع يثير الآن شيئا من الدهشة فان

الأمر لم يكن كذلك في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ، فكثير من المستوطنين الصهاينة ، كانوا يكنون الاعجاب للنازية ، وأظهروا تفهما عميقا لها ولمثلها ولنجاحها في « إنقاذ » ألمانيا[٨٢] . بل عدوا النازية حركة « تحرير وطني »[٨٥] (ربما مثل الصهيونية ، التي تزعم الآن أنها ، هي الأخرى ، حركة تحرير وطني) ، ولذا كان الشباب الصهيوني والمراجعون يهتفون « ألمانيا لهتلر ، إيطاليا لموسليني ، وفلسطين لجابوتنسكي »[٨٦] . وقد سجل حاييم كابلان ، وهو صهيوني كان موجودا في جيتو وارسو أثناء حصار النازي له ، أنه « لا يوجد أي تناقض بين رؤ ية الصهاينة والنازيين للعالم فيما يخص المسألة اليهودية ، فكلتاهما تهدف إلى الهجرة ، وكلتاهما ترى أن لامكان لليهود في الحضارات الأجنبية » وقد سجل كابلان أن هذه الكلمات كانت جديدة على النازيين تماما ، وأنهم لم يصدقوا آذانهم حينما سمعوها لأول مرة من أحد اليهود المحاصرين[٨٧] .

لقد ادرك الصهاينة طبيعة العلاقة بين النازية والصهيونية ، وهى علاقة ذات جذور مركبة ، يمكن ان نعود بها الى عدة عوامل ، من بينها الأصول الالمانية للزعامات الصهيونية . فهرتزل ونوردو كانا يكتبان بالألمانية ويتحدثان بها ، وكانا ملمين بالتقاليد الحضارية الألمانية ويكنان لها الاعجاب . أما بخصوص الزعماء الصهاينة من شرق اوروبا ، فلغتهم كانت اليديشية ، وهى رطانة المانية اساسا ، كما كان اليهود معجبين للغاية بالحضارة البروسية النوردية أو الآرية ، ولا يكنون احتراما كبيرا للحضارات السلافية . ومن المعروف أنه حينما دخلت الجيوش الالمانية روسيا ، أثناء الحرب

العالمية الأولى ، قد خف اليهود الروس لاستقبالها ، بوصفها محررة ومنقذة لليهود(٨٨) . ولعله لم يكن من قبيل الصدفة أن لغة المؤتمرات الصهيونية الأولى كانت الألمانية ، وان هذه اللغة كانت تمثل تحديا حقيقيا للعبرية حينما نوقشت مسألة لغة الوطن القومي ، ونشب ما يسمى « بحرب اللغة » في المستوطن الصهيوني . ولعله ليس من قبيل الصدفة أيضا أن هرتزل ـ أثناء بحثه اللاهث عن قوة استعمارية تتبنى مشروعه الاستيطاني ـ توجه ، في باديء الامر ، لقيصر ألمانيا . وتزخر مذكرات هرتزل بعبارات الاعجاب والاشادة ببروسيا وبعبقريتها . بل إن جولدمان يرى أن هرتزل قد توصل إلى فكرته القومية من خلال معرفته بالفكر والحضارة الألمانية(٨٩) .

وقد يكون من التبسيط بمكان أن نتحدث عن الفكر الصهيوني والنازي على انهما قد تأثرا بالفكر الرومانتيكي الالماني بدرجة واحدة ، فمن الواضح أن هذا الرافد الفكري قد أثر في الفكر النازي بشكل مباشر عميق ، وأثر في الفكر الصهيوني بشكل أقل مباشرة ، وربما أقل قوة ، ومن الواضح أيضا أن الفكر الصهيوني ، نظراً لانتقائيته ، قد تأثر بأنساق فكرية خارج الفكر الرومانسي الألماني ، فقد أثرت أفكار تولستوي في جوردون ، كما ترك الفكر الماركسي بعض ألاثر السطحي على بوروخوف . أما في حالة هوراس كالن وبرانديز فقد تأثرا بالليبرالية والبرجماتية . ولكن هذا كله لا ينفي أن الفكر الرومانتيكي الألماني ، وفكرة الحركة الجرمانية الجامعة ، قد تركتا أثرهما القوي والعميق أحيانا ، على بنية الفكر الصهيوني ذاتها ، الأمر الذي يفسر التشابه البنيوي بين الفكرين . وان كان يجب ألا ننسى أن ثمة مصادر فكرية مشتركة أخرى بين الفكرين (أساطير العهد القديم وتحويلها من أساطير دينية إلى عقائد سياسية ـ

الفكر الامبريالي ـ النظريات العرقية) ولكننا سنركز في هذا الفصل على الجوانب التي تعود أصولها للفكر الرومانتيكي الألماني فحسب .

ولعل أهم الأفكار الأساسية في الفكر الألماني الرومانتيكي ، هو رفضها للعقل الانساني وفعاليته ، بوصفه أداة ناقصة قاصرة عن فهم العالم وتغييره (والفكر الرومانتيكي الألماني هو ذروة الفكر المعادي للتنوير) . وبدلا من العقل تحل الرومانتيكية فكرة الخيال ، والحدس ، والعقل الجمعي ، والماضي المشترك ، والجماعة العضوية . والصهيونية ـ هي الاخرى كما ذكرنا من قبل ـ ، جزء من هذه الحركة الرومانتيكية اللاعقلانية . فالكتابات الصهيونية تموج بالاشارات التي تغلب العاطفة على العقل ، واللاوعي على الوعي ، والمطلقات الصوفية على الظواهر التاريخية الانسانية . يقول العالم اللغوي الصهيوني اليعازر بن يهودا (١٨٥٨ ـ ١٩٢٣) « يتحرك قلب الانسان بالعاطفة وليس بالعقل . . لأن قلب الانسان رقيق يمكن التغلب عليه بمثل هذه العاطفة »[٩٠] . أما موسى هس ، فيلسوف النكسة التي صدرت عنها الصهيونية ، فهو في عودته لشعبه يعود لعاطفته « لقد تبين لي أن العاطفة التي ظننت أني قد كبتها ، عادت إلى الحياة من جديد . . تأججت هذه العاطفة نصف المخنوقة في صدري محاولة التعبير عن نفسها »[٩١] . وهو يحدد هذه العاطفة بأنها عاطفة صوفية ، « إنها التفكير في قوميتي التي ترتبط برباط لا تنفصم عراه بتراث أسلافي ، وبالأرض المقدسة ، وبالمدينة الخالدة » وما الى ذلك من اشياء سرمدية ! . وهو يعي تماما « لاعقلانية » موقفه الجديد ، إذ يؤكد أن العودة هى عودة لمجرى التاريخ اليهودي « الذي اهمله العقلانيون كثيرا » وان استمداد « الالهام من منابع اليهودية الرئيسية » ، « سيوقظ في الافئدة اليهودية الروح الوطنية ، التي تحلى بها الأنبياء والحاخامات » ، وفي هذا خير رادع

للعقلانية الهدامة[٩٢] .

وتعبر هذه اللاعقلانية عن نفسها في أشكال وطرق كثيرة أهمها فكرة « الفولك » ، وروابط الدم والتراب العضوية . « والفولك » ، أو الشعب ، هو كيان عضوي متكامل ، « أبدى ، ونتاج للنمو الحتمي للسمات الفطرية ، » يحاول التعبير عن عبقريته الخاصة من خلال وحدته القومية وأنساقه السياسية وأشكاله الفنية الخاصة به . والحركة الصهيونية بدأت تاريخها مع اكتشافها لليهود « كفولك » أو كشعب : كيان جماعي له تاريخه الخاص وتراثه الحضاري المتميز بل وسماته البيولوجية الخاصة به . وقد استفاد مارتن بوبر استفادة كبيرة من هذا المفهوم وأعاد صياغة التراث اليهودي من منظوره ، ونسب إلى اليهود كل السمات الصوفية ، كالانفصال والتفوق ، التي ينسبها الرومانتيكيون الأوروبيون إلى اممهم ، واستخدم عبارات وشعارات مثل « التراب والدم »[٩٣] . وكان كل من بيرديشفسكي وتشرنحوفسكي يتحدثان عن الشعب اليهودي بالعبارات نفسها وينسبان له الخصائص نفسها ، وفي حديثنا عن التعريف العرقي لليهودي الخالص ، أشرنا الى استخدام الصهاينة لمفهوم « الدم اليهودي » .

ويفترض التصور الرومانتيكي أن اليهودي والألماني هم يهود والمان ، بغض النظر عن الزمان والمكان ، وبغض النظر عن الحدود والمؤسسات السياسية التي يتواجدون داخلها ، لأن انتماء الانسان السياسي ليس أمرا ذا بال ، إن عقائد الانسان السياسية هى أمر من اختياره ، بينما علاقة الانسان « بالفولك » هى شيء يعلو على الإرادة والوعي الفرديين ، ولذا فإن جميع الاشخاص المنحدرين من العرق الالماني ، أو الذين تربطهم قرابة الدم بالاصل الألماني يكون ولاؤهم

الاول لألمانيا ، ويجب أن يصبحوا مواطنين في الدولة الالمانية ، وطنهم الحقيقي . قد يكونون قد نشأوا وترعرعوا ، هم وآباؤهم واجدادهم ، تحت سماوات اجنبية أو في بيئات غريبة : لكن حقيقتهم الأساسية تبقى المانية . وقد سبق أن اقتبسنا آراء بعض الصهاينة في مسألة ولاء اليهودي لوطنه الصهيوني الحقيقي فحسب .

أكثر من هذا ان النازيين كانوا يؤمنون أيضا بوجود دياسبورا المانية Auslandeutsch ، تربطها روابط عضوية بالارض الالمانية ، واعضاء هذا الشتات الالماني مثل اعضاء الشتات اليهود تماما ، يجب ان يعملوا من اجل الوطن الام . وبما ان العودة للوطن الأم أمر عسير ، كما هو الحال مع الصهاينة ، اقترح النازيون ما يشبه نازية الشتات ، (مثل صهيونية الشتات) ، عن طريق تشجيع الالمان في الخارج على دراسة الحضارة واللغة الالمانية ، وكان للصهاينة ما يشبه المنظمة النازية العالمية Ausland organization التي كانت لها صلاحيات تشبه صلاحيات المنظمة الصهيونية العالمية ، ولها مكانة في المانيا تشبه من بعض الوجوه ، مكانة المنظمة الصهيونية في اسرائيل ، وقد تعاون الالمان في كل انحاء العالم مع السفراء والقناصل الالمان تماما كما يتعاون اليهود والصهاينة مع سفراء وقناصل اسرائيل في بلادهم[٩٤] .

وقد عمقت كل من النازية والصهيونية الاعتزاز بالخصوصية القومية وكره الغير ، كما أكدتا النقاء العنصري كتعبير عن البعد عن الاغيار . وقد حولت الصهيونية النبي عزرا الى بطل قومي (بعد نزعه من سياقه الديني) ، وتحول هذا النبي ، الذي كان يعادي الزواج المختلط ، الى بطل صهيوني يدافع عن الذات القومية ، وقد أشار المنظر النازي سترايخر ، اثناء محاكمته ، الى هذا التصور الصهيوني للنبي عزرا : لقد أكدت دائما حقيقة أن اليهود يجب ان يكونوا

النموذج الذي يجب أن تحتذيه كل الاجناس ، فلقد خلقوا قانونا عنصريا لانفسهم ، قانون موسى الذي يقول : « اذا دخلت بلدا أجنبيا ، فلن تتزوج من نساء أجنبيات »[٩٥] . وما ينساه الصهاينة والنازيون ان النبي عزرا ، حينما يتحدث عن النقاء العنصري ، فهو - في الواقع - كان يتحدث عن النقاء الديني ، فالزواج من اجنبية يعني ، في واقع الامر ، الزواج من أنثى « غير مؤمنة » ولعل النبي عزرا لو سمع كلمات النازيين والصهاينة لما تمكن من فهمها أو فهم حتميتها البيولوجية .

ويعبر « الفولك » عن نفسه في شكل سياسي اساسي هو الدولة ، فالدولة ليست نتاج تعاقد بين الافراد ، (حسب التصور الفرنسي الليبرالى) وانما تسبق الدولة وجود الافراد وتتخطى ارادتهم . وقد سيطرت فكرة الدولة (الهيجيلية) على النازيين والصهاينة ، فهرتزل يرى أن الارض ذاتها ليست الا اساسا ماديا ، واما الدولة فهى دائما شيء مجرد زائف[٩٦] . بل ان هرتزل - كما بينا - كان معجبا بالدولة البروسية بالذات ، نموذج هيجيل الشهير . وتقديس الدولة - بالمعنى الحرفي - تيار أساسي في الفكر الصهيوني ، ففي حديث لصحيفة معاريف (٢٥ يناير ١٩٧٤) قال آرييل شارون ان أهم وأعظم القيم هى مصلحة الدولة ، فالدولة هى « القيمة العظمى »[٩٧] أي انه يرفع الدولة الى مصاف القيم المطلقة (وهذا مثال آخر على تداخل المطلق بالنسبي والمقدس بالقومي) .

وفكرة « الفولك » تتضمن وجود علاقة عضوية بين الدم والتراب ، او بين الانسان والارض ، وهذا يعني عدم احترام الحدود السياسية ، وضرورة التعامل مع الواقع من منظور « المجال

الحيوي » ، وقد عرف ستراتجر المانيا العظمى بأنها « أرض يمكن ان يعيش فيها كل الالمان ، وكل المتحدثين بالالمانية ، وكل الشعوب التي تجري في عروقها دماء المانية[٩٨] » وكل هذا ، يعني بطبيعة الحال ، ان الحدود التاريخية أو المقدسة تحل محل الحدود السياسية . وقد تناولنا من قبل التوسعية الصهيونية والحدود الصهيونية التي لا حدود لها .

وثمة موضوعات اخرى مشتركة بين النازية والصهيونية ، تعود جذورها الى الرومانتيكية الالمانية وفكرة الفولك ، فقد أكد النازيون أهمية التراث النوردي وأساطيره الشعبية ، وحولوه الى نوع من الدين ، ومصدر للقيم المطلقة ، وتعبير عن خصوصية الشعب ، وقد نظر الصهاينة لليهودية بوصفها فولكلور الشعب اليهودي ، والتعبير الديني عن عبقريته القومية، وليست مصدرا للقيم الاخلاقية . ففكرة العهد بين الله والشعب ، الذي منح الخالق بمقتضاه الشعب ارض فلسطين المقدسة ، هى بمثابة الاسطورة الشعبية لبن جوريون ، التي يستخلص منها ـ مع هذا ـ برنامجا سياسيا . وهو يقرر حدود دولته مسترشدا بمفاهيم العهد القديم ، الذي لم يكن هو نفسه مؤمنا به لأنه ملحد ، ولكنه يتخيله كتابا من كتب الأساطير الشعبية ، فاليهودية هنا مصدر للقيم المطلقة ، لا باعتبارها ديناً مرسلاً من الله ، وانما بوصفها تراث اليهود الشعبي .

وتشارك الصهيونية النازية في فكرة « النبي » الذي يجسد المطلق القومي ، وصورة النبي العسكري (بن جوريون ، الفوهرر) تسيطر على الوجدان الصهيوني سيطرتها على الوجدان النازي . ومن الموضوعات المتفرعة عن فكرة « الفولك » ايضا فكرة الاختيار ، وقد تناولنا هذه الفكرة عند الصهاينة من قبل . وقد سئل هتلر عن سبب

معاداته لليهـود ، فكانـت اجابتـه قصـيرة ، بقـدر ما كانـت قاسية وواضحة : « لايمكن ان يكون هناك شعبان مختاران . ونحن وحدنا شعب الله المختار . هل هذه اجابة شافية على السؤ ال ؟[٩٩] » .

وقد تأثر الصهاينة ، مثل النـازيين ، بكتابـات نيتشـه وفختـه ، فآحاد هعام ومارتن بوبر وبيرد يشفسكي ، قد قرأوا أعمال الفيلسوف الالماني وتشربوها (وفي تصـوري أن آحـاد هعـام وبوبـر هما أهـم مفـكرين صهيونيين على الاطـلاق) ، فنجـد في كتابـات النـازيين والصهاينة كثيرا من الموضوعـات التـي تتواتـر فيهـا كتابـات نيتشـه (السوبرمان ـ التركيزعلى الماضي والمستقبل دون الحـاضر ـ احتقـار أخلاق العبيد والدياسبورا ـ انكار التـاريخ ـ معـاداة الفـكر ـ دين دون اله) .

ولـكن العلاقـة بـين النـازية والصهوينـة تتعـدى مجـرد التماثل البنيوي ، ، والتأثير والتأثـر الفـكري ، اذ ثمـة علاقـة فعلية على مستـويات عدة : ولنبـدأ بأدناهـا ، وهـو كيفية استغـلال النـازيين للدعاية الصهيونية في الترويج لرؤ يتهم الاجـرامية . وقـد تنـاول بنيامين ماتوفو هذا الجانب من العلاقة في دراسته « الرغبة الصهيونية والعقل النازي »[١٠٠] ويؤ كد الكاتب أن الصهيونية مسئولة ، الى حد كبير ، عن الجريمة النازية لأن الصهاينة نشروا في المانيا ذاتها المزاعم الصهيونية الخاصة بالتميز اليهودي العرقي والانفصال القومي عن كل اوروبا . ويوثق الكاتب مقولته بالاشـارة الى عدد من التصريحات التي أدلى بها زعماء الصهاينة ، فيشير ـ على سبيل المثال ـ الى خطبة القاها ناحوم جولدمان في جامعة هايدلبرج عام ١٩٢٠ (ثلاثة عشر عاماً قبل ظهور كفاحي) . وقد زعم جولدمان ، في خطبته هذه .

« ان اليهـود شاركوا ، بشـكل ملحـوظ للغـاية ، في الحـركات التخريبية ، وفي اسقـاط الحكومـة في نوفمبـر ١٩١٨ » . وقـد أكد جولدمان أيضا أنـه لا توجـد أي عوامـل مشتـركة بـين يهـود المانيا والالمان ، وان الالمان عندهم الحق في ان يمنعوا اليهود من الاشتراك في شئون « الفولك » الالماني .

وقد ادلى جولدمان وكلاتزكين بتصريحاتهما عن ضعف ولاء اليهود لأوطانهم في المانيا في الفترة نفسها (وهى التصريحات التي اوردناها في الفصل الثامن) . وقد اكد كلاتزكين أن « اليهود » غرباء . . شعب اجنبي . . يود أن يبقى على هذه الحالة . « ولكي يضرب مثـلا على انعزالية اليهود قال ان اليهود قد هودوا حتى لغتهم ، وهـى تسمـى يديش (اي يهودي) . أما وايزمان فقـد وصف عـلاقـة الالمان باليهود ، باستعارة استقاها من عملية الهضم . فهو يرى ان كل بلاد يمكنهـا استيعـاب عدد محـدود من اليهـود ، اذا كانـت تود تحاشي الاضطرابات المعوية ، وبحسب رأيه فإن المانيا « كانت تحتوي فعلا على عدد اكثر من اللازم من اليهود » .

كل هذه التصريحات المعادية للسامية خدمـت النـازيين في حملـة الكراهية التي شنوهـا ضد اليهـود ، اذ قامـوا بطباعـة التصريحات والكتيبـات الصـهيونية التـي كانـت تشـكل الاسـاس الفـكري « للهجمات النـازية ضد اليهـود » ووزعوهـا . وقـد قال الفـريد روزنبرغ ، أهم المنظرين النازيين ، والذي صدر عليه حكم الاعدام في نورمبرج ، انـه جمع كثيرا من آرائـه هو شخصيا من الادبيات الصهيونية ، ومن المؤ رخين الصهاينة ، واشار الى دعوة مارتن بوبر لليهـود أن يعـودوا الى احضـان آسيا ، وقـال روزنبـرج أثنـاء

محاكمته : « بوبر ، على وجه الخصوص ، أعلن ان اليهود يجب ان يعودوا الى ارض آسيا ، لأن هناك ، وهناك فقط ، يمكن العثور على جذور الدم اليهودي والشخصية القومية اليهودية » .

ويمكن القول ان الزعماء الصهاينة ، حينما ادلوا بهذه التصريحات ، لم يكن يدور بخلدهم أن النازيين سيستغلونها . وقد يكون في هذا شيء من الحق ، وان كان ذلك لا يعفيهم من المسئولية . ولكن ثمة اشكال للعلاقة بين النازية والصهيونية تمت بشكل واع بين الطرفين ، اذ يبدو ان الصهاينة لم يبدوا حماسا كبيرا في حربهم ضد النازية ، وأنهم كانوا غير مكترثين بالمقاومة ضد النازيين . وقد حذر كاوتسكي الجميع ، في مجال هجومه على الاستعمار الصهيوني ، من الآثار الضارة للصهيونية ، التي توجه جهود اليهود وثرواتهم « في الاتجاه الخاطىء (الاستيطان في فلسطين) ، في وقت تتقرر فيه مصائرهم في مسرح مختلف تماما ، (أوروبا والمانيا) ، يجب عليهم ان يركزوا فيه كل قواهم (١٠١) « وكان كاوتسكي يشير الى ملايين اليهود في شرق اوروبا (بين ثمانية وعشرة ملايين) الذين لم يكن من الممكن تهجيرهم الى فلسطين ، وبدلا من تنظيمهم وتوجيه طاقاتهم ، حتى يكونوا مهيئين للدفاع عن انفسهم حينما تقع الواقعة ، فإن القيادات الصهيونية كانت تركز على تهجير بضع مئات منهم الى ارض الميعاد .

بل ان المسألة ، كما يبدو ، تتخطى مجرد عدم الاكتراث بمصير اليهود ، اذ يبدو أن الصهاينة اكتشفوا ، اثناء الارهاب النازي ضد اليهود ، ذلك التناقض العميق بين فكرة الدولة اليهودية ومحاولة انقاذ اليهود . وفي حديث ادلى به احد الزعماء الصهاينة ، هو اسحاق جرينباوم ، رئيس لجنة الانقاذ بالوكالة اليهودية ، أمام اللجنة

التنفيذية الصهيونية ، في ١٨ فبراير ١٩٤٣ ، قال انه لو سئل عما اذا كان من الممكن التبرع ببعض أموال النداء اليهودي الموحد « لانقاذ اليهود » فإن اجابته ستكون قاطعة « كلا ، ثم كلا . يجب ان نقاوم . . . هذا الاتجاه نحو وضع النشاط الصهيوني في المرتبة الثانية » ، « ان بقرة واحدة في فلسطين اثمن من كل اليهود في بولندا » ، [١٠٢] وكان وايزمان قد عبر عن نفس الفكرة النفعية عام ١٩٣٧ حينما قال « ان العجائز سيموتون . . فهم تراب . . وسيتحملون مصيرهم . . وينبغي عليهم ان يفعلوا ذلك[١٠٣] » .

وقد اكتشف النازيون أيضا عمق تناقض مصالح الصهاينة مع اليهود . ولعل هذا ما يفسر أن الصهاينة عدوا عدوهم الحقيقي اليهود الأرثوذكس و« الجماعة المركزية للمواطنين اليهود من أتباع العقيدة الموسوية »[١٠٤] (التي يدل أسمها على اتجاهها الاصلاحي) ولعله يفسر أيضا لم كانت تتسم علاقة الدولة النازية بالمنظمات الصهيونية بشيء من الود والتفاهم . فالأرثوذكس والاصلاحيون كانوا يطالبون بمنح اليهود حقوقهم كمواطنين ، وباندماجهم في مجتمعاتهم ، أما الصهاينة فيعارضون الاندماج ، ويعارضون منح اليهود أي حق ، إلا حق الهجرة إلى الوطن القومي اليهودي . وقد جاء في دراسة إسرائيلية أن المنظمات والأفراد غير الصهاينة هم الذين أخذوا زمام المبادرة في حركة المقاومة ضد النازي ، وتحملوا وحدهم عبئها ، وأنه كلما كان النضال أشد ضراوة ، كان الصهاينة يزدادون ابتعادا عن بقية اليهود[١٠٥] . ومن المعروف أن القوات النازية كانت تقيم مجالس لليهود في البلاد التي تحتلها بعد حل كل التنظيمات اليهودية ، ويقال إن غالبية أعضاء هذه المجالس كانوا من الصهاينة (وإن كان هذا يحتاج إلى مزيد من التمحيص) .

بل يبدو أن النظام النازي لم يسمح إلا للصهاينة وحدهم بمزاولة نشاطهم ، بينما منع الاندماجيون والأرثوذكس من إلقاء الخطب ، أو الادلاء بتصريحات ، أو جمع التبرعات أو مزاولة أي نشاط آخر . وقد قام كورت جروسمان ، في **كتاب هرتزل السنوي** (الجزء الرابع) ، بدراسة الموضوع ، ونشره تحت عنوان « الصهاينة وغير الصهاينة تحت حكم النازي في الثلاثينات » ، وقد ألحق الكاتب بالمقال ثماني وثائق نازية تحمل كلها توجيهات للشرطة خاصة بتنظيم النشاط اليهودي في ألمانيا النازية . وأول هذه التوجيهات (رقم ٣٥٤٢٠/ ٣٤ ١ ١٨) صادرة من الشرطة السياسية في بافاريا (بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٣٥) وهي خاصة بمنظمات الشباب اليهودي ، وجاء فيها أن إعادة بعث المنظمات الصهيونية « التي تدرب اليهود تدريبا مهنيا على الزراعة والحرف ، قبل هجرتهم إلى فلسطين ، هو أمر في صالح الدولة النازية . بينما جاء في توجيه آخر (رقم ١٧١٨٦/ ٣٥ ١ ١٨) بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٣٥ ، أنه « يجب حل المنظمات اليهودية التي تدعو إلى بقاء اليهود في ألمانيا وقد منع مواطن صهيوني ، اسمه جورج لوبنسكر ، من إلقاء الخطب عن طريق الخطأ ، ولكن التوجيه رقم ١٩١٠٦/ ١ ٣٥ ١ ١ ب يصحح هذا الوضع ، إذ صدر أمر بالسماح له بممارسة نشاطه ، لأنه « مدافع بليغ عن الفكرة الصهيونية . . وتعهد بأن يساعد على هجرة اليهود في المستقبل دون أي عوائق » .

وكان النازيون مهتمين كثيرا بنشاط المراجعين ، ولذا صدر تصريح (رقم ١٧٩٢٩/ ٣٥ ١ ١ ب) « لمنظمتي » الشباب القومي الهرتزلي و« بريت هاشموريم » بأن يرتدوا أزياءهم الرسمية أثناء اجتماعاتهم . وقد أعطى التصريح ، كما جاء في التوجيه ، بشكل استثنائي ، لأن صهاينة الدولة (أي المراجعين) « قد برهنوا على أنهم المنظمة التي تحاول ، بكل السبل ، حتى غير الشرعية منها ، أن

ترسل أعضاءها الى فلسطين . . والتصريح بارتداء الزي سيكون حافزا لأعضاء المنظمات اليهودية الألمانية أن ينضموا إلى منظمة الشباب الخاصة بصهاينة الدولة حيث سيتم حثهم بشكل أكثر كفاءة ، على الهجرة إلى فلسطين » . وقد صدر تصريح (بتاريخ ٩ يوليه ١٩٣٥ ، ١٩٠٥٢/ ١٣٥ ١ ١ ب) للمنظمات الصهيونية بجمع التبرعات من أجل تشجيع الهجرة والاستقرار في فلسطين ، ولشراء الأراضي هناك ، وقد منح التصريح « لأن هذه التبرعات تساهم في الحل العملي للمسألة اليهودية » .

وقد كشفت لنا محاكمة ايخمان بعض جوانب العلاقة بين النازيين والصهاينة ، فايخمان كان معجبا ، أيما إعجاب ، بالصهيونية . فقد كان على ـ حد قوله ـ مثاليا ، والمثالي ليس ذلك الانسان الذي يؤمن بفكرته فحسب ، بل هو الرجل الذي يعيش من أجل فكرته ، ولذلك فهو على استعداد للتضحية بكل شيء ، بل وبالجميع ، من أجلها(١٠٦) وقد وجد أن الصهاينة ينتمون لهذا النمط المثالي نفسه ، وحينما تولى مسئولية الاشراف على اليهود أوصاه رئيسه بقراءة إنجيل الصهيونية ـ كتاب هرتزل **الدولة اليهودية** ، وفور انتهائه من قراءة الكتاب أصبح ايخمان ـ على حد قوله ـ صهيونيا ، يطالب بوضع « شيء من الأرض الراسخة تحت اقدام اليهود » ، وقد بلغ إعجاب إيخمان بهرتزل أن عبر عن استيائه الشديد من الذين دنسوا مقبرته وشوهوها(١٠٧) ولم يكن إيخمان صهيونيا فكريا فحسب (مثل بعض صهاينة الشتات) ، بل كان صهيونيا عمليا وفعالا . لقد كان على استعداد للعمل من أجل تحويل فكرة « العودة » إلى أرض الميعاد إلى حقيقة وواقع . وقد دعاه بعض الصهاينة لزيارة الكيبوتزات في فلسطين ، محاولين بذلك كسبه لصفهم ، فوصل الى حيفا فعلا ، ولكن السلطات الانجليزية رحلته على الفور(١٠٨) . وقد ساعد إيخمان

الصهاينة على تأسيس معسكرات تدريبية للمهاجرين اليهود ، بل إنه طرد مرة مجموعة من الراهبات من ديرهن حتى يزود بعض الشباب اليهود بمزرعة تدريبية[١٠٩] .

وأشكال التعاون بين النازيين والصهاينة ، التي تناولناها حتى الآن ، تمت بشكل غير مقصود (تصريحات صهيونية يستفيد منها النازيون) ، أو التقاء عفوي في منتصف الطريق (نشاط صهيوني يشجعه النازيون) . ولكن ثمة أشكال أخرى عن التعاون الواعي ، الذي تم عن طريق المفاوضات ، وانتهى بعقد اتفاقية بين الطرفين . هذه الاتفاقية هي الهعفراه[١١٠] ، وهي كلمة عبرية تعني « نقل » - أي نقل السكان اليهود من المانيا إلى فلسطين ، وهو المثل الأعلى للنازي والصهيوني معا . وقد عقدت هذه الاتفاقية بين النازيين والمستوطنين الصهاينة في فلسطين ، وبمقتضاها صرح النازيون لليهود بالهجرة ، ووافقوا على الافراج عن أموالهم على أن تودع في أحد البنوك الالمانية وأن يتم إنفاقها داخل ألمانيا ذاتها ، عن طريق شراء البضائع والآلات ، وذلك مقابل كسر المنظمة الصهيونية العالمية للحصار الاقتصادي الذي فرضه يهود العالم على البضائع الألمانية . وقد احتج بعض المندوبين في المؤتمر الصهيوني التاسع عشر (١٩٣٥) على هذا التعامل بين الطرفين ، ولكن لم يتخذ أي قرار في هذا الشأن . وقد منحت ألمانيا لمؤسسة الهعفراه الصهيونية حق احتكار البضائع الالمانية المصدرة إلى فلسطين . وكان من نتائج هذه الاتفاقية استيراد خبرة الفنيين اليهود الألمان والآلات الالمانية التي كانت تحتاجها المستوطنات الصهيونية ، كما زادت الصادرات الألمانية إلى فلسطين ثلاثة أضعاف من عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٣٧ (من ١١ مليون مارك إلى ٣٢ مليون مارك). وعندنشوب الحرب العالمية الثانية ، كان يتبع الهعفراه ١٢ ألف حساب مصرفي ، وكانت قد تعاملت مع ١٦٠ بنكا ، وقامت

بنصف مليون عملية ، وبلغ مجموع ما حولته الهعفراه ما يعادل ١٤٠ مليون مارك وقد انعش هذا اقتصاديات المستوطن الصهيوني ، فشاهد فترة رخاء،ويقال إن هذه الفترة هي التي تدعم فيها الأساس الاقتصادي للمستوطن الصهيوني ، وهي الفترة التي أدت أيضا إلى إفساد البناء الاقتصادي للمجتمع الفلسطيني . وليس من قبيل الصدفة أن ثورة ١٩٣٩ الفلسطينية جاءت في اعقاب تنفيذ اتفاقية الهعفراه . كما كان لتنفيذها انعكاسات طيبة على الاقتصاد النازي أيضا خاصة أنها نجحت في كسر الحصار اليهودي على السلع النازية .

ولكن الأهم من هذا كله كان في مجال الهجرة الصهيونية ، فتهجير اليهود هو الأرضية الأيديولوجية المشتركة بين الصهاينة والنازيين . وقد ساهم الجستابو وفرق الأس . اس . في عمليات الهجرة الصهيونية،وحينما حددت سلطات الانتداب عدد اليهود المسموح بدخولهم فلسطين ، ساهمت وزارة الاقتصاد في عملية تهجير اليهود على النحو التالي:تودع أموال المواطنين اليهود ، الراغبين في الهجرة ؛ في أحد البنوك كما بينا من قبل ، ثم تقوم المنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية بشراء بضائع بقيمة هذه الأموال . عندئذ تقوم المنظمة بدفع مبلغ من المال للمهاجر اليهودي ، مما يجعل من السهل تصنيفه على أنه « رأسمالي » الأمر الذي ييسر له دخول فلسطين تحت نسبة الرأسماليين إذ كانت النسب الأخرى لا تسمح بذلك. وقد هاجر حوالي ٦٠ ألف يهودي ، بمقتضى معاهدة الهعفراه ، بين عامي ١٩٣٣ - ١٩٣٩ .

وإلى جانب التعاون التنظيمي المعلن ، توجد حالات من التعاون الفردي غير المعلن ، مثل حالة كاستنر ونوسيج[١١١] . أما رودولف كاستنر (١٩٠٦ - ١٩٥٧ . فهو أحد زعماء الحركة الصهيونية في رومانيا والمجر ، وشخصية قيادية في حزب الماباي ، ترأس عددا من

المنظمات الشبابية الصهيونية ، ورأس تحرير بعض المجلات الصهيونية ، وكان نائب رئيس المنظمة الصهيونية في المجر ، ثم أصبح مسؤ ولا عن « إنقاذ » المهاجرين اليهود من بولندا وتشيكوسلوفاكيا . وقام بالاتصال بالمخابرات المجرية والنازية (التي كان لها عملاء يعملون داخل المجر ، حتى قبل احتلال القوات الالمانية لها) لتحقيق أهدافه ، وقد زادت محاولات « الانقاذ » هذه بعد الاحتلال النازي في إطار تبادل المهاجرين اليهود في مقابل البضائع .

وقد زاد التعاون بين كاستنر والنازيين حتى وصل الى درجة العلاقة المباشرة التي ربطته بايخمان فزار كاستنر ألمانيا عدة مرات ، و« نجحت » جهوده حينما سمح النازيون عام ١٩١٤ بارسال ٣١٨ يهودياً ثم ١٣٨٦ يهودياً من أحد معسكرات الاعتقال إلى فلسطين . (« يهود من أفضل الموادالبيولوجية » ـ على حد قول ايخمان) في سبيل أن يسود الهدوء بين اليهود المرحلين إلى معسكرات الابادة حيث تنتظرهم افران الغاز ،ويبدو أن كاستنر فد نفذ ما يخصه من الصفقة ، حين أقنع اليهود الذين تقلهم القطارات إلى معسكرات الابادة بأنهم ذاهبون في الواقع إلى أماكن أخرى يستقرون فيها أو أنهم كانوا في طريقهم إلى معسكرات تدريب مهني . وثمة نظرية تقول إنه كان من المستحيل على النازي شحن هذه الآلاف المؤلفة من اليهود دون تعاون القيادات الصهيونية .

وقد استوطن كاستنر في إسرائيل ، وأصبح محررا لاحدى مجلات الماباي الناطقة باللغة المجرية ، ولكن في عام ١٩٥٣ ، وزع أحد المواطنين الاسرائيليين منشورا بين فيه مدى تعاون كاستنر مع النازيين ، ودفاعه عن أحد الضباط النازيين أثناء محاكمة نورمبرج ، الأمر الذي أدى إلى الافراج عنه (أي أن حماس كاستنر للنازيين

استمر حتى بعد سقوط النظام النازي) . وقد قام الحزب الحاكم في إسرائيل بمحاولات مضنية لانقاذ كاستنر ، ولكن إحدى المحاكم الاسرائيلية حكمت بأن معظم ما جاء في المنشور يتطابق مع الواقع ، وبعد إشكالات قضائية كثيرة حسمت المسألة (لحسن حظ الحزب الحاكم) حينما أطلق أحدهم الرصاص على كاستنر وهو يسير في الشارع .

وأما الفريد نوسيج (١٨٦٤ - ١٩٤٣) فهو فنان نمساوي ، وكان من أوائل الدعاة للصهيونية ، ففي كتاب له ، عنوانه **محاولة لحل المسألة اليهودية** (١٨٨٧) ، طالب بانشاء دولة يهودية كحل وحيد لهذه المسألة . وقد حضر المؤتمر الصهيوني الأول ، ولكنه اختلف مع هرتزل على مواضيع تفصيلية . وقد أقام نوسيج عدة تماثيل ذوات طابع صهيوني واضح ،وكان نوسيج متشربا بالثقافة الألمانية ، متحمسا لها ، كما هو الحال مع معظم الزعماء الصهاينة ، فعمل جاسوسا للألمان أثناء الحرب العالمية الثانية ، ووضع خطة لابادة اليهود الالمان المسنين والفقراء . وحينما وصلت القوات النازية إلى بولندا ، قام نوسيج بتقديم عدة خطط للهجرة اليهودية ، فعينه النازيون عضوا في مكتب لقسم الشئون اليهودية ، ورئيسا لقسم الفنون (اليهودية) التابع له . وقد اكتشفت المقاومة اليهودية تعاونه مع النازي ، وانه عضو في الجستابو ؛ فأطلقت عليه النار عام ١٩٤٣ وختمت حياته .

وكما قلت في البداية فان هذا الموضوع يستحق الدراسة منا ، لأنه لا يلقي الأضواء على الحركة الصهيونية فحسب ، وإنما على الايديولوجية النازية ، بل وعلى الحضارة الغربية كلها . وقد تجمع في العالم عدد لا بأس به من الوثائق التي يمكن أن تجيب على بعض الأسئلة ، وأن تثير أسئلة جديدة . وسلوك الصهاينة وتعاونهم مع النازيين في الحملة ضد اليهود ، ثم في إبادتهم ، كان أمرا منطقيا

— ٣٥٩ —

متسقا مع رؤيتهم . وإذا كان كثير من البشر لا يسلكون دائما سلوكا منطقيا متسقا مع رؤاهم الأيديولوجية ، وأنهم حينما يجابهون الواقع ، حتى ولو كان ترجمة عملية لرؤاهم ، فانهم يفزعون منه ، فان المدهش في حالة الصهاينة ، ربما بسبب تجريدية رؤاهم الحادة وتجردهم الكامل من الخلق الديني والانساني ، أنهم سلكوا تجاه بني جلدتهم واخوانهم سلوكا يتسق اتساقا كاملا ومخيفا مع منطق الأسطورة الصهيونية .

الفصل العاشر

الاستجابة اليهودية للصهيونية

الرفض اليهودي للصهيونية

تتخذ الصهيونية ـ إذن ـ موقفا عنصريا من يهود المنفى (أي كل يهود العالم ، تقريبا ، حتى عام ١٩٤٨ ، وغالبيتهم الساحقة بعد ذلك التاريخ) على مستوى الفكر والممارسة . ولكن هذه العنصرية لم تقابل بالصمت دائما ، فعندما ظهرت الصهيونية ، أول ما ظهرت على المسرح السياسي الدولي ، كانت الاستجابة اليهودية لها أبعد ما تكون عن الترحيب ، وقد جاء في **موسوعة الصهيونية واسرائيل** : « إن كل المنظمات اليهودية الرئيسية قد اتخذت من الصهيونية موقفا معارضا أو موقفا غير صهيوني »[1] (أي غير مكترث بالصهيونية) ، ومن المعروف أن المعارضة اليهودية اضطرت القيادة الصهيونية لنقل مقر انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول (١٨٩٧) من ميونيخ إلى بازل . وقد أعلنت اللجنة التنفيذية لمجلس الحاخامات في ألمانيا ـ عشية انعقاد المؤتمر ـ اعتراضها على الصهيونية ، على أساس أن فكرة الدولة اليهودية تتعارض مع عقيدة الخلاص اليهودية . كما اتخذت المنظمتان اليهوديتان الرئيسيتان في انجلترا ـ مجلس مندوبي اليهود البريطانيين ، والهيئة اليهودية الانجليزية ـ مواقف مماثلة . وأعرب المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكان عن معارضته للتفسير الصهيوني لليهودية على أنها انتماء قومي[2] . وعارض حاخام فيينا ، مسقط رأس هرتزل ، فكرة إنشاء دولة يهودية ، لأنها فكرة « معادية للسامية ترجع كل شيء إلى العرق والقومية »[3] .

وقد تبنت اللجنة اليهودية الأمريكية موقفا مناهضا للصهيونية عام ١٩٠٦ ، ثم انتهجت نهجا غير صهيوني استمر حتى أواخر عام ١٩٤٠ . وعندما صدر وعد بلفور أعلن رفضه ، في الحال ، في عريضة موجهة إلى الحكومة الأميركية ٢٩٩ يهوديا أمريكيا ، وقعوا

عليها على أساس أنـه يروج لمفهـوم « الـولاء المزدوج »[٤] . وفي ٤ مارس سنة ١٩١٩ بعث جوليوس كان ، عضو الكونجرس الأميركي عن كاليفورنيا ، ومعه ٣٠ يهوديا امريكيا بارزا رسالـة إلى الـرئيس وودرو ويلسون يحتجون فيها على فكرة الدولة اليهودية . واعـرب أكثر الموقعين على هذا الاحتجاج أنهـم « يعبـرون عن رأي الأغلبية اليهودية للأميركيين » ، وكتبوا يقولون إن « إعلان فلسطين الوطـن القومي لليهود سيكون جريمة في حق الرؤ ى العالمية لأنبياء اليهود وقادتهم العظماء » . واستطرد البيان يقول « إن دولة يهودية لا بد أن تضع قيودا اساسية (على غير اليهود) فيما يتعلق بالجنس ، وأكد أن توحيد الكنيسة والدولة في أي صورة سيكون بمثابة قفزة إلى الـوراء تعود إلى ألفي عام » . وأعرب كان وغيره ، من الـذين وقعـوا على الاحتجاج ـ في عبارة إنسانية رائعة ـ عن أملهم في أن ما كان يعرفـ في الماضي « بالأرض الموعودة » يجب ان يصبـح « ارض الوعـد » لكل الأجناس والعقائد[٥] .

وهكذا ، على عكس الصـورة العامـة التـي تخلقهـا الصـهيونية وتروج لها على نطاق واسع ، لم ترفض التجمعات اليهودية في كثير من الدول تأييد النشاطات الصهيونية فحسب ، بل وحاربتها فعلا ، الأمر الذي أدى بالحركة الصهيونية إلى تبني الاستراتيجيات المختلفة التي عرضنا لها في الفصول السابقة . ويمكن تقسيم معاداة اليهودية للصهيونية إلى عدة اتجاهات :

١ ـ الرفض الاندماجي : وهو الرفض الذي ينطلق من الايمـان بأن اليهود أقلية دينية ، تعتنق الديانة اليهـودية ، وأنهـم مواطنـون عاديون يتجه ولاؤهم إلى الدول التي يعيشـون فيهـا ، وأن اليهـود ليس لهـم تاريخ يهـودي مستقـل ، وإنما هم ـ كأقلية ـ يشاركون في تواريخ الشعوب التـي يعيشـون بـين ظهرانيهـا .

واليهودية الاصلاحية هي التعبير الديني عن هذا الاتجاه . ويتألف هذا التيار من أعضاء الطبقات المتوسطة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة ، الذين لم يجدوا صعوبة اقتصادية أو حضارية في الاندماج في مجتمعاتهم . وقد تسبب إعلان دولة إسرائيل وصداقتها مع العالم الغربي الرأسمالي ، في تساقط الجمعيات التي تعبر عن هذا الاتجاه ، كما ساهم ظهور صهيونية الشتات في استيعاب هذا الاتجاه ، فصهاينة الشتات ، هم في نهاية الأمر يهود مندمجون في مجتمعاتهم ، يدينون بالولاء الفعلي لها ، وإن كانوا يمارسون أحاسيس صهيونية قومية خارج حدود أوطانهم .

٢ ـ الرفض الأرثوذكسي : يرى المتدينون أن الحركة الصهيونية معادية للدين اليهودي ، لأنها تهدف إلى تحويل اليهود من جماعة دينية إلى جماعة قومية (والموقف الديني يشبه في هذا الجانب الموقف الاندماجي) وقد أعلنت جماعة ناطوري كارتا في النيويورك تايمز (١٧ نوفمبر ١٩٧٥) أن الصهيونية تلقى معارضة شديدة من كبار الحاخامات ، الذين يرون أنها بمثابة رفض تام للطابع الروحي والديني للشعب اليهودي ، ومعظم اعضاء هذه الحركة من بقايا يهود الجيتو الذين هاجروا من غرب أوروبا إلى الولايات المتحدة .

٣ ـ الرفض الاشتراكي : يصدر الرفض الاشتراكي/ اليهودي للصهيونية عن تصور أن اليهود هم أقلية دينية ، وأن ما يسري على كل الأقليات يسري عليهم ، وأن حل المسألة اليهودية يكون عن طريق حل المشاكل الاجتماعية والطبقية للمجتمع كله . وقد كان هذا هو الحل الاكثر شيوعا بين صفوف الشباب اليهودي في روسيا وبولندا ، وبين صفوف العمال اليهود ، الأمر الذي جعل

الوجود اليهودي في صفوف الحركات الثورية في شرق أوروبا وروسيا أمرا ملحوظا . (وقد أفزع هذا أثرياء اليهود في الغرب ، أمثال روتشيلد ، فسارعوا بتمويل الحركة الصهيونية ليحولوا الشباب والعمال عن طريق الثورة) .

والاشتراكيون اليهود ينظرون إلى الصهيونية على أنها حركة ثورة مضادة ، اشتركت مع القوى الاستعمارية من أجل السيطرة على العالم العربي ، ووضع إسفين بين الثوريين اليهود وبين الحركة الثورية العالمية . وكان كثير من اليساريين اليهود يدركون ، تمام الادراك ، الدور الرجعي الذي لعبته الصهيونية في التحالف مع الامبريالية ، وفي تحويل الشباب اليهودي عن المنظمات الثورية .

وقد ظل عداء الاشتراكيين اليهود للحركة الصهيونية مستمرا ، وإن كان التيار قد خمد ، بعض الشيء ، في الاربعينات والخمسينات بعد ظهور دولة إسرائيل ، لكنه بدأ في الظهور مرة أخرى في الغرب ، خصوصا بعد أن ظهرت ، بوضوح ، الطبيعة الاستعمارية للدولة الصهيونية ، ويلاحظ أن قطاعات كثيرة من اليسار الجديد في الغرب تعادي إسرائيل ، على الرغم من (أو بسبب) انخراط عدد كبير من الشباب اليهودي ، الساخط على قيم المجتمع الرأسمالي الاستهلاكي ، الذي تمثله الدولة الصهيونية في العالم الثالث ، في صفوفه .

وقد انضم إلى صفوف هذا التيار ـ عبر السنين ـ عدد كبير من المفكرين اليهود البارزين ، مثل روزا لوكسمبرج وليون تروتسكي وإليا إهرنبورج وكارل كاوتسكي . وفي السنوات الأخيرة ، ضمت القائمة ماكسيم رودنسون وروجيه جارودي

وإسحق دويتشر ونعوم تشومسكي . ولا يزال عدد كبير من المنظمات اليسارية في اوروبا والولايات المتحدة ، والتي تضم في صفوفها أعدادا كبيرة من اليهود تنتهج موقفا مناهضا للصهيونية والاستعمار .

٤ - ومن بين المعارضين للصهيونية دعاة **قومية الشتات** ، الذين يرون أن اليهود يكونون أقلية قومية ، ولكنها أقلية تكونت في الشتات ولذلك فحل المسألة اليهودية يكون من خلال تقبل هذه الحقيقة الأساسية ، وقد أشرنا من قبل لسيمون دوفنوف بوصفه فيلسوف هذه الحركة (غير المنظمة) ، ويجب التنويه هنا بأن ثمة مقابلا يساريا لتصور دوفنوف الليبرالي ، هو حزب البوند (اختصار : تحالف العمال اليهود في روسيا وبولندا وليتوانيا ، وهو حزب اشتراكي يهودي تأسس في بولندا عام ١٨٩٧) ، رفض الادعاء الصهيوني القائل بأن الدولة اليهودية هي الحل الوحيد والحتمي لمشاكل اليهود . غير أن أعضاء الحزب لم يكونوا من دعاة الاندماج الكامل ، فقد رأوا أن الاضطهاد الذي يحيق بالعامل اليهودي ليس سببه وضعه الطبقي فحسب ، بل انتماؤه العرقي والديني أيضا . وقد خلصوا من ذلك إلى أنه من واجب العمال اليهود دخول الصراع الطبقي كأعضاء في طبقة اجتماعية وأيضا كجماعة قومية ، بمعنى أن حزب البوند كان له هدف بروليتاري ، وآخر قومي (ليس صهيونيا بالضرورة) ، ولقد عارض البوند الصهيونية وعدها حركة بورجوازية ، ورأى في إنشاء دولة صهيونية في فلسطين ضربا من التفكير الطوباوي ، لأنه من غير الممكن أن تستوعب كل يهود العالم ، كما أنها تفقد يهود العالم الحق في المطالبة بحقوقهم الاقتصادية والاجتماعية حيثما وجدوا ، بالاضافة إلى أن إنشاء هذه الدولة يجعل الصراع

بين العرب واليهود أبديا ، ويجعل وجودها وبقاءها مرهونا برضاء يهود الغرب . وقد اتهم البوند الصهيونية العمالية بالتعاون مع البورجوازية التي تريد إنشاء دولة صهيونية لإيجاد أسواق لبضائعها واستثماراتها . كان البوند يظهر معارضته للتراث اليهودي ، فقد انتقد تحريم العمل في يوم السبت ، ولكنه مع هذا قام بالدفاع عن أسلوب حياة اليهود في شرق أوروبا ضد التجريدات والتخريجات الصهيونية ، فاعترف باليديشية كلغة قومية لليهود ، دون العبرية (وذلك لعدم فهم معظم اليهود لكل من العبرية والروسية) . وقد استخدم البوند هذه اللغة في دعايته بين العمال اليهود . كما طالب الحزب ، عام ١٩٠٥ ، بالحكم الذاتي لليهود في الناحية الثقافية ، ودعا إلى تنمية الشخصية اليهودية في الدياسبورا . وقد نادى البوند ، في ذلك الوقت ، بأنه يجب الاستيلاء على سلطة الدولة في المجالات الثقافية ، على أن تسلم للأقليات ذاتها .

ومن أهم دعاة قومية الشتات ، في الوقت الحالي ، المفكر اليهودي الأميركي آى . اف . ستون ، الذي ينظر نظرة قاتمة إلى ما يسميه بقومية أهل ليليبوت (بلاد الأقزام في رواية مغامرات جلفر) ويعني بها اسرائيل ، وهي قومية ضيقة الأفق ، إذا ما قورنت بقومية الشتات بنظرتها العالية ، ويؤكد ستون ان القومية الأولى هي ثمرة الاهتمام الضيق بالمصلحة القبلية ، أما الثانية فتنبع من رؤية إنسانية . وقد ألقى ستون نظرة شاملة على منجزات الشتات ، فوجد أن الفترات التي ازدهرت فيها حياة اليهود مرتبطة بحضارات ذات رؤية تعددية ، سواء في الفترة الهيلينية (في الاسكندرية) أو في الفترة التي سادت فيها الحضارة العربية في الأندلس (وشمال إفريقيا) أو في العصر الحديث في غرب أوروبا والولايات المتحدة وهو يرى أن

ازدهار حياة اليهود في الشتات وإسهاماتهم الحضارية ظاهرة إيجابية جديرة بالحفاظ عليها وتدعيمها (٦) .

وتضم كل هذه التيارات في صفوفها الكثير من الأعضاء ، كما كان لها في الماضي فعالية وثقل ، وإلى جانب ذلك ، يوجد عدد كبير من الشخصيات اليهودية التي اتخذت مواقف من الصهيونية تستحق التناول المستقل . ويعد ناثان بيرنباوم ـ الذي صاغ اصطلاح « الصهيونية » بمعناها السياسي الحديث ـ مثالا رائعا للمواجهة بين الصهيونية واليهودية . وكان بيرنباوم ، في وقت ما ، أحد القادة الصهاينة ، ففي عام ١٨٨٥ أسس وحرر أول جريدة صهيونية في ألمانيا ، وفي عام ١٨٩٣ نشر كتيبا ينادي فيه بايجاد حل للمسألة اليهودية يطابق الخطوط الصهيونية ، وحضر ايضا أول مؤتمر صهيوني في عام ١٨٩٧ ، ولكنه استقال بعد عام من المنظمة الصهيونية العالمية ، لادراكه الخطر الكامن في الرفض الصهيوني ليهود الشتات ، ولذا أصبح من دعاة قومية الشتات . وفي عام ١٩٠٨ كان له يد في انعقاد مؤتمر حول موضوع اليديشية ، حضره كبار كتاب هذه اللغة ، ونادى المؤتمر بأن تكون هذه اللغة هي لغة اليهود القومية . وبعد الحرب العالمية الأولى طرأت على آرائه تغيرات عميقة ، وأعلن ارتداده عما وصفه بالالحاد واعتنق وجهة نظر أرثوذكسية ، واستمر بقية حياته واحدا من أكبر اليهود المناوئين للصهيونية (٧) .

ومن الشخصيات الهامة الأخرى السير أدوين مونتاجو ، العضو اليهودي الوحيد في الوزارة البريطانية التي أصدرت وعد بلفور . فقبل صدور وعد بلفور بأسابيع قليلة ، كتب مذكرة تبين أن الوعد ينطوي على معاداة لليهود لأنه عندما يصبح لليهود وطن قومي ، فان الدعوة لحرماننا من حقوقنا ، كمواطنين بريطانيين ، ستزداد قوة ،

وبالتالي ستصبح فلسطين جيتو لكل يهود العالم ، وسيصبح اليهود أجانب ، بوصفهم من مواطني الدولة الصهيونية . وقد وصف مونتاجو الصهيونية بأنها « عقيدة سياسية مضللة ، لا يمكن لأي مواطن محب لوطنه في المملكة المتحدة الدفاع عنها » ، ثم أنكر وجود ما يسمى بالأمة اليهودية أو الجيش اليهودي . وقد أشار مونتاجو إلى المفهوم الديني لعقيدة الماشيح ، فقال إن عودة المنفيين يجب ان تتم من خلال الارادة الإلهية ، ثم اضاف متهكما : « اني لم أسمع قط ، حتى من أكثر المتحمسين للمستر بلفور أو للمستر روتشيلد ، أن ايا منهما سيثبت أنه الماشيح » . واقترح مونتاجو « حرمان كل صهيوني من حق التصويت » ، بدلا من حرمان اليهود البريطانيين من جنسيتهم ، وأضاف أنه يميل « إلى تحريم المنظمة الصهيونية ، بوصفها منظمة غير شرعية تعمل ضد المصلحة القومية (الانجليزية) »[٨] .

وهناك شخصيات يهودية أخرى أظهرت تعاطفا مع الصهيونية ، بل ساهمت في صياغة بعض أفكارها الأساسية في الترويج لها . غير أنها ، مع هذا ، تحفظت إما على بعض الجوانب الأيديولوجية أو على الممارسات الصهيونية . ومن الأمثلة الدرامية على هذا آحاد هعام ، أهم الفلاسفة الصهاينة ، والذي بشر بكثير من المقولات الصهيونية التي عرضنا لها من قبل ، لكنه ـ مع هذا ـ بشر بآراء أخرى تدل على بعض الخلافات الدقيقة العميقة مع الصهيونية . فعلى سبيل المثال ، كان آحاد هعام يرى أن الدولة اليهودية مجرد وسيلة وليست غاية ، لأن الغاية الحقيقية ـ بحسب تصوره ـ هي تطوير الحياة الثقافية لليهود ، والانبعاث الروحي لليهود واليهودية . ولذا عندما رأى أن كل طاقات اليهود بدأت تتجه نحو تأسيس « دولة صغيرة تصبح ، مرة أخرى ، كرة قدم في أرجل جيرانها الأقوياء » وجد أن هذا هو

إحدى علامات المرض ، وليس من علامات النهضة . ولذا فقد جلس في أول مؤتمر صهيوني « حزينا في ليلة زفاف » ـ على حد قوله ـ وكتب لأحد أصدقائه خطابا يخبره فيه أنه اتضح له أن الدمار قد تجاوز البناء : « من يعلم ما اذا كانت هذه ليست العلامة الأخيرة لشعب يحتضر ؟ »[٩] .

ولكن إذا كانت خلافات آحادهعام مع النظرية الصهيونية غامضة ، فان اعتراضاته كانت واضحة وقاطعة بالنسبة للممارسة الصهيونية في فلسطين . فعلى سبيل المثال ، نبه الحاخام الروسي الصهاينة إلى الحقيقة البسيطة الخطيرة ، وهي أن العرب ليسوا غائبين . وفي خطاب له ، بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩١٣ ، احتج على مقاطعة العمال العرب[١٠] (وهو الاجراء الذي أخذ شكلا مؤسسيا ، فيما بعد ، من خلال الهستدروت) . وفي أحد تصريحاته الأخيرة ، احتج آحاد هعام على جريمة قتل طفل عربي ارتكبها أحد الصهاينة[١١] . وفي خطاب مفتوح ، نشر في جريدة هآرتس (٨ سبتمبر ١٩٢٢) أعرب المفكر الصهيوني عن حزنه لارتباط « اليهود بالدم » ، مؤكدا أن تعاليم الرسل والأنبياء قد أنقذت اليهود من الدمار ، ولكن المستوطنين الصهاينة في فلسطين لا يسلكون مسلكا يتمشى مع تلك التعاليم،وفي نهاية خطابه ، سأل أحاد هعام ، بغضب واضح :« يا إلهي أهذه هي النهاية ؟ . . هل هذا هو حلم العودة إلى صهيون ، أن تدنس ترابها بدم الأبرياء ؟ ان الله قد أنزل بي العذاب إذ مد في حياتي حتى أرى ، بعين رأسي ، أنني قد حدت عن جادة الصواب . . إذا كان هذا هو الماشيح ، فانـي لا أود رؤية عودته ؟»[١٢] .

ويظهر هذا التناقض الواضح نفسه في موقف مارتن بوبر ، الذي أيد الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، ثم استنكر العنف

الصهيوني ، وناضل من أجل تحقيق سلام حقيقي بين اليهود والعرب . وبعد عام ١٩٤٨ ، قاد الحملة من أجل الدفاع عن الحقوق الانسانية والسياسية والمدنية للعرب ، بل إنه كان ، أحيانا ، يهاجم الصهيونية على أنها « أنانية جماعية »(١٣) . ولكن موقف بوبر على الرغم من كل مشاعره الانسانية ، كان مثيرا للسخرية ، فهذا المدافع عن حقوق الفلسطينيين كان يعيش في منزل عربي لا يستطيع اصحابه أن يعودوا إليه (فقد اخبرني المفكر الفلسطيني / الأميركي ادوارد سعيد أن أسرته كانت تمتلك هذا المنزل ، وأن بوبر رفض أن يتركه حينما حاولوا استرداده) .

ومن الشخصيات الصهيونية الهامة الأخرى ، الحاخام الاصلاحي الأميركي يهودا ماجنس ، أول رئيس للجامعة العبرية ، لقد بدأ حياته صهيونيا سياسيا ، ثم تحول إلى الصهيونية الثقافية ، ثم يبدو أنه وصل ، في النهاية ، إلى مرحلة رفض فيها تماما فكرة إنشاء دولة يهودية خالصة (وقد يكون من المفيد أن يقوم أحد الباحثين بدراسة هذا النمط المتكرر : المفكر الصهيوني الذي يعتنق الصهيونية في الغرب ، حيث الأحلام المثالية الوردية ، ثم يرتد عنها بعد مواجهة الواقع الدموي في فلسطين ، ولعل الصهيونية تضم في صفوفها أكبر عدد من هذه الشخصيات ، إذا ما قورنت بالحركات الأخرى) ، وقد كرس ماجنس نفسه للترويج لفكرة التفاهم اليهودي/ العربي ، ودعا إلى وضع نظام يتسم بالتكافؤ التام بين العرب واليهود ، وطالب بتقييد الهجرة اليهودية إلى فلسطين . وفي مقال تحت عنوان « مثل كل الشعوب » (كتبه عام ١٩٣٠) ، حذر الصهاينة من أن العرب يشكلون الغالبية المطلقة في فلسطين ، وحيث إنه لا يمكن للغاية ، مهما سمت ، أن تبرر الواسطة الدنيئة ، فقد عبر عن اطمئنانه (أو ، في الواقع ، عن أمله) إلى أن اليهود لن تسمح لهم أنفسهم بغزو

أرض الميعاد على طريقة يشوع بن نون ، الذي فتح كنعان (وأباد سكانها) ، والذي ثبت الوجود اليهودي عن طريق « السيف » . وماجنس كان من المؤمنين بأنه « لا يمكن تأسيس الوطن اليهودي . . بكبت الطموح السياسي للعرب . . لأن مثل هذا الوطن سيؤسس على رؤوس الحراب لمدة طويلة » ، ولذلك فقد اقترح التغلب على الصعاب التي تواجه الصهاينة « باستخدام جميع الأسلحة التي وضعتها الحضارة تحت تصرفهم ـ باستثناء الحراب ـ مثل الأسلحة الروحية والثقافية والاجتماعية والمالية والاقتصادية والطبية . . والأخوة والصداقة »[١٤] . واعترض ماجنس على خطة التقسيم ، ودعا إلى دمج إسرائيل في الشرق الأوسط . وفي ٢٨ أبريل ١٩٤٨ ، تنصل المجلس الأعلى للجامعة العبرية منه ، وأعلن أن أي شيء يحمل اسم يهودا ماجنس لا يمثل وجهة نظر المجلس أو هيئة التدريس بالجامعة .

ويتسم موقف ألبرت أينشتاين ، العالم الرياضي الشهير ، من الصهيونية بنفس التحول ، فقد كانت له مواقف ممالئة للصهيونية ، ولكنه ، فيما بعد ، تبنى موقفا معاديا للصهيونية . وفي عام ١٩٣٨ قال أينشتاين بأن « الطبيعة الأصلية لليهودية تتعارض مع فكرة إنشاء دولة يهودية بحدود وجيش وسلطة زمنية » . وأعرب عن مخاوفه بخصوص « الضرر الداخلي الذي ستتكبده اليهودية » ، إذا تم تنفيذ البرنامج الصهيوني : « إن اليهود الحاليين ليسوا هم اليهود الذين عاشوا في فترة المكابيين » ، ثم أشار إلى أن « العودة إلى فكرة الأمة ، بالمعنى السياسي لهذه الكلمة ، هو تحول عن الرسالة الحقيقية للرسل والأنبياء »[١٥] ، ولهذا السبب ، وفي العام نفسه ، فسر انتماءاته الصهيونية وفقا لأسس ثقافية ، إن قيمة الصهيونية ـ بالنسبة له ـ كما قال ـ تكمن أساسا « في تأثيرها التعليمي والتوحيدي على اليهود في مختلف الدول » ، وهذا تصريح مبني على الايمان بضرورة الحفاظ

على يهود الشتات وتراثهم وامكان التعايش بين اليهود وغير اليهود[١٦] . وفي عام ١٩٤٦ ، مثل أمام اللجنة الأنجلو ـ أميركية وأعرب عن عدم رضاه عن فكرة الدولة اليهودية ، وأضاف قائلا إنه كان « ضد هذه الفكرة دائما »[١٧] . (وهذه مبالغة من جانبه ، حيث إنه ، كما أشرنا من قبل ، قد أدلى بتصريحات تحمل معنى التأييد الكامل لفكرة القومية اليهودية على أساس عرقي) .

ولكن الشيء الذي أزعج اينشتاين وأقلقه ، أكثر من غيره ، هو مشكلة العرب . ففي عام ١٩٢٠ في رسالة بعث بها إلى وايزمان ، حذر أينشتاين من تجاهل المشكلة العربية ، ونصح بأنه يجب على المستوطنين الصهاينة ان يتجنبوا « الاعتماد بدرجة كبيرة على الانجليز » ، وأن « يسعوا إلى التعاون وعقد مواثيق شرف مع العرب » . وقد نبه اينشتاين إلى الخطر الكامن في الهجرة الصهيونية [١٨] . ولم تتضاءل جهود اينشتاين أو اهتمامه بالعرب على مر السنين ، ففي خطاب ، بتاريخ ابريل سنة ١٩٤٨ ، أيد ، هو والحاخام ليوبابيك ، موقف الحاخام يهودا ماجنس الذي كان يروج لفكرة إقامة دولة مشتركة ، مضيفا أنه كان يتحدث « باسم المبادىء ، التي هي أهم إسهام قدمه الشعب اليهودي للبشرية »[١٩] . وكما هو معروف ، رفض اينشتاين أن يقبل منصب رئيس الجمهورية في الدولة الصهيونية حينما عرض عليه .

من هو الصهيوني ؟ :

ولكن على الرغم من الموقف المعادي الذي واجهته الصهيونية في بادىء الأمر ، فان الدارس لا يملك إلا أن يعترف أنها قد أصبحت « حركة شعبية » تتمتع بتأييد عدد كبيرمن اليهود . وقد عدل كثيرمن

اليهود المناهضين للصهيونية ، واليهود غير الصهاينة ، من مواقعهم أو غيروها تماما بسبب الأمر الواقع الذي فرضته الصهيونية ، ابتداء من إقامة الدولة الصهيونية ، وانتهاء بسلسلة الانتصارات العسكرية التي حققتها هذه الدولة . كما غيرت كثير من الجمعيات اليهودية الأرثوذكسية والاصلاحية موقفها المعادي للصهيونية ، الذي كانت قد اتخذته وفقا لأسس دينية . فعلى سبيل المثال ، أصبح لمنظمة « أجودات إسرائيل » التي قامت كمنظمة مناهضة للصهيونية ، أحزاب سياسية تمثلها داخل الدولة الصهيونية ، وتدخل الائتلافات الحكومية المختلفة ، بل ولها مستوطنات زراعية ، ومشاريع اقتصادية ، تمدها الوكالة اليهودية بالمعونات ، مثلها مثل أي تنظيم صهيوني آخر .

وقد أخذت المنظمات اليهودية الاصلاحية ، هي الأخرى ، تتقهقر عن مواقفها الرافضة للصهيونية ، وتتبنى مواقف أكثر عرقية وقومية ، بل ان هذه المنظمات تقوم الآن بممارسة الضغط السياسي لصالح الدولة الصهيونية ، وتوجد الآن « كيبوتزات إصلاحية » في إسرائيل . ومن الملاحظ أن كتب العبادة الاصلاحية الجديدة تتضمن نظرة قومية تركز على الخصوصية اليهودية[٢٠] ، وقد تم استرجاع عدد كبير من الاشارات ذات الطابع القومي الانعزالي التي كان قد تم استبعادها في القرن التاسع عشر ، وتم الاستبدال بالخط الانساني العالمي خط أكثر انعزالية . ولعل أحد مظاهر ازدياد النفوذ الصهيوني داخل معسكر اليهودية الاصلاحية أن « الاتحاد العالمي لليهودية التقدمية » (أي الاصلاحية) عقد مؤتمره السنوي الخامس عشر في مدينة القدس للمرة الاولى عام ١٩٦٨ وذلك عقب عدوان ١٩٦٧ ، وفي غمرة الحماس « القومي » الذي اكتسح يهود العالم .

ويمكننا القول إن الصورة العامة الآن للأقليات اليهودية في العالم

هي صورة قاتمة ، فقد أحكمت المنظمة الصهيونية الهيمنة عليها ، حتى إن الانطباع العام في الغرب (حيث تتواجد الغالبية العظمى ليهود العالم) هو أن كل اليهود صهاينة ، ولم يبق في ساحة النضال اليهودي ضد الصهيونية سوى بعض التنظيمات الضعيفة الصامدة ، مثل ناطوري كارتا وجماعة الحاخام ألمربرجر ، « البدائل اليهودية الأميركية للصهيونية » ، وبعض الشخصيات العامة التي تلعب دورا قياديا في مجتمعها كله ، ولكنها ليس لها علاقة كبيرة بالتجمعات اليهودية التي يقوم الصهيونيون بقيادتها . ولعل هذا الوضع هو السبب في دهشة كثير من الناس حينما يقوم أحد الدارسين بتناول موضوع العنصرية الصهيونية ضد اليهود ومقاومة اليهود لها ، فالعنصرية لم تعد واضحة المعالم ، لأن الضحية قد تقبلتها واتحدت معها ، والمقاومة لا تكاد تذكر للسبب نفسه ، ولذا يصنف الموضوع على أنه موضوع ذو أهمية « أكاديمية » أو تاريخية فحسب .

ولكن ، على الرغم من هذا الاستسلام للمثل الصهيونية ، فان الدارس الموضوعي ، الذي يرفض أن يأخذ الأمور بشكل سطحي ، لا يملك إلا أن يلاحظ ان ثمة معارضة ومقاومة ورفضا يهوديا للصهيونية ، يأخذ أشكالا جديدة غير منظمة ومستترة ، وربما يفسر هذا ضعف تأثيرها على المستوى الأيديولوجي المعلن ، وفعاليتها على مستوى الممارسة . وفي مقال هام بعنوان « رفض الشتات » وصف آحاد هعام موقف اليهود من الشتات بأنه « سلبي من الناحية الذاتية ، إيجابي من الناحية الموضوعية »[٢١] ، بعنى انهم حينما يعبرون عن رأيهم بشكل واع فانهم يتخذون موقفا سلبيا ، أما حينما يمارسون حياتهم بشكل كامل وتلقائي فانهم يتقبلون حياتهم في الشتات ، وبالتالي يرفضون المثل الصهيونية ، وهذا التقبل (والرفض) ، في تصوري ، يأخذ شكلين أساسيين :

أولهما : رفض الهجرة إلى إسرائيل .
وثانيهما : رفض فكرة نفي الشتات ومركزية إسرائيل في حياة اليهود ، وتأكيد اهمية الشتات ومركزيته في حياة اليهود .

ومن المعروف أن الصهاينة يروجون لصورة الشباب اليهودي في « المنفى » الملتف حول الدولة الصهيونية ، يؤ يدها ويؤ ازرها ، بل وعلى استعداد لأن يموت من أجلها . وهي صورة لو ناقشتها مع أي يهودي لقبلها على أنها صورة صادقة ، فهي ، في الواقع ، الصورة التي يجب أن «يذيعها » عن نفسه ، ولكن حيث إن أوهام المرء عن نفسه تختلف ، إلى حد كبير، عن ممارساته وقناعاته الحقيقية ، التي تتحكم في سلوكه ، فلن يثير دهشتنا أن نكتشف أن عددا كبيرا من استطلاعات الرأي العام تبين أن الغالبية العظمى من الشباب اليهودي يعدون أنفسهم يهودا بالعقيدة ، وليس بالقومية[٢٢] . وفي مقال نشر في احدى الصحف اليهودية عام ١٩٧٦ ، كتب الأستاذ حاييم واكسمان ـ وهو صهيوني متحمس ـ يقول إن معظم اليهود الأميركيين ليسوا صهاينة ، وان إسرائيل لا تلعب دورا رئيسيا في حياتهم . وقد قام الأستاذ واكسمان بتقويم نتائج الدراسات الأكاديمية واستطلاعات الرأي المختلفة ، فتوصل إلى أن ١٪ فقط من الشباب اليهودي ، الذين أدلوا بآرائهم في استطلاعات الرأي هذه ، سيقومون بدراسة إمكان الاقامة في إسرائيل ، أو سيشجعون أطفالهم على الهجرة إليها . ووجد واكسمان أن ١٣٪ فقط ترى أنه من الضروري تأييد إسرائيل ، وأن ٢٨٪ فقط وافقوا على « أن إسرائيل تعد مركزا للحياة اليهودية المعاصرة » . ووجد أكثر من ثلثي الطلبة ، ممن أدلوا بأصواتهم ، « أن مساندة الصهيونية ليست بالشيء الضروري ليصبح الانسان يهوديا حقيقيا »[٢٣] .

ولعل هذا الاستطلاع يفسر حقيقة اساسية تعيش الصهيونية في

ظلها على الرغم من كل « منجزاتها » وانتصاراتها ، وهي أن اليهود الذين يعيشون في الوطن القومي المزعوم هم أقلية صغيرة للغاية (٣ ملايين من حوالي ١٦ مليونا) ، وقد بين أحد المثقفين الفرنسيين اليهود أن « خمسة من كل ستة يهود يعيشون الآن خارج إسرائيل ، ضرب كل منهم بجذوره في منفاه (أي وطنه) ، يواجه أسئلة خاصة به ، لا يمكن للصهيونية السياسية أن تجيب عليها » ثم يصل إلى النتيجة التي لا مفر منها وهي « أن أقلية من اليهود فحسب هي التي تختار ، أو اختارت إسرائيل ، مما يكشف عن حقيقة هامة ، هي أن الغالبية قد اختارت الشتات »[٢٤] . ولعل هذا يفسر لم لا تزال إسرائيل تعيش بدون الأعداد الكبيرة من « المنفيين » من أبنائها ، الذين من أجلهم انشئت الدولة ، فمعظم اليهود لا يظهرون حماسا كبيرا للذهاب إلى إسرائيل الا لمجرد قضاء اجازة هناك[٢٥] . وفي عام ١٩٧٥ ـ على سبيل المثال ـ نجد أن أقل من ٣٠٠٠ أمريكي (بما في ذلك الرجال والنساء والأطفال) استقروا في إسرائيل[٢٦] . وفي إحدى المرات تذمر أحد الزعماء الصهاينة البارزين من أن اليهود الأميركيين ينظرون إلى إسرائيل كما لو كانت ديزني لاند ، أي مدينة ملاه يهودية أو متحفا يهوديا ، مجرد مكان يؤمه الجمهور من أجل الاستمتاع والاثارة والثرثرة . ويبدو أن يهود الشتات ، الذين يشعرون بروابط حضارية وروحية عميقة بصهيون ، غير مقتنعين بأن الاستقرار المادي هناك أمر ضروري وحيوي من أجل تحقيق تطلعاتهم الحضارية والدينية .

إن الصهيونية ، التي تطرح نفسها على أنها الحل الأوحد للمسألة اليهودية ، تعني ، أولاً وقبل كل شيء ، ضرورة العودة إلى الوطن القومي المزعوم ، وأي شيء خلاف هذا ليس سوى استعراض لفظي ليس له قيمة كبيرة ، وإذا أراد المرء أن يعطي اصطلاح « صهيوني »

مضمونه الصحيح ، فلا نجده يعني إلا شيئا واحدا أساسيا هو : نقل السكان ، أي الهجرة أو « العالياه » - كما يحلو للصهاينة تسميتها . وقد لاحظ بن جوريون أن كثيرا من المفاهيم والمصطلحات يتم الحفاظ عليها واستخدامها حتى بعد ان تفقد دلالتها ، ومصطلح « صهيوني » لا يمثل أي استثناء من القاعدة . وقد وصف الزعيم الصهيوني إصرار بعض اليهود على تسمية أنفسهم « صهاينة » ، في الوقت الذي يتجاهلون فيه المقولة الصهيونية الأساسية ، أي الهجرة ، وصف هذا السلوك بأنه نوع من أنواع التزييف . وأصدق مثل على ذلك ، في تصوره ، يهود الولايات المتحدة (أي الغالبية العظمى ليهود العالم) ، الذين لا يبدون أي استعداد للهجرة ، ومع ذلك يصرون على تسمية أنفسهم صهاينة ، « إن مثل هذا الموقف - على حد قوله - شيء سخيف »[٢٧] ، وقد وصف ليفي أشكول صهيونية الشتات الوصف الذي تستحقه ، باعتبارها « أيديولوجية معادية للقومية (أي الصهيونية) ترتدي ثوبا لفظيا قوميا (أي صهيونيا) »[٢٨] .

ومن الملاحظ انه ، منذ بداية الحركة الصهيونية ؛ وكثير من النشاطات الخيرية والسياسية المادية تتخفى في زي صهيوني . فنشاط صهيونية الشتات لا يتخطى بتاتا ، المساعدات المالية لاسرائيل ، أو ممارسة الضغط السياسي من أجلها، ولذا قد يكون من المفيد التمييز بين الصهيونية الاستيطانية (الحقيقية) ، والصهيونية الخيرية المالية ، اي الصهيونية التي يمارسها صهيونيو الشتات المندمجون . وهذا الضرب من الصهيونية الزائفة قد تبناه اثرياء اليهود ، مثل هيرش وروتشيلد وغيرهما من اليهود المندمجين ، من « محبي البشرية » ، الراغبين في تحويل المهاجرين من شرق أوروبا عن بلادهم إلى مكان آخر . ويمكننا القول إن الصهيونية ، في غرب أوروبا والولايات المتحدة ،

هي أساسا من هذا النوع الخيري (المالي / الدبلوماسي) ، فهي تقدم الأموال والضغط السياسي ، ولكنها لا تقدم المهاجرين بتاتا . ومما قد يكون له دلالته أن هرتزل قد كشف عن معاداة السامية الكامنة في هذا الضرب من الصهيونية ، الذي يسعى إلى إبعاد « هؤلاء اليهود المعوزين بأسرع وقت ، إلى أبعد مكان ممكن » . وعلى حد قوله ، « يوجد كثير من الناس الذين يبدون كأنهم أصدقاء لليهود ، ولكنهم ، بعد التمحيص ، يثبت أنهم لا يزيدون عن كونهم معادين للسامية من أصل يهودي في ثياب الخيرين المحسنين »[٢٩] . والنكتة الشهيرة القائلة إن الصهيوني هو يهودي يجمع التبرعات من يهودي آخر لارسال يهودي ثالث لأرض الميعاد ، ما هي إلا محاولة للتفريق بين الصهيونية الاستيطانية الحقة ، والمواقف المختلفة التي تتظاهر بأنها صهيونية ، كما أن النكتة تبين معاداة السامية الكامنة في مثل هذه المواقف .

ومهما كان من أمر هذه المواقف ، فهي تصدر عن قناعة كاملة بأن الاستيطان في فلسطين هو ، دائما ، واجب يضطلع به الآخرون . ويقال إن بارون أدموندي روتشيلد ، وهو من كبار الدعاة إلى الصهيونية ، والذي كان وعد بلفور خطابا موجها اليه . يقال إنه سئل عن المنصب الذي يريد أن يتبوأه في الدولة اليهودية ، فقال إنه سيختار بالتأكيد منصب سفير الدولة في باريس أو لندن . وتدل اجابة البارون على أن إحساسه بكوميدية موقفه كصهيوني في الشتات وتناقضه كان قويا . وكان تعليق بن جوريون على هذه الظاهرة يتسم بالمرارة ، فقد لاحظ انه بعد إنشاء الدولة الصهيونية لم يكن هناك سوى خمسة من الزعماء الصهاينة الذين « سارعوا بالذهاب إلى إسرائيل » . وحينما قدم اقتراح في المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين في القدس (١٩٧٢) ، بأن الزعيم الصهيوني الذي لا يهاجر إلى

اسرائيل خلال أربع سنوات من انتخابه لا ينتحب مرة أخرى لأي منصب صهيوني ، أثار هذا الاقتراح ما يشبه الثورة ، وهددت رئيسة منظمة الهداسا (المنظمة النسائية الصهيونية) بالانسحاب اذا ما جرت محاولة لوضع مثل هذا الاقتراح موضع التنفيذ الفعلي .

ولكن الصهيونية الاستيطانية لا تمانع بتاتا في استغلال الصهيونية الخيرية ، فقد قال وايزمان إن بعض اليهود قد يتبرعون بأموالهم من أجل إنشاء جامعة في القدس ، بدوافع خيرية ، غير أن مثل هذا العمل يعتبر من وجهة نظره ، تعبيرا عن « النهضة القومية »[٣٠] . وقد ذكر ريتشارد كروسمان أن وايزمان كان لا يكن سوى الاحتقار لليهود المندمجين ، ولكنه كان على استعداد دائم لجمع أموالهم من أجل مشروعه الصهيوني .[٣١] ولذا ، فحينما نحاول أن نقوم عدد الصهاينة الحقيقي ، يجب أن نستبعد هؤلاء اليهود البسطاء ، في الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول ، الذين يعتبرون أنفسهم « صهاينة » لأنهم يتبرعون بسخاء للنداء اليهودي الموحد ، ولأنهم يشترون سندات إسرائيل ، فهم ، في الغالب ، لا يدركون المضمون الأيديولوجي للتبرعات التي يدفعونها . معتقدين أنها ليست سوى تعبير عادي عن هويتهم اليهودية الأميركية ، وعن سخائهم الأمريكي التقليدي ! وعلينا أن نستبعد أيضا هؤلاء اليهود الذين يذهبون إلى الاجتماعات الصهيونية متصورين أن هذه الاجتماعات إن هي إلا تعبير عن هويتهم اليهودية الأميركية ، فهم يذهبون لهذه الاجتماعات بهدف معايشة الجو الإثني اليهودي الذي يفتقدونه في مجتمعهم ، والذي يشعرون داخله بالاطمئنان ، والذي يتعرفون من خلاله على هويتهم التي يتهددها المجتمع الاستهلاكي الحديث بالخطر ، فهم في هذا لا يختلفون كثيرا عن سلوك العرب / الأمريكيين الذين يريدون الحفاظ على ما تبقى من هويتهم العربية

ومن تراثهم العربي ، وهو الأمر الذي لا يتعارض بتاتا مع المثل الحضارية الأميركية التي تتسم الآن بالتعددية ، بعد سقوط فكرة ضرورة انصهار المواطنين في بوتقة واحدة (٣٢) .

وعلى المرء أيضا أن يستبعد من اصطلاح « صهيوني » هؤلاء اليهود الامريكيين الذين يؤيدون إسرائيل لأنهم « مواطنون امريكيون صالحون » ، فهم يظنون ـ عن حق أوعن غيرحق ـ أنهم بتأييدهم إسرائيل ، إنما يخدمون وطنهم هم . إن النقطة التي يصدرون عنها هي الايمان بضرورة « خدمة الوطن » الذي يعيشون فيه . ولعل هذا هو الذي يفسر سبب اصرار الزعماء الصهاينة على أن تكون المصالح الأمريكية والاسرائيلية متماثلة ، حتى يتسنى لهم استغلال الغالبية العظمى من يهود العالم الموجودين في الولايات المتحدة . وقد صرح برانديز ، في ١٩١٢ ، بأن « تعددية الولاء مرفوضة ، إذا ما كانت الولاءات متعارضة » وهذا الوضع لا ينطبق على الصهيونية . ثم ذهب الى حد التصريح بأن « الولاء لأمريكا يتطلب أن يعتنق كل يهودي أمريكي العقيدة الصهيونية ، مع أنه يعلم تماما انه لا هو ، ولا حتى نسله ، يمكن أن يعيشوا في فلسطين »(٣٣) . وهذا أمر مفهوم طبعا في إطار تماثل المصالح ، وفي إطار أن إسرائيل هي الخادم المطيع للمصالح الامريكية في المنطقة . ولكن هذا لا يجعل مثل هذا اليهودي صهيونيا ، وإنما يجعل منه مواطنا امريكيا يهوديا مؤمنا بأهمية إسرائيل في خدمة مصالح بلاده الامبريالية ، وهو في هذا لا يختلف عن اي مواطن مسيحي أو بوذي ، من أصل الماني أو ياباني ، يتخذ الموقف نفسه للسبب عينه . إن تأييد هذا المواطن اليهودي لاسرائيل ليس تأييدا عقائديا ، وانما هو تأييد عملي مرتبط بظروف وحسابات سياسية معينة ، وقد يتغير بتغييرها . وقد يحدث هذا التغيير ، في حالته ، ببطء شديد ، ولكنه سيحدث لا محالة إذا ما تغيرت الاوضاع

السياسية ، وقد كان بن جوريون من الوضوح بمكان حينما طالب ألا يسمى مثل هؤلاء اليهود صهاينة ، « فلا هم ولا نسلهم سيستوطنون إسرائيل » ، ولذا اقترح تسميتهم « أصدقاء إسرائيل »(٣٤) .

وعندما ننظر الى المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتي ، لا يستطيع احد أن يثبت ان غالبيتهم يذهبون الى اسرائيل ، لأسباب أخرى غير الأسباب الاقتصادية البحتة . فإسرائيل بالنسبة لبعضهم ، ليست « وطنا » على الاطلاق ، والكثير منهم لا يعرف العبرية ، بل ان بعضهم من غير اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفيتي مع ازواجهم أو زوجاتهم اليهود(٣٥) ، وفي مقال نشر في مجلة نيويورك تايمز ـ تحت عنوان « وحيد ، بلا رفيق في امريكا » ـ وصف بعض المهاجرين الاسباب التي دعتهم الى ترك الاتحاد السوفيتي ، فقال احدهم ان « الحياة هناك اصبحت مملة » ، وقال احد أساتذة علم الجبر ، انه ترك الاتحاد السوفيتي لأنه أدرك أن الوقت قد حان لأن يفعل ذلك ، وأشار مهاجر ثالث إلى أنه ترك الاتحاد السوفييتي لأنه يريد ان يعيش حياة « افضل » وحتى يؤكد هذه الفلسفة ، قال انه جاء « لا ليشتري سيارة ؛ ولكن ليكون لديه سيارة بمحرك اكبر » وقد خرج احد مصممي الازياء عن القاعدة عندما وجد ان حياته كيهودي في الاتحاد السوفيتي لم تعد تحتمل ، ومع هذا فضل ان يستقر في الولايات المتحدة الامريكية عن ان يذهب الى اسرائيل(٣٦) . ومن المستحيل أن نعرف كم مهاجراً (سوفيتاً) يشبه ايفان ، الذي ترك اسرائيل بعد ان عمل لمدة سنة في الكيبوتز ، لانه يكره « التعصب الديني والطقس الحار »(٣٧) .

وقد وصفت احدى المؤسسات اليهودية المهاجر اليهودي النموذجي بأنه شخص لم يهرب من الاضطهاد ، وانما هاجر بناء على ارادته ، ولدوافع غير أيديولوجية أساسا . « وقد أيدت نتائج هذا

التقرير تقريراً آخر نشره مجلس المعابد اليهودية في نوفمبر ١٩٧٤ ، جاء فيه انه بينما ينظر الأمريكيون الى الحملة من اجل الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتي على انها محاولة لانقاذ بقايا الشعب اليهودي هناك ، فإن المهاجرين السوفيت لا يشاركون في مثل هذه الأوهام الرومانتيكية[٣٨] .

واذا كان اليهود السوفيت ينقصهم الدافع الايدلوجي الصهيوني ، فإن الكثير من الصهاينة الأمريكيين ينقصهم مثل هذا الدافع ايضا ، على الرغم من كل ادعاءاتهم . وقد صرحت مجموعة من اليهود الامريكيين ، لأحد الصحفيين الاسرائيليين ، بأن « عملية الهجرة الى اسرائيل ما هى الا الجانب الآخر لعملية الاستيعاب » . وقد كان تعليق محرر معاريف ذا دلالة ، اذ قال : « في مقابل حصولهم على كذا متراً مربعاً للاسكان ، وفي مقابل كذا من الاجور ، وغيرها من الامتيازات ، يصبح هؤلاء الناس على استعداد لان يسيروا في مقدمة المناضلين من اجل الوجود اليهودي[٣٩] » .

هذا ، ومن المعروف ان الوكالة اليهودية ، قد اغلقت مكاتبها الخاصة بالهجرة في عدد من المدن الأمريكية ، لعدم وجود راغبين في الاستيطان في اسرائيل ، ومع هذا بدأت الوكالة اليهودية في البحث عن مهاجرين من بين صفوف اليهود العاطلين في مدينة نيويورك وما حولها . ولا اعتقد انه يمكن تسمية هؤلاء الذين استجابوا لنداء الوكالة « صهاينة » أو حتى « يهوداً » وانما هم « عاطلون » يبحثون عن فرص للعمل ، واذا تصادف وجود مثل هذه الفرص في الأرض المقدسة ، أرتيتز يسرائيل ، فلم لا ؟

مركزية الدياسبورا (الشتات) :

ان رفض الهجرة الى اسرائيل ليس هو المظهر الوحيد الكامن ، وغير الواعي ، للرفض اليهودي للصهيونية ، وإنما هناك ايضا رفض اليهود للفكرة الصهيونية المحورية الخاصة بنفى الدياسبورا ، ومركزية اسرائيل في وجدانها ، والتأكيد ـ بدلا من ذلك ـ على اهمية الدياسبورا ومحوريتها في حياة اليهود . وقد لاحظ سيمون دوفنوف ، ان « عدة مئات من الرجال قد هاجروا الى فلسطين ، في الوقت الذي يهاجر فيه عشرات الآلاف الى الولايات المتحدة » . وعلى اساس هذه الملاحظة انتهى الى ان « الامل في نقل قلب الشعب اليهودي من الشتات الى الوطن الأصلي التاريخي يبدو لا اساس له » . وقد كرس دوفنوف كل جهوده لتحسين الحياة السياسية والثقافية للمجتمعات اليهودية ، كل في وطنه ، بل لقد تكهن بأن « المركز الرئيسي لليهودية سيكون الولايات المتحدة[٤٠] » .

وقد اثبتت التطورات التاريخية صدق نبوءته ، فعدد اليهود في مدينة مثل نيويورك يفوق عدد كل سكان اسرائيل ، ويهود الولايات المتحدة ليسوا على وشك الانقراض ، بل ليسوا في حالة ضمور ، كما ادعى بن جوريون في المؤتمر الصحفي الخامس والعشرين (١٩٦٠ ـ ١٩٦١)[٤١] . وهم ليسوا مهددين بالدمار عن طريق التزاوج والاستيعاب ، كما زعم الحاخام آرثر هرنزبرج في عدد ديسمبر ١٩٧٥ من صحيفة مومنت . بل ان الاقلية اليهودية في الولايات المتحدة قد كشفت عن هوية امريكية يهودية مستقلة عن التصورات الصهيونية الخاصة باليهودي الخالص . فاليهودي الامريكي يسهم في حضارته الامريكية ويثريها ، ولا يتعارض الطابع

اليهودي الخاص لاسهاماته مع انتمائه لوطنه أو ولائه له ، تماما مثل الأمريكيين من اصل ايطالي ، الذين يسهمون في المجتمع الامريكي ويضيفون لحضارته ، دون ان تتعارض جذورهم الحضارية الايطالية مع انتمائهم لوطنهم الامريكي الجديد الوحيد .

والقاريء لأعمال القصاص الامريكي اليهودي ، سول بيلو ، يلاحظ انه يهتم بالشخصيات اليهودية / الامريكية والمشاكل الخاصة باليهود الامريكيين . ولكن لا يمكن فهم هذه الشخصيات ولا مشاكلها ولا اللغة التي تتحدث بها بالعودة الى فكرة الوطن اليهودي القومي ، وانما بالعودة للتجربة الامريكية الفريدة . ولعل هذا هو السبب الذي دعا مائير لفين ـ وهو قصاص من الدرجة الثالثة ، يكتب عن مواضيع صهيونية اساسا ـ لأن يهاجم بيلو لفشله « في اعطاء وصف تفصيلي لاجتماعات اليهود ، ولحملات جمع التبرعات لاسرائيل ، ولاهتماماتنا التي تشغلنا نحن اليهود »[٤٢]. ومن المعروف ان بيلو قد هاجم المفهوم الصهيوني الخاص باليهودي الخالص ، والمفهوم القائل ان اليهودي عليه ان يحيا في اسرائيل حتى يصبح شخصية متكاملة ، وليس مجرد شخصية متمزقة منقسمة على نفسها . وقد وصف بيلو نفسه بأنه امريكي مخلص لتجربته ، ولحضارته الامريكية « يتحدث اللغة الانجليزية الامريكية ، ونشأ في الولايات المتحدة ، ولا يمكنه ان يرفض ستين عاما من حياته هناك[٤٣] » ، ولذا فهو يرى ان اصطلاح « كاتب يهودي » هو « اصطلاح مبتذل من الناحية الفكرية ، ضيق الافق ولا قيمة له اطلاقاً[٤٤] » . ومن الطريف ان بيلو ، على الرغم من رواياته واقواله ، كتب كتابا صهيونيا مغرقا في العنصرية عن رحلته الى

اسرائيل . ولعل هذا الكتاب ذاته دليل على ان يهود الدياسبورا ، يروجون صورة واعية عن انفسهم تختلف عن مواقفهم المتعينة . وبيلو حينما يكتب رواياته ، فانه يدع خياله الخلاق يفصح عن رؤيته المركبة ، اما في كتابه الدعائي ، فهو يتبنى موقفا اكثر واقعية ، ولعل طموح بيلو للحصول على جائزة نوبل كان له اثره الكبير على الآراء السياسية التي افصح عنها في كتابه (وقد حصل بيلو بالفعل على الجائزة بعد صدور الكتاب) .

وتتميز رواية فيليب روث ، الروائي اليهودي الأمريكي ، التي تحمل عنوان شكوى بورتنوى ، بأنها رواية عن يهودي امريكي يقوم برحلة الى اسرائيل . والرحلة ، هذه المرة ، جزء من الرؤية الروائية ، وليست جزءا من كتاب اعلامي . وحينما يصل بطلنا الى اسرائيل فإنه لا يعجبه ما يرى ، اذ لا يجد ذاته الامريكية اليهودية المركبة هناك . ولذا ، فهو حينما يقابل فتاتين اسرائيليتين في ارض الميعاد تنتهي العلاقة نهاية مأساوية ـ ملهاوية ، اذ تسأله الاولى ، وهى ملازم في الجيش الاسرائيلي ، عما اذا كان يفضل الجرارات او البلدوزرات او الدبابات(٤٥) . اما الثانية ، ناعومي فهى اسرائيلية حقة ، ولدت في احدى المستعمرات بالقرب من الحدود اللبنانية ، واتمت خدمتها في الجيش الاسرائيلي ، ثم استقرت في احدى المستعمرات الواقعة على الحدود السورية ، وهى لا تكف عن الثرثرة عن الاشتراكية وعن الفساد الذي يسود المجتمع الامريكي(٤٦) .

وقد لقنته هذه الفتاة المحاربة درسا في التاريخ اليهودي من وجهة نظر صهيونية ، فأخذت تتحسر على تلك القرون الطويلة التي عاشها اليهود بلا ديار ولا مأوى ، والتي افرزت امثاله من

الرجال ، « الخائفين المخنثين الذين لا يعرفون قدر انفسهم ، والذين افسدتهم الحياة في عالم الأغيار » . بل انها تلومه لما حدث لليهود في المانيا النازية ، « فيهود الشتات بسلبيتهم ، هم الذين ساروا بالملايين الى غرف الغاز دون ان يرفعوا يدا ضد مضطهديهم . . الشتات ! ان الكلمة ذاتها تثير حنقي[٤٧] » . ولا غرو بعد هذا ان بورتنوى لم يوفق في العثور على فتاة احلامه في اسرائيل .

ومن اهم المفكرين اليهود في الولايات المتحدة ، الذين تبنوا بشكل واضح فكرة مركزية الدياسبورا ، الحاخام الاصلاحي جاكوب برنادر آجوس ، الذي يرى ان الهوية اليهودية ليس لها اي اساس عرقي ، اذ ان اساسها ديني فحسب . ويؤكد آموس اهمية الشتات ، ويشير الى ان اليهودية في الولايات المتحدة ليست ديناً دخيلاً لشعب اجنبي غريب ، وانما هي واحدة من الديانات الاساسية في هذا البلد[٤٨] . وهو يقدم رؤية ليهود الولايات المتحدة على انهم جماعة دينية لها جانب فرعي اثنى ، على عكس الاسرائيليين الذين يتطورون بشكل سريع ليصبحوا مجرد « قومية علمانية » ، لا تشكل العقيدة القديمة بالنسبة لها الا واقعا « ثانويا » ، بل ان الحاخام آجوس يرى ان الصهيونية ستؤدى ، في نهاية الامر الى تقسيم يهود العالم الى قسمين ، قسم ديني ، وقسم عرقي[٤٩] . ومن المفكرين المدافعين عن مركزية الدياسبورا ، عالم الاجتماع اليهودي الأمريكي (الباكستاني الأصل) مايكل سلزر ، الذي تبنى موقف سيمون دوفنوف ، اذ يعتقد هو ايضا ان مركز الدياسبورا قد انتقل من اوروبا الى الولايات المتحدة ، ويرى ان اليهود في امريكا قد حصلوا على فرص لا حصر لها للتعبير الحر وللنمو ، لا تخضع لأي قيود ،

وبعيدة عن حياة الجيتو ، وعن النظرة الاندماجية البسيطة للقرن التاسع عشر . ان اليهودي يمكنه ان ينمي هويته اليهودية دون ان يتناقض ذلك مع هويته الامريكية(٥٠) . ومما يجعل التجربة اليهودية في الولايات المتحدة فريدة ، انه لا توجد حضارة امريكية خالصة تستبعد اليهود ، لأن المجتمع الامريكي هو خليط من الاقليات والجماعات المهاجرة ، كل منها يحتفظ بشيء من تقاليده الحضارية . وقد اقترحت في **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية** استخدام اصطلاح « اليهود الجدد » Neo — Jews اشارة الى يهود مرحلة ما بعد الجيتو الذين يعيشون في حضارة لم تعرف تقاليد معاداة السامية ، الا بشكل سطحي ولم تفرض على اليهود أي وظائف اقتصادية او مهن محدودة .

ولكن على الرغم من ان اليهود في الولايات المتحدة يشكلون أقلية لها انجازاتها المستقلة واسهاماتها العظيمة في الحضارة الامريكية ، وعلى الرغم من ان هذه الاقلية لا تدين بالولاء الفعلي للوطن القومي ، وان كانت تدين له بالولاء اللفظي احيانا ، فإن هذا الموقف لا يعبر عن نفسه بشكل واضح علني . ويعود هذا الوضع لعناصر عدة ، يمكننا ان نشير من بينها الى الهيمنة الصهيونية على الصحافة اليهودية في الولايات المتحدة . فعلى سبيل المثال ، حينما ادلى الروائي سول بيلو بتصريحاته المعادية للصهيونية لم يأت لها ذكر في الصحف اليومية الكبيرة ، واقتصرت على صحف محلية ما انزل الله بها من سلطان (هذا على عكس تصريحاته الصهيونية التي تتناقلها الصحف ووكالات الانباء !) . ومن المعروف أن الصحافة اليهودية خاضعة تماما لوكالة الجويش تلجرافيك آجنسي ، التابعة للوكالة اليهودية في القدس . وكما قال سلزر : « لا يوجد هناك صحيفة يهودية واحدة في

الولايات المتحدة الامريكية تستطيع ان تواصل بقاءها بدون مساعدة هذه الوكالة لها بشكل من الاشكال[٥١] » .

ولكن رفض الهجرة لاسرائيل ، وتأكيد الدياسبورا ومركزيتها ، هى اشكال مستترة للرفض اليهودي للصهيونية ، غير واعية بنفسها ، ولا يمكن مقارنتها ، بأية حال مع حركات الرفض الاولى ، ولكن تكمن أهمية الاشكال الجديدة للرفض في انها تساعد الدارس على تقويم القوة الذاتية الحقيقية للصهيونية . واعتقد أن النضال العربي ضد الصهيونية ، في الشرق الاوسط ، وهو الساحة الاساسية التي يتم فيها النضال ضد الصهيونية ، سيساعد حركات الرفض اليهودية في العالم ، وسيشد من ازرها ، لأن الأيديولوجبة الصهيونية ستظهر على حقيقتها : أكذوبة لا سند لها في الواقع ، لم تكتسب مقومات الحياة الا من خلال العنف . وبهذا لا يكون النضال العربي ضد الصهيونية مجرد نضال لتحرير الأرض العربية والانسان العربي فحسب ، وانما هو ايضا نضال من اجل تحرير الانسان اليهودي الذي اخفق في كفاحه ضد ايديولوجية عنصرية هيمنت عليه وعلى معتقداته .

الفصل الحادي عشر

الصهيونية والعرب

الاستراتيجية الصهيونية : الهجوم على العرب

لاحظنا ان الصهيونية قد وضعت استراتيجية محددة تجاه يهود الشتات ، تتلخص في الهجوم عليهم « من اعلى » ، عن طريق التحالف مع السلطات الامبريالية ، وعن طريق خلخلة وضعهم القانوني ، والتعاون مع معادى السامية والنازيين وعن طريق إرهابهم في أوطانهم حتى يفروا منها ويقعوا في احضان المطلق الصهيوني . والمخطط الصهيوني تجاه العرب لا يختلف كثيرا في سماته الأساسية ، وإن كان يختلف في عمقه وحدته .

ويهدف المخطط الصهيوني إلى طرد السكان الأصليين الذين يشغلون الأرض التي سيقام فيها التجمع الصهيوني . وقد كتب هرتزل في يومياته عن « الطرق والوسائل المختلفة » لنزع ملكية الفقراء ، ونقلهم ، « واستخدام السكان الأصليين في نقل الثعابين وما شابه ذلك ، ثم إعطائهم وظائف في دول أخرى يقيمون فيها بصفة مؤقتة »(١) . وحينما كتب هرتزل لتشامبرلين عن قبرص ، بوصفها موقعا ممكنا اخر للاستيطان الصهيوني ، لم يتردد في أن يرسم له الخطوط العريضة لطريقة إخلائها من السكان : « سيرحل المسلمون ، أما اليونانيون فسيبيعون أرضهم بكل سرور نظير ثمن مرتفع ثم يهاجرون إما إلى اليونان أو الى كريت »(٢) .

وطرد السكان الأصليين أمر حتمي ، حتى يتسنى إقامة دولة يهودية خالصة لا تشوبها أية شوائب عرقية أو حضارية أخرى ، وإذا كان هذا هو مخطط الصهاينة بالنسبة لأي سكان في أي أرض قد يستولون عليها (والقائمة كما بينا طويلة) ، فبالنسبة للعرب

الفلسطينيين يصبح الطرد أكثر إلحاحا وأكثر اهمية،فظهور الفلسطيني على المسرح سيكشف الأسطورة الصهيونية ، في حين سيجعل اختفاؤه او غيابه من الممكن على الصهاينة أن يزعموا أن الأرض المقدسة الخالية هي أرض بلا شعب ، في انتظار سكانها المقدسين منذ آلاف السنين . ولذا فليس من الغريب ان نكتشف ان معظم الزعماء الصهاينة ، بما في ذلك هرتزل ونوردو ، قد طالبوا بتفريغ فلسطين من سكانها ونقلهم الى البلاد المجاورة . هذا وقد نشرت مجلة الجويش كرونيكل، في ١٣ اغسطس ١٩٣٧ ، وثيقة وقعها وايزمان بالحروف الأولى من اسمه ، تدل على أن الزعيم الصهيوني كان يرى أن نجاح مشروع التقسيم يتوقف على « مدى إخلاص الحكومة البريطانية للتوصية الخاصة بنقل السكان »[٣] .

وذكر جوزيف وايتز ، مسئول الاستيطان في الوكالة اليهودية ، في عدد ٢٩ سبتمبر ١٩٦٧ من جريدة دافار ، أنه ، هو وغيره من الزعماء الصهاينة ، قد توصلوا إلى نتيجة مفادها أنه « لا يوجد مكان لكلا الشعبين (العربي واليهودي) في هذا البلد » وأن تحقيق الاهداف الصهيونية يتطلب تفريغ فلسطين ، أوجزء منها ، من سكانها ، وأنه ينبغي لذلك نقل العرب ، كل العرب ، الى الدول المجاورة ، وبعد إتمام عملية نقل السكان هذه ستتمكن فلسطين من استيعاب الملايين من اليهود[٤] .

وكان جابوتنسكي من المؤيدين أيضا لهذا المخطط ، فأعد حيلة جديرة بعقله الصهيوني الصغير ، إذ اقترح أن تعلن المنظمة الصهيونية العالمية معارضتها لنزوح العرب عن فلسطين ، وبذا تهدىء مخاوف العرب بخصوص مخطط نقل السكان الأصليين ، بل سيظن هؤلاء السكان ، السذج ، أن الصهاينة يريدون منهم البقاء حتى يتسنى لهم استغلالهم ، ولذا فانهم سيحملون متاعهم

ويرحلون . وهذه الخطة ، أو الحيلة تتسم بالغباء أكثر من اتسامها بالخبث ، فقد أثبت الفلاحون العرب أنهم أقل جهالة مما كان يتصور الزعيم الصهيوني ، وأنهم أكثر ارتيابا مما تعشم[٥] . وقد طالب إسرائيل زانجويل بضرورة نقل العرب بالتدريج حتى يمكن تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود . كما نادى آرثر روبين بالشيء نفسه (ولكنهما تراجعا عن موقفهما الصهيوني ، فيما بعد ، فندد زانجويل بعنصرية الصهيونية ، ونبَّه إلى أن الصهيونية يجب عليها أن تواجه مشكلة وجود عدد كبير من السكان أو فلتطردهم « بحد السيف » ، كما فعل أسلافنا من قبل [٦] . وقد أثار روبين كثيرا من التساؤلات بخصوص طرد العرب من ديارهم .

ولم تكن خطة نقل المواطنين اليهود مقصورة على أولئك الذين استوطنوا الأرض من أجل أغراض رأسمالية دنيئة، أو لأسباب قومية عادية ، بل لقد كانت أيضا خطة تبناها أولئك الذين استوطنوا ، فلسطين لكي يقيموا فيها مجتمعا مثاليا قوامه المساواة ، وبوروخوف ، أبو اليسار الصهيوني ، أبدى وعيا ملحوظا بحقيقة أن الحل الصهيوني ، الذي يتلخص في نقل اليهود وتوطينهم في أرض خاصة بهم ، لا يمكن أن يتم « بدون نضال مرير وبدون قسوة وظلم وبدون معاناة البريء والمذنب على السواء » . وفي تحديد إطار تصوره لمستقبل المواطنين ، قال إن المهاجرين اليهود سيقومون ببناء فلسطين ، وأن السكان الأصليين سيتم استيعابهم ، في الوقت المناسب ، من جانب اليهود من الناحيتين الاقتصادية والثقافية على السواء . « إن تاريخ الاستيطان الصهيوني سيكتب بالعرق والدموع والدم »[٧] .

وقد وصف الكاتب الاسرائيلي موشي سميلانسكي ما تصوره اجتماعا للرواد الصهاينة الاشتراكيين ، في عام ١٨٩١ ، حيث تم

توجيه بعض الأسئلة الخاصة بالعرب :ـ « إن الأرض في يهودا والخليل يحتلها العرب »
ـ « حسنا ، سنأخذها منهم »
ـ « كيف ؟ » (صمت)
ـ « إن الثورى لا يوجه اسئلة ساذجة »
ـ « حسنا ، إذن ، أيها الثوري ، قل لنا كيف ؟ » .

وجاءت الاجابة في شكل عبارات واضحة لا لبس فيها ولا إبهام « إن الأمر بسيط للغاية . سنزعجهم بغارات متكررة حتى يرحلوا . . دعهم يذهبون إلى ما وراء الأردن » . وعندما حاول صوت قلق أن يعرف ما إذا كانت هذه ستكون النهاية أم لا ، جاءت الأجابة ، مرة أخرى ، محددة وقاطعة : « حالما يصبح لنا مستوطنة كبيرة هنا ، سنستولي على الأرض وسنصبح أقوياء وعندئذ سنولي الضفة الشرقية اهتمامنا وسنطردهم من هناك أيضا ، دعهم يعودون إلى الدول العربية »[٨] .

الخطة واضحة إذن ، والوسيلة أكثر وضوحا ، ومع هذا لا تفتأ الدعاية الصهيونية تنفي عن نفسها تهمة العنف العسكري الموجه ضد العرب . بل إن بن جوريون بلغت به الجرأة أن يزعم أن كل مفكري الصهيونية العظماء لم يطرأ لهم على بال قط أن الحلم الصهيوني لا يمكن تحققه إلا من خلال الانتصار العسكري على العرب »[٩]
ولكن بن جوريون ، بلا شك ، قرأ رسالة هرتزل إلى البارون دي هرش ، التي يحدثه فيها عن خطته لخلق البروليتاريا اليهودية المثقفة من « قيادات وكوادر الجيش الصهيوني التي ستبحث وتكتشف ثم تستولي على الأرض ، أي الوطن القومي[١٠] . وبعد وفاة هرتزل ، واصل صديقه نوردو الدفاع عن العنف العسكري ، فاقترح تعبئة جيش ضخم ، قوامه ٦٠٠,٠٠٠ يهودي للذهاب الى فلسطين حتى

يفرض نفسه ، بوصفه اغلبية سكانية على الفلسطينيين . وقد كان الزعيم الصهيوني جوزيف ترومبلدور (١٨٨٠ - ١٩٢٠) أكثر تواضعا ، إذ اقترح تكوين جيش قوامه ١٠٠,٠٠٠ فحسب .

أما جابوتنسكي ، الوريث الحقيقي لفكر هرتزل ، فقد رسم خطة لخلق أغلبية يهودية فورية في فلسطين ، وسماها « مشروع نوردو » . وعندما حذر أحد الصهاينة الألمان من نشوب حرب شاملة مع العرب قد يكسبها العرب ، سخر جابوتنسكي منه ، ثم ضرب أمثلة استقاها من تاريخ الاستعمار الغربي في إفريقيا وآسيا : « إن التاريخ يعلمنا أن كل المستعمرين قد قوبلوا بقليل من التشجيع من جانب السكان الأصليين . . وقد يكون ذلك مدعاة للحزن .ونحن اليهود لن نشذ عن القاعدة »[١١] . وفي خطابه أمام اللجنة الملكية لفلسطين ، عام ١٩٣٧ ، قال جابوتنسكي : « إن أمة كأمتكم ، عريقة في تجربتها الاستعمارية العملاقة ، تعرف بكل تأكيد أن الاستعمار لن ينجح دون نزاعات مع السكان . . . (ولذا يجب) السماح لليهود باقامة حرس خاص بهم ، مثل الأوروبيين في كينيا »[١٢] . وبعد عام من ذلك التاريخ ، وخلال اجتماع فرع منظمة بيتار في بولنده - وهي منظمة عسكرية صهيونية - لعب مناحم بيجين ، تلميذ جابوتنسكي المخلص ، دورا مؤثرا وفعالا في تغيير يمين الولاء ليتضمن قسما بالاستيلاء على الوطن اليهودي بقوة السلاح [١٣] . وقد تولى بيجين زعامة هذه المنظمة عام ١٩٣٩ .

ولكن إذا كان بن جوريون لم يقرأ كل هذه الوثائق ، فهل يا ترى كان غافلا عن حقائق الموقف في فلسطين ؟ فمن المعروف أنه مع بداية هذا القرن كان الشباب ، من عمال صهيون الذين استوطنوا فلسطين « يسيرون مسلحين بعصي كبيرة وبعضهم يسير حاملا مدى ومسدسات »[١٤] . وفي عام ١٩٠٧ تأسست منظمة عسكرية صهيونية

سرية شعارها : « لقد سقطت يهودا بالدم والنار وستنهض بالطريقة نفسها ». وقد أصبح اسم هذه المنظمة عام ١٩٠٩ منظمة الهاشومير كي تتحول عام ١٩٢٠ إلى منظمة الهاجاناه . وقد أسقطت الهاجاناه وهي الذراع العسكري للوكالة اليهودية ، وللمنظمة الصهيونية العالمية ، الشعار الارهابي الآنف الذكر . ولكن الأرجون (او هاجاناه بيت)[١٥] ، التي كان يترأسها مناحم بيجين ، احتفظت به . وقد اتخذت الأرجون ـ رمزا لها ـ يدا تمسك بندقية فوق خريطة فلسطين وشرق الأردن ، أيضا ، نقشت تحته هذه الكلمات : « هكذا فقط » وفي سنة ١٩٤٨ اندمجت كل من الهاجاناه ، والأرجون لتكونا جيش الدفاع الاسرائيلي . ومن المستحيل ان يكون قد فات كل هذا على بن جوريون ، وقد كان واحدا من أهم المخططين الأساسيين في مخطط الاستيطان والتوسع الصهيوني .

وفي خلال السنوات الأولى للاستيطان الصهيوني تم تحصين المستوطنات التعاونية الزراعية بمعدات بدائية ، تحولت فيما بعد إلى التاكتيك المسمى بالأبراج والأسوار . وبعد ١٩٤٨ أصبحت إسرائيل كلها « الدولة القلعة » أو « الجيتو المسلح » . وقد تنبأ جابوتنسكي بهذا الوضع حينما قال إن « سورا حديديا من القوات المسلحة اليهودية سيقوم بالدفاع عن عملية الاستيطان الصهيوني »[١٦] .

نقل السكان العرب :

إن افراغ فلسطين من سكانها هو هدف صهيوني ، وضرورة يحتمها منطق الأسطورة ، ولكي يحقق الصهاينة مخططهم تبنوا تاكتيكات مختلفة ، فلم يكن العنف المسلح هو الوسيلة الوحيدة ، وإنما استخدموا وسائل أخرى أيضا . وقد اتهم عالم الاجتماع النمساوي ، لودفيج جومبلوفيتش ، وهو من أوائل العلماء الغربيين

الذين نبهوا العالم الحديث إلى أهمية المؤ رخ العربي ابن خلدون ، اتهم هرتسزل بالسذاجـة السياسية ، ثم طرح عليه سؤ الا بلاغيا : « هل تريد أن تؤ سس دولة بدون سفك دماء ؟ بدون عنف أو مكر ؟ هكذا ـ بالتقسيط المريح ؟ »[١٧] ومـن المؤ كد أن العنف والمكر هما الأداتان اللتان استخدمهما الصهاينة . ويتمثل المكر في نشر الذعـر والارهاب بين العرب ، أما العنف فيتمثل في تعريضهم للارهـاب الفعلي . ويمكن القول إن الارهـاب الصريح ضد الفلسـطينيين قد استخدم قبل ١٩٤٨ ، ثم خلال فترة الحرب كلها ، أما نشر الرعب بين السكان ، أي الحرب النفسية ، فقد تصاعدت حدتها في المرحلة الأخيرة . وليس لهـذا التمييز بين العنف والمكر أي أهمية ، إلا من النـاحية التحليلية البحتـة ، حيث إن الأسلوبـين متداخـلان ، بل إنهما ، في الواقع ، مجرد عنصرين في مخطط واحد متكامل . ففي حالة مذبحة دير ياسين ، على سبيل المثال ، حرص الصهاينة حرصا شديدا على إطلاع جميع الفلسطينيين على الحادث ، ليقوموا من خلاله بغرس الخوف والهلع في القلوب .

وكانت أكثر أساليب الحرب النفسية شيوعا هو أسلوب استخدام مكبرات الصوت والاذاعات لخلق جو من الذعر بين سكان صفيت قياداتهم اثناء الثورات المتكررة السابقة ، ولا سيما بعد قمع ثورة عام ١٩٣٦ ضد الاحتـلال البريطانـي (أكبـر قوة اسـتعمارية آنئـذ) والاسـتعمار الاستيطانـي الصهيونـي (أشرس أنـواع الاسـتعمار الاستيطاني وأكثرها تنظيما) . وعلى سبيل المثال ، فقـد حذر راديو الهاجاناه العرب ، يوم ١٩ فبراير عام ١٩٤٨ ، من أن الزعماء العرب سيتجاهلون أمرهم[١٨] . وفي الساعـة السادسـة من مسـاء يوم ١٠ مارس أذاع الـراديو أن « الـدول العـربية تتآمـر مع بريطـانيا ضد الفلسطينيين » . وفي الساعة السادسة من مساء يوم ١٤ مارس عام

١٩٤٨ أذاع الراديو « إن سكان يافا في حالة ذعر كبيرة ؛ إلى درجة أنهم ظلوا داخل منازلهم[١٩] . » وأشار الكاتب اليهودي هاري ليفين في مذكراته إلى البيان ، الذي كان قد سمعه يوم ١٥ مايو أثناء إذاعته من عربات مكبرات الصوت الصهيونية باللغة العربية ، والذي كان يحث العرب على « مغادرة الحي قبل الساعة الخامسة والربع صباحا » ، ثم نصحهم بقوله : « ارحموا زوجاتكم وأطفالكم ، واخرجوا من حمام الدم هذا . . اخرجوا من طريق أريحا ، الذي ما زال مفتوحا . وإن مكثتم هنا ، فانكم بذلك ستجلبون على أنفسكم الكارثة »[٢٠] ، وقد تجولت أيضا مكبرات الصوت التابعة للهاجاناه في جميع أنحاء حيفا ، تهدد الناس ، وتحثهم على الفرار مع أسرهم (وذلك وفقا لما جاء في كتاب المؤلف الصهيوني جون كيمشي الأعمدة السبعة المنهارة)[٢١] .

إن الاشارات المتكررة إلى الكوارث المتوقعة ، والانهيار الوشيك هي من الموضوعات الأساسية التي ركزت عليها إذاعة الهاجاناه ، ومكبرات الصوت التابعة لها ، في المناطق الآهلة بالسكان العرب . وثمة موضوعة أخرى تكررت في الحرب النفسية التي شنها المستعمرون الاستيطانيون ، هي الخطر الوشيك لانتشار الأوبئة ، ففي الساعة السابعة والنصف مساء يوم ٢٠ مارس ١٩٤٨ بدأت الاذاعة الصهيونية في إذاعة بيان باللغة العربية جاء فيه : « هل تعلمون أنه يعتبر واجبا مقدسا عليكم أن تطعموا أنفسكم على وجه السرعة ضد الكوليرا والتيفوس وما شابه ذلك من الأمراض ، حيث إنه من المتوقع انتشار مثل هذه الامراض في شهري أبريل ومايو بين العرب في التجمعات الحضرية »[٢٢] ، وقد تم استخدام نفس الموضوعة يوم ١٨ فبراير عام ١٩٤٨ ، عندما أكدت السلطات الصهيونية ، عن طريق الراديو ، أن المتطوعين العرب « يحملون وباء

الجـدري » ، واضافـت تقـول ، يوم ٢٧ فبـراير ، إن « الأطبـاء الفلسطينيين قد اخذوا يفرون »[٢٣] .

ويقدم إيجال آلون ، وزير الخارجية الاسرائيلية السابق ، تقريرا في كتاب البالماخ « عن مساهمته المبتكرة » في تكتيكات الارهـاب : « جمعت جميع العمد اليهـود ، الـذين لهـم صلـة بالعـرب في مختلف القرى ، وطلبت منهم أن يهمسوا في أذن بعض العـرب ، بأن قوة عسكرية يهودية كبيرة وصلت إلى منطقة الجليل ، وأنها ستحرق كافة قرى منطقة الحولة . وينبغي عليهم أن يقترحوا على هؤلاء العرب ، بصفتهم أصدقاء لهم ، الهرب ، حيث إنه ما زال هناك وقت لتنفيذ ذلك » . وشرح آلون كلامه بقولـه : « وانتشرت الشائعـة في جميع مناطق الحولة بأن الوقت قد حان للفرار ، وبلغ عدد الهاربين آلافا لا تحصى . وبذلك حقق التكتيك هدفه تماما . . وتم تنظيف المناطـق الواسعة »[٢٤] . وكلمة « تنظيف » مناسبة للغاية للتعبير عما يدور في ذهـن الاسـتعماري الاستيطانـي الاحـلالي الـذي لم يرد الأرض فحسب ، وانما أراد تفريغها من سكانها .

هذا عن أساليب الحرب النفسية ، أو أساليب المكر التي اتبعهـا الصهاينة ، وهي ، بلا شك كانت أساليب مبتكرة . ولكن لا يملك الملاحـظ الموضوعـي إلا أن يشهـد بأن العقـل الصهيونـي بمقدرتـه اللامتناهية على الابداع في مجال الارهاب ، قد طور وجدد في مجال العنف المباشر ، أكثر من تجديده في مجال المكر والحرب النفسية . وقد سبقت الاشارة إلى وينجيت ، الصهيوني غير اليهودي ، وإلى موقفه من اليهود والعرب .

ويمكننا أن نذكر هنا مساهماته في تدعيم تقاليد الارهاب الصهيوني وتطويرها بما يتفق مع خصوصية الموقف في فلسطـين . وقـد نجـح وينجيت في الحصول على موافقة القيادة البريطانية على تشكيل الفرقة

الليلية ، التي كان الهدف منهـا هجوميا وليس دفـاعيا . فبـدلا من انتظار الهجوم العربي ، طالب وينجيت أن يقوم المستوطنون بتشكيل وحدات متحركة ليقوموا بالبحث عن العدو في أرضه خلال ظلمـة الليل . والافتراضـات هنـا غريبـة بعض الشيء ، إذ تفتـرض أن الفلاحين الفلسطينيين ، داخل فلسطين ذاتها ، يمكنهم أن يكونوا في حالة « هجوم » في أي وقت من الأوقات . ففي تصوري أنهم طالما ظلوا في فلسطين ، فهم في حالة دفاع مشروع عن النفس ، ولكن إذا ما عدنا للتصورات الصهيونية والاسترجاعية فاننا سنجد أن الأغيار الذين يقطنون فلسطين هم معتـدون ، بالضرورة . وقـد اعتـرض بعض أعضاء الهاجاناه على خطـط وينجيت خشية أن يؤدي الموقف الهجومـي المقتـرح إلى زيادة حدة توتـر العلاقـات بـين المستوطنـين الصهاينة وجيرانهم العرب[٢٥] . بيد أن وينجيت أصر على موقفه ، وتم تشكيل الفرقة الليلية .

وكانت العمليات العسكرية تبدأ عادة بأن يطلق وينجيت بعض العيارات النارية على إحدى القرى العربية ، فيستفز العرب بذلك ويردون بوابل من الطلقات النارية . وحينما يتجمع العرب بحثا عن المهاجمين ، يتـم حصارهـم بسرعـة . وفي احـدى الغـارات قتـل الصهاينة ، تحت قيادة وينجيت ، خمسة من تسعة من العرب الذين ذهبـوا يبحثـون عن المهاجـين ، وأسر الأربعـة الآخـرون . وقـام وينجيت بتهنئة اعضـاء فرقتـه في « هـدوء وسـكون »[٢٦] ، ثم بدأ التحقيق مع العرب بخصوص أسلحتهـم المخبـأة . وعندمـا رفض العرب الادلاء بأي معلومات عنها ، انحنى وينجيت وتناول حفنـة من الرمال والزلط من الأرض وأرغم أول عربي على مضغها ودفع بها في حنجرته حتى كادت أن تخنقه « وتزهق روحه » . ولكن العرب مع هذا لم يستسلموا . وهنا انتهج الصهيوني غير اليهودي أسلوبا

آخر ، إذ التفت إلى أحد اليهود وأشار إلى العربي قائلاً : « أطلق الرصاص على هذا الرجل » . فتردد اليهودي ، في بادىء الأمر ، ولكن وينجيت قال : في صوت يشوبه التوتر « ألم تسمع ؟ أطلق الرصاص عليه » . فقام المستوطن الصهيوني - ممتثلاً - باطلاق الرصاص على العربي ، واضطر المسجونون العرب الآخرون أن يتكلموا في النهاية ، [٢٧] وقد أشار الجنرال دايان في مذكراته إلى أن الكثير من الرجال الذين كانوا يعملون مع وينجيت « قد أصبحوا ضباطا في الجيش الاسرائيلي ، الذي حارب العرب وهزمهم » . وأوضح دايان أن الذين استفادوا من معرفة وينجيت وتكتيكاته لم يكونوا مساعديه المباشرين فقط بل ان كل قائد في الجيش الاسرائيلي حتى اليوم هو تلميذ من تلاميذ وينجيت : « لقد أعطانا التكتيك الذي نسير عليه اليوم ، وكان هو الالهام الذي نستوحي منه تكتيكاتنا ، لقد كان - بالنسبة لنا - الديناميكية التي تعطينا القوة »[٢٨] .

استفادت قوات الغزو الصهيونية من فكر وينجيت الارهابي العسكري قبل ١٩٤٨ وبعدها ، (فكرة الضربة المجهضة على سبيل المثال) ، ولكن ما يهمنا هنا هو الغارات الليلية التي كانت تشنها الهاجاناه والبالماخ خلال عام ١٩٤٨ . فقد اشار دايان إلى أن الهاجاناه والبالماخ كانتا تشنان هذا النوع من الغارات خلال عام ١٩٤٨ . وكما أشار المؤرخ اليهودي أريه يتشاكي فان التكتيكات كانت في غاية البساطة : « هجوم على قرية العدو ، ثم تدمير أكبر عدد ممكن من المنازل » ، وكانت النتائج بسيطة بالمثل : « مصرع عدد كبير من المسنين والنساء والأطفال في أي مكان تواجه فيه القوة التي تشن الهجوم أي مقاومة »[٢٩] .

ولكن الهاجاناه أدخلت ، على ما يبدو ، بعض التحسينات الهامة

على تكتيكاتها ، ولا سيما في نهاية عهد الانتداب . ففي الهجوم على القرى العربية كان رجال الهاجاناه يضعون ، اولا ، وبهدوء ، شحنات متفجرة حول المنازل المبنية من الحجارة ، ويبللون إطارات النوافذ والأبواب بالبنزين . وبمجرد أن يتم تنفيذ هذه الخطوة ، يفتحون نيرانهم ، في الوقت الذي يبدأ انفجار الديناميت ، فيحترق السكان النائمون حتى الموت[٣٠] .

وتفصيل حادثة الهجوم على قرية دير ياسين ، وهي أول قرية عربية تستولي عليها القوات اليهودية[٣١] ، والمذبحة التي أعقبتها ، قد سجل كله بالكامل . ففي يوم ٢ ابريل عام ١٩٤٨ قتل الارهابيون الصهاينة ٢٥٠ رجلا فلسطينيا غير مسلحين ، ونساء وأطفالا . وقد نفذ المذبحة ارهابيون من اعضاء منظمة الأرجون ، التي كان يرأسها بيجين ، ولكن ذلك تم في الوقت الذي كانت فيه الهاجاناه مسئولة عن كافة العمليات العسكرية ، وعندما كان من الضروري أن تحصل كافة الخطط على موافقة الجهاز العسكري للوكالة اليهودية[٣٢] . ولقد ذكرت موسوعة الصهيونية وإسرائيل أن لجنة العمل الصهيونية (اللجنة التنفيذية الصهيونية) قد وافقت ، في مارس من عام ١٩٤٨ ، على « ترتيبات مؤقتة ، يتأكد بمقتضاها الوجود المنفصل للأرجون . ولكنها جعلت كل خطط الأرجون خاضعة للموافقة المسبقة من جانب قيادة الهاجاناه »[٣٣] . وذكر ويليام بولك الحقيقة غير المعروفة ، وهي أن الهاجاناه هي التي ساعدت في عملية الاستيلاء على القرية ، ثم عهدت بسكانها إلى جماعة عرف عنها أنها « ارهابية »[٣٤] . وقبل وقوع المذبحة بشهر ، نددت حكومة الانتداب في فلسطين بالوكالة اليهودية لسكوتها على الارهاب ، وبعد ثلاثة أيام من المذبحة تم تسليم قرية دير ياسين للهاجاناه ، لاستخدامها مطارا . وجاء في إحدى النشرات الاعلامية التي أصدرتها وزارة الخارجية الاسرائيلية أن ما وصف بأنه « المعركة

من اجل دير ياسين » كان « جزءا لا يتجزأ من المعركة من أجل القدس »[٣٥] ولقد اكد مناحم بيجين ـ رئيس الوزراء الاسرائيلي ـ في كتابه الثورة أيضا أن « الاستيلاء على دير ياسين والتمسك بها يعد إحدى مراحل المخطط العام » ، وأن العملية قد تم تنفيذها « بعلم الهاجاناه وبموافقة قائدها » ، على الرغم من غموض بعض التصريحات التي يدلي بها بعض الصهاينة بخصوص المذبحة ،[٣٦] . وعلى الرغم من الغضب العلني الذي عبر عنه المسئولون في الوكالة اليهودية والمتحدثون الصهاينة (من أجل إرضاء الرأي العام العالمي) .

وقد ذكرت دير ياسين في البداية لأنها أصبحت « نموذجا أوليا » لعدد من الغارات الصهيونية الأخرى « الناجحة » ولقد ذكر يتشاكي في جريدة يديعوت أحرونوت الصادرة في ١٤ ابريل عام ١٩٧٢ ، أمثلة « لأديرة ياسين » أخرى وقعت في عام ١٩٤٨ .

ـ في يوم ٣٠/ ٣١ يناير ، شنت قوات البالماخ هجوما على قرية الشيخ بقيادة حاييم افينون فقتلت « ٦٠ من الأعداء ، (أي الفلسطينيين) معظمهم من المدنيين ، داخل منازلهم »[٣٧] .

ـ في يوم ١٤/ ١٥ فبراير شنت الكتيبة الثالثة للبالماخ هجوما على قرية سعسع ، فدمرت ٢٠ منزلا فوق رؤ وس سكانها ، وأسفر ذلك عن مقتل ٦٠ شخصا ، معظمهم من النساء والأطفال ، وقد تم وصف هذه العملية بأنها كانت عملية مثالية [٣٨] .

ـ شنت القوات الصهيونية « هجمات انتقامية بلا تمييز على شبكة خطوط النقل المدني العربي ، أسفرت عن مقتل الكثير من المواطنين الأبرياء »[٣٩] ولم يذكر المصدر عدد الخسائر في الأرواح .

غير أن يتشاكي اختار ما حدث في اللد « على أنه أشهر عملية

قامت بها البالماخ » . وقد تم تنفيذ عملية اللد ، المعروفة بحملة داني ، لاخماد ثورة عربية قامت في يوليو عام ١٩٤٨ ضد الاحتلال الاسرائيلي . فقد صدرت تعليمات باطلاق الرصاص على أي شخص يشاهد في الشارع ، وفتح جنود البالماخ نيران مدافعهم الثقيلة على جميع المشاة ، وأخمدوا ، بوحشية ، هذا العصيان خلال ساعات قليلة ، وأخذوا يتنقلون من منزل إلى آخر ، يطلقون النار على أي هدف متحرك . ونتيجة لذلك لقي ٢٥٠ عربيا مصرعهم (وفقا لتقرير قائد اللواء)[٤٠] . وذكر كينيت بيلبي ، مراسل جريدة الهيرالد تريبيون ، الذي دخل اللد يوم ١٢ يوليو ، أن موشي دايان قاد طابورا من سيارات الجيب في المدينة كان يقل عددا من الجنود المسلحين بالبنادق والرشاشات من طراز ستين والمدافع الرشاشة التي تتوهج نيرانها . وسار طابور العربات الجيب في الشوارع الرئيسية ، يطلق النيران على كل شيء يتحرك ، ولقد تناثرت جثث العرب ، رجالا ونساء ، بل وحتى جثث الأطفال في الشوارع في أعقاب هذا الهجوم[٤١] . وعندما تم الاستيلاء على رام الله ، في اليوم التالي ، ألقى القبض على جميع من بلغوا سن التجنيد من العرب ، وأودعوا في معتقلات خاصة[٤٢] . ومرة أخرى تجولت العربات في المدينتين ، وأخذت تعلن ، من خلال مكبرات الصوت ، التحذيرات المعتادة ، وفي يوم ١٣ يولية أصدرت مكبرات الصوت أوامر نهائية ، حددت فيها أسماء جسور معينة طريقا للخروج[٤٣] .

وقد علق حاييم وايزمان على نتائج الارهاب والمكر الصهيونيين قائلا : إن خروج العرب بشكل جماعي كان تبسيطا لمهمة إسرائيل ونجاحا مزدوجا : انتصار اقليمي ، وحل ديموجرافي نهائي[٤٤] ، ان الأرض ، بعد تفريغها من سكانها ، أصبحت بلا شعب حتى يأتي الشعب الذي لا أرض له .

العنصرية الصهيونية تجاه العرب

١ ـ قوانين العودة والجنسية :

على الرغم من ان المخطط الصهيوني ـ كما بينا ـ كان يرمي إلى إفراغ فلسطين من سكانها الأصليين تماما ، على أن تحل محلهم مجموعات من يهود العالم ، فان المخطط لم يحقق النجاح الشامل الذي كان يرمي إليه ، ، إذ ظلت اقلية من الفلسطينيين داخل حدود الدولة الصهيونية . ولكن حيث إن الدولة الصهيونية قامت ، أساسا ، للتعبيرعن الهوية اليهودية الخالصة (الوهمية) ، وللحفاظ عليها ، كان لا بد من الضرب على يد هذه الأقلية ، وكان لا بد من تكبيلها بالقيود ، ولتنفيذ هذا الغرض ، أصدر الكيان الصهيوني عدة قوانين تهدف الى حرمان المواطنين العرب من حقوقهم المدنية والسياسية . وبذا نجد أن قوانين التمييز والتفرقة العنصرية تشكل جزءا عضوياً من الاطار القانوني للدولة الصهيونية. والتمييز العنصري في إسرائيل ، بهذا المعنى ، ليس مجرد تعصب شخصي أو فعل فردي ، وإنما هو تمييز عنصري يستند إلى القوانين الاسرائيلية ذاتها . وهذه الخاصية بالذات هي ما يفصل بين التمييز العنصري الذي تمارسه الجيوب الاستيطانية الاحلالية ، وبين التمييز العنصري في بقية أنحاء العالم ، فالتمييز العنصري في الأولى يستند إلى قوانين الدولة ذاتها ، بينما يمارس التمييز العنصري في كل البلاد الاخرى ضد ارادة القانون .

ويعد قانون العودة ، وهو القانون المعلن في ٥ يوليو ١٩٥٠ ، من اكثر القوانين عنصرية فهو يمنح الجنسية الاسرائيلية ، بشكل آلي ، لأيّ يهودي فور وصوله إلى إسرائيل ، حتى ولو كان هذا اليهودي لم تطأ قدماه أرض الشرق الأوسط من قبل . ولا يتمتع الانسان العربي

الفلسطيني ، الذي ولد ونشأ في فلسطين ، والذي يريد العودة إلى وطنه بهذا الحق . ولا يوجد أي قانون يماثل قانون العودة في أي بلد آخر ، فهو قانون يستند إلى المفهوم الصهيوني الفريد ، القائل بما يسمى بالقومية اليهودية الخالصة ، وهو قانون عنصري بلا شك لأنه يحرم غير اليهود من حقوقهم الشرعية في وطنهم .

وعلى خلاف أي بلد آخر في العالم ، باستثناء الدول الاستيطانية ، فإن القائمين على تشجيع الهجرة إلى إسرائيل لا يحاولون تجنيد الأفراد وفقا للمهارات التي يمتلكونها ، أو تلك التي قد تكون الدولة في حاجة إليها ولكن وفقا لخاصية فريدة ، هي « اليهودية » ، التي تعرف على أنها صفة دينية أو اثنية أو عرقية . ومن أجل الحفاظ على الميزان الديموجرافي ، فان « العوليم » ـ أي اليهود العائدين إلى وطنهم ،حسبما يقول قانون العودة ،يمنحون كافة المزايا الاقتصادية التي حرم منها السكان العرب .

ولقد أعرب أحد الأساتذة الاسرائيليين وهو ر. كونفيتس ـ خلال النقاش الذي دار قبل الموافقة على قانون العودة ـ عن مخاوفه من احتمال مقارنة هذا القانون بالقوانين النازية ، طالما أنه يجسد « مبدأ التمييز بين الافراد على اساس ديني أو عرقي[٤٥] .

وبعد صدور هذا القانون ، حذرت جريدة **جويش نيوز لتر** ، في عددها الصادر في ١٢ مايو ١٩٥٢ ، من ان هذا القانون يعيد إلى الذاكرة النظرية العنصرية الخطيرة القائلة بأن الفرد الألماني يتمتع بمزايا جنسيته ، بغض النظر عن المكان الذي يوجد فيه .

وفي مقارنة عقدها روفن جراس ـ وهو أحد النازحين المتدينين من الولايات المتحدة إلى إسرائيل ـ بين قانون العودة والقوانين النازية ، بين أن قانون العودة يمنح امتيازات الهجرة لأي يهودي بموجب تعريف

قوانين نورمبرج : أي أن يكون جده يهوديا[٤٦] . وفي الحقيقة هناك على الأقل ، حالة واحدة معروفة ، قامت فيها السلطات « الدينية » في إسرائيل بالرجوع إلى السجلات النازية ، للتأكد من الهوية العنصرية الدينية الاثنية لأحد المواطنين الاسرائيليين .

ومن الممكن كشف الطبيعة العنصرية الفريدة لقانون العودة في المصطلحات الصارمة والهرمية المستخدمة في إسرائيل للتفرقة بين الأشكال المختلفة للهجرة . فاذا عاد يهودي إلى « ارتس يسرائيل » - كما تسمى فلسطين في الأدبيات الصهيونية - فان عودته تسمى « عالياه » أو الصعود - تشبيها له بالتجربة الدينية ، « التي تسعى إلى تحقيق مثل اعلى . . السمو بشخصيه الفرد الى مستوى اخلاقي أعلى » ، كما جاء في المدخل الخاص « بعالياه » في **موسوعة الصهيونية واسرائيل**[٤٧] . وإذا قام اليهودي بالنزوج من الأرض المقدسة ، فان هذا يعتبر انحلالا ، لأنه بذلك يرتكب « اليريداه » - أو الهبوط ، وهو الارتداد ، الذي هو بمثابة السقوط من الجنة السماوية إلى التاريخ الانساني ، وإذا قام أحد اليهود السوفييت بتغيير رأيه أثناء هجرته إلى « آرتس بسرائيل » ، (كما فعل كثيرون منهم) فان المصطلح المستخدم هو « النشيراه » - أي قطع الصعود ، أو الابتعاد وهو أقل سوءا من « اليريداه » لأن اليهودي لم تطأ قدماه الأرض المقدسة بعد وفي إمكان اليهودي السوفييتي أن يترك روسيا بغرض النزوح إلى الولايات المتحدة ، وهذا ما يطلق عليه « هجرة » وهو مجرد نزوح لا يختلف عن غيره ، وحين يقرر أحد الأغيار أن ينزح إلى إسرائيل ، فان صعوده لا يعد مقدسا ، بل هو مجرد « لهيش تاكيا » ، أيَ إقامة تخلو من أي هالة دينية حولها .

وكان على السكان العرب ، الذين ظلوا في ذلك الجزء من فلسطين الذي صار بعد ذلك يعرف باسم إسرائيل ، ان يتقدموا

بطلبات المواطنة في ظل قانون الجنسية لعـام ١٩٥٢ ٠ وكان هؤلاء السكان يعتبرون مؤهلين للحصول على حق المواطنة بعـد استيفـاء عدد كبير من الشروط ، فكان على المواطن العربي ان يثبت « انـه موجود في البلد ، وأنه عاش في المنطقة المحتلة لفترة ثلاث سنوات من إجمالي السنوات الخمس السابقة على تاريخ تقديم طلب الحصول على المواطنة ، وأن في إمكانه الحصول على مسكن دائـم ، وأنـه ينـوي الاستقرار نهائيا في البلد ، وأنه ملم باللغة العبرية »(٤٨) .

وإذا استطاع الساكن العربي استيفاء كل هذه الشروط المتعسفة فان عليه ان ينتظر حكم وزير الداخلية الاسرائيلي بقبول هذا الطلب أو رفضه(٤٩) والدافع الجلي وراء هذه الشروط هو منع أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين من الحصول على الجنسية الاسرائيلية ، وجدير بالذكر أن حوالي ٧٠,٠٠٠ من السكان العرب ، المولـودين في إسرائيل ، والمقيمين بها محرومون من حقوق المواطنة الكاملة ، وذلك لانهم غير مستوفين لشروط قانون الجنسية لغـير اليهـود(٥٠) كما أن عدد هؤلاء العرب يزداد بشكل مستمر « طالما أن الحرمان من الجنسية يعـد من الأمور الموروثة » وبعض السكان العرب ، الذين ولدوا من أبوين بلا جنسية ، لم يدركوا هذه الحقيقة إلا حين تقدموا للحصول على جوازات سفر أو مستندات أخرى . ولا يعرف كل هؤلاء السـكان العرب أنه لا يمكنهم الحصول على الجنسية الاسرائيلية ، على الرغم من انهم ولدوا في إسرائيل في القرى التي عاش فيها آباؤهم أجيالا وأجيالا(٥١) ويحق لمثل هؤلاء السكان العرب الفلسطينيين وأطفالهم أن يطالبوا بمكانة « المقيمين الدائمين فحسب ، الامر الذي يبيح لهم السفر خارج إسرائيل لفترة زمنية لا تتعدى عاما ويوما واحدا ، وإذا ظلوا خارج إسرائيل أربعا وعشرين ساعة أخـرى سقـط حقهـم في العودة إلى إسرائيل(٥٢)

وغير اليهود في الدولة الصهيونية محرومون من التمتع بكثير من المزايا والحقوق ففي مجال الاسكان ، يلقى السكان العرب صعوبات بالغة في الحصول على مكان للسكن . وحين ينتقل عدد من السكان العرب الى منطقة يهودية ينتقل كثير من اليهود الى أماكن أخرى ، تعبيرا عن احتجاجهم وخوفهم من تعريب المنطقة . ولقد هدد سكان بلدة الناصرة العليا بالقيام بعملية خروج جماعية من هذه البلدة الى المناطق المتاخمة ، إذا لم تتخذ الاجراءات اللازمة لمنع تدفق الأسر العربية الى تلك البلدة . وذكرت جريدة معاريف ، في عددها الصادر في ٢٠ يوليو ١٩٧٥ ، أن المعارضين الاسرائيليين كانوا على استعداد لاستخدام العنف لمنع تحول الناصرة العليا إلى بلدة عربية ، وكمعظم الأقليات المضطهدة ، فان العرب قد يكونون على استعداد لدفع أجور اعلى من تلك المعروضة على المستأجرين اليهود ، ومع ذلك فليس في إمكانهم استئجار شقق أو شراؤ ها في مناطق معينة . ويرجع الخوف من « تعريب » بلدة الناصرة العليا الى وجود ٤٠٠ اسرة عربية بها لا أكثر ولا أقل [٥٣] .

وقد يكون من المفيد في هذا الصدد ان نعرض للنتائج التي توصل اليها احد علماء الاجتماع الاسرائيليين ، في مقال نشر في المجلة الأميركية لعلم الاجتماع ، في عددها الصادر في مايو ١٩٧٢ ، جاء فيه أن ٩١٪ من الاسرائيليين اليهود الذين قام العالم المذكور بسؤ الهم ، متفقون على أن الأمور تكون أفضل بالنسبة لهم لو كان هناك عدد أقل من السكان العرب في إسرائيل . وعلاوة على ذلك فان ٧٦٪ منهم يؤ منون بأن العرب لن يصلوا إلى مستوى التقدم الذي وصل إليه اليهود ، و٨٦٪ رفضوا تأجير غرفة لعربي ، و٦٧٪ لا يرغبون في أن يكون لهم جار عربي[٥٤] .

ويجب ان نتذكر ، مرة اخرى ، أن التمييز العنصري ، فيما يختص

بالاسكان ، لا يعد نوعا من التعصب الفردي الاعمى ، بل هو سياسة تضرب بجذورها في العقيدة الصهيونية ، ويدعمها هيكل المجتمع والحكومة الصهيونية . ولقد كتب إسرائيل شاهاك ، أحد الاسرائيليين الرافضين للصهيونية ، والمناصرين لقضية الحقوق المدنية ، انه في وزارة الاسكان الاسرائيلية توجد وحدة خاصة تدعى « ادارة اسكان الاقليات » تتعامل مع « غير اليهود ، فحسب » .

ومن المحتم ان تجري الامور بهذه الكيفية ، طالما ان قوانين الصندوق القومي اليهودي تنص على ان العربي لا يستطيع ان يستأجر ارضا يهودية ، وهي قاعدة تنطبق حتى على شقة في مباني الحكومة . وتقوم الوزارة بتشجيع الاسكان اليهودي داخل القدس ، في حين انها لا تشجع اسكان اعضاء الاقلية العربية بها ، وذلك لخلق « حقائق ديموجرافية جديدة » اي خلق امر واقع صهيوني . وفي المصطلح الاسرائيلي الدارج ، نجد ان ، « تعمير منطقة الجليل بالسكان » تعني في حقيقة الأمر ، كما يقول « إسرائيل شاهاك » ، « تهويد منطقة الجليل[٥٥] » ، فالارض بلا شعب يهودي هي ارض خالية من السكان ، تحتاج الى التعمير .

ولا بد لنا من النظر الى قوانين العودة والجنسية في علاقتها بالقوانين المتعسفة الاخرى التي تحكم الحياة اليومية للعرب الموجودين في اسرائيل . فقانون اللوائح الادارية ، وهو اول قرار تشريعي اسرائيلي ، وضع كافة العرب تحت رحمة كثير من لوائح الطوارىء ، وحرمهم من كافة حقوقهم المدنية واخضعهم لاهواء الحكومة العسكرية .

وتستند الحكومة العسكرية الى سلسلة من القوانين « ولوائح الطوارىء » التي اعلنتها الحكومة البريطانية في اواخر الثلاثينات من هذا القرن ، وذلك لاضعاف المقاومة الفلسطينية للاستعمار . ولقد تم تقنين هذه اللوائح ، فيما بعد ، للقضاء على مشيري الشغب في صفوف الصهاينة الذين كانوا يعارضون حكومة الانتداب(٥٦) ، وتتضمن هذه القوانين ـ المعروفة باسم قوانين الدفاع (حالة الطوارىء) ١٩٤٥ ـ ١٧٠ مادة .

كما اصدرت الدولة الصهيونية مجموعة قوانين اخرى ، عرفت باسم قوانين الطوارىء (مناطق الامن) ١٩٤٩ . وذلك لاحكام رقابة الحكومة العسكرية الاسرائيلية على السكان العرب ، ولقد خولت قوانين الدفاع البريطانية لعام ١٩٤٥ الحكومة حق اقامة « مناطق دفاع » يمكنها تحديد « مناطق امن » في داخلها ، ويمكن وضع السلطة داخل هذه المناطق في ايدي ضباط عسكريين ذوي رتب معينة .

ولقد استغلت السلطات العسكرية الاسرائيلية قوانين الدفاع تلك الى اقصى حد . فقسمت المناطق التي يشكل العرب غالبية سكانها الى مناطق عسكرية ، او مناطق أمن ، وبالتالي لا يمكن لاحد الدخول او الخروج منها دون تصريح مكتوب من السلطات العسكرية ، وكان التصريح المكتوب بالعبرية يحتوي عادة على قيود مثل : ـ

« يحق لحامل التصريح البقاء خارج المنطقة المغلقة بين الساعة السادسة صباحا والثالثة بعد الظهر فقط ، ولا يحق لحامل التصريح ان

يدخل المستعمرات اليهودية وهو في الخارج ، ، لا يحق لحامل التصريح ان يسافر إلا عبر هذا الطريق . . لا يعمل بهذا التصريح ايام السبت والعطلات اليهودية . لا يحق لك ترك المنطقة المغلقة الا للغرض المكتوب في التصريح ، لا يحق لك تغيير مكان سكنك ، كما هو مكتوب في التصريح ، دون تصريح من القائد العسكري[٥٧] .

وليس من السهل الحصول على هذا التصريح ، فقبل اسبوعين من بدء الرحلة يجب على مقدم الطلب ان يذهب الى اقرب مركز بوليس ، ويقدم طلبا الى القائد العسكري الذي له حق الموافقة على طلبه أو رفضه ، وعلى سبيل المثال نجد انه من اليسير للغاية على احد العرب الاعضاء في « الجماعة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية » ، وهي جماعة اسرائيلية مناهضة للصهيونية ، ان يحصل على تصريح للمثول امام المحكمة بسبب نشاطه المناهض للصهيونية ، في حين من الصعب عليه الحصول على تصريح يسمح له بالسفر الى المنطقة التي يجتمع فيها اعضاء هذه الجماعة[٥٨] ، ولا يعني هذا مجرد انتفاء حرياته المدنية ، ولكنه يعني ايضا « حرمانه من حقوقه السياسية » .

وتعطينا مجلة نيو أوت لوك الاسرائيلية ، فكرة عن تأثير نظام التصاريح على الحياة اليومية للسكان العرب . فالاتوبيس المتجه من حيفا الى الناصرة ، مثلا يتوقف عند نقاط معينة ، ويصعد البوليس العسكري ، ويسير داخل الاتوبيس ليتأكد من تصاريح السفر التي يحملها العرب ، متجاهلا اليهود تماما . واذا وجد البوليس أي تصريح غير مختوم او موقع عليه بالطريقة الصحيحة ينزل صاحبه من

الاتوبيس لاجراء تحقيق معه[٥٩] ، وقد وجد البوليس عربيا ، كان قد حصل على تصريح للذهاب الى طبيب الاسنان ثماني مرات ، يسير في احد الشوارع جيئة وذهابا ، وبالتالي حرم من التصريح[٦٠] . وبعض الطلاب العرب ، الذين يحملون تصاريح لعشرة ايام ، عليهم ان يقطعوا دراستهم ويعودوا ، كي يجددوا هذه التصاريح[٦١] . وتخول لوائح الطواريء السلطات العسكرية حق طرد اي عربي من سكنه ، كما تخولها حق دخول وتفتيش اي مكان ، ومصادرة اي بضائع ، ومنع المواطنين من استخدام ممتلكاتهم الخاصة ، او حتى من محاولة البحث عن عمل . كما تخول هذه اللوائح الحاكم العسكري حق فرض حظر التجول ، وذلك لتقييد حركة المواطنين ، كما تمنحه حق احتجاز أي مواطن بصفة دائمة دون ذكر اي تهمة محددة اكثر من انه « خطر على الامن » . وعلى سبيل المثال ، ففي الفترة بين عامي ١٩٥٦ - ١٩٥٧ ، تم اصدار ٣١٥ امرا اداريا . ولقد استخدمت كل هذه القوانين لفرض حظر تعسفي على كافة قرى منطقة الجليل ، طوال معظم الليل ، لفترة ١٤ سنة[٦٢] .

ومما يجدر ملاحظته ، ان السلطة الوحيدة ، والنهائية ، فيما يختص « بلوائح الطواريء » ، محكمة عسكرية كانت قراراتها غير خاضعة لسلطة محكمة الاستئناف المدنية[٦٣] . وكانت كافة الاحكام تقريبا في هاتين المحكمتين قائمة على الاعترافات المقتلعة بوسائل التعذيب المختلفة ، التي ينكرها المتهم عادة ، امام المحكمة[٦٤] .

ولقد اكد يعقوب شابيرا ، وزير العد الاسرائيلي السابق ، في

اعقاب الحرب العالمية الثانية ، حينما طبقت هذه القوانين من قبل الحكومة البريطانية ، على المستوطنين الصهاينة ، انه لم يكن لمثل هذه القوانين مثيل ، حتى في المانيا النازية ، وفي اثناء اجتماع اتحاد المحامين العبرانيين ، في ١٩٤٦ ، وصف احد المتحدثين قوانين الطوارىء بأنها شكل من اشكال « الارهاب الرسمي » . وفي قرار اصدره المؤتمر حذر من ان هذه القوانين تعد بمثابة خطر على الحرية الفردية ، يدمر اساس القانون والعدالة[٦٥] .

وحينما تولت حكومة اشكول مهام عملها في ١٩٦٢ ، استبدلت بالادارة العسكرية ، جهاز بوليس مدني ، وقد تمت هذه العملية عام ١٩٦٦[٦٦] . ومع ذلك ، ظلت قوانين الطوارىء كما هى بكامل قوتها ودون تغيير - كما اشار ، اهارون كوهين ، المؤرخ الاسرائيلي ، في كتابه عن **اسرائيل والعالم العربي**[٦٧] ، وقد بين اسرائيل شاهاك ، ان الذي تغير فعلا لم يكن الحكومة العسكرية نفسها ، وانما طريقة التطبيق ، فقد استبدل بالاساس الجغرافي القديم ، أساس فردي . ففي الماضي ، كان ينظر الى كل السكان العرب داخل منطقة جغرافية معينة على انهم محتجزون ، والآن ينظر اليهم على اساس انهم احرار نظريا ، ولكن من حق الحاكم العسكري ، مع هذا ان يمنع تحرك اي مواطن عربي مهما كان مركزه[٦٨] .

وبعد ادخال هذه التغييرات ، تم اخطار مئات من المواطنين الموضوعين في القائمة السوداء بعدم الانتقال بدون اذن الحاكم العسكري . وهؤلاء الاشخاص هم عادة الذين يشكلون زعامة

المجتمع العربي في اسرائيل . والوضع الجديد يعد تدهورا اكيدا في اوضاعهم ، فقبل تطبيق القوانين « الليبرالية » الجديدة ، كان في مقدور هؤلاء المواطنين التحرك بحرية داخل المنطقة المغلقة ، على الاقل خلال ساعات النهار ، شأنهم في هذا شأن بقية السكان ، ولكن بعد القوانين الجديدة اصبح عليهم الحصول على تصريح حتى لهذا الغرض . وعلاوة على ذلك ، فإن عقوبة مغادرة المنطقة المغلقة كانت غرامة تصل الى ٤٠٠٠ ليرة اسرائيلية عن اليوم الواحد ، ثم اصبحت السجن في ظل القوانين الجديدة[٦٩] ، ولا بد لنا من ان نشير الى ان قوانين الطوارىء قد امتدت لتشمل المناطق العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ، وانها ما تزال تطبق هناك[٧٠] .

٢ ـ الارض اليهودية والعمل العبري :

لما كان الهدف الاساسي للمخطط الصهيوني هو الحصول على « ارض بلا شعب » فان الدولة الصهيونية سارعت بالاستيلاء على الارض الزراعية بعد ان تم تفريغ فلسطين من معظم سكانها ، وبعد ان تم اخضاع البقية الباقية منهم بكافة الوسائل . وفي عام ١٩٤٨ كان اجمالي ما يملكه اليهود من الارض ، المؤجرة والمملوكة ، لا يمثل اكثر من ٧ ٪ من اجمالي مسطح الارض[٧١] . (اي ان الشائعات بخصوص « بيع » الفلسطينيين لارضهم التي يطلقها الصهاينة وبعض الاوساط الرجعية العربية لا اساس لها من الصحة) . ولتوسيع هذه الرقعة قامت اسرائيل بتطبيق عدد من القوانين ، مثل قوانين المناطق المهجورة (١٩٤٩) ، ومواد الطوارىء لاستغلال الأراضي غير المزروعة (١٩٤٧ ـ ١٩٤٩) ، وقانون الملكية الغائبة (١٩٥٠) ، وقانون الاستيلاء على الارض (١٩٥٣) .

وبمقتضى القانـون الاول ، يحـق للسلطـات اغـلاق اية منطقـة لاسباب تتعلق بالأمن ، كما يحرم سكانها العرب من دخولها . وبعد ذلك يعلن ان تلك البقعـة من الارض « مهجـورة » او « غـير مزروعة » .

وفي ظل القانون الثالث ، يمكن اعطاء تلك البقعـة من الارض لليهود لكي يقوموا بزراعتها . وكثيرمن السكان العرب الـذين لم يغادروا حدود ذلك الجزء من فلسطـين ، الـذي اصبـح اسرائيل ، اضطروا ، لسبب او لآخر ، ان يرحلوا لفترة من الزمن عن قراهم خلال الاسابيع الاولى للاحتلال الاسرائيلي وما صاحبه من عمليات ضم الاراضي ونقل السكان ، وعند عودتهم الى قراهم فوجئوا بأنهم ممنوعــون من دخولهـا ، وان تلك القــرى صارت ممتلـكات بلا صاحب ، وبالتالي تم الاستيلاء عليها[٧٢] ، وصار لهؤلاء السـكان تعريف غريب ، وهو انهـم « غائبـون موجـودون » ، في حـين ان اللاجئين الفلسـطينيين ، خارج حدود اسرائيل يعـدون « غائبـين » تمامـا[٧٣] ، ولعـل هذه المصطلحـات من اطـرف التجليات للنسـق الايديولوجي الصهيوني .

واما قانون الاستيلاء على الاراضي فهو يقوي من قبضة اسرائيل على الاراضي العربية لأن ذلك القانون يجعل الإستيلاء على الأراضي امـرا « شرعيا » في ظل قوانـين ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، كما أنـه يخـول الحكومة سلطة نقل ملكية الاراضي الى اليهود[٧٤] .

ولا تعد القوانين التي تهدف الى نزع ملكية الاراض منفصلة عن قوانين الطوارىء ففي كثيرمن الحالات ، يعلن الحاكم العسكري ان

منطقة ما صارت مغلقة لاجراء مناورات عسكرية بها ، ويمنع اصحابها من دخولها لاسباب تتعلق بالامن ، وبعد ذلك تتم مصادرة الارض « المهجورة » ، ويعني هذا ان المنطقة المغلقة يجري اعدادها للاستيطان اليهودي[٧٥] ، ولقد قال شيمون بيريز ، بوصفه نائب وزير الدفاع ، في مقابلة في جريدة دافار في ٢٦ يناير ١٩٦٢ ، : عملا بالمادة ١٢٥ ، والتي تعتمد عليها الحكومة العسكرية ، فإنه يمكننا الاستمرار مباشرة في نضالنا من اجل الاستيطان اليهودي والهجرة اليهودية[٧٦] .

وقد استمرت عملية الاستيلاء على الاراضي العربية بلا هوادة ، الامر الذي ادى الى نزع ملكية ما يقرب من ١٥٠,٠٠٠ هكتار ، واستيلاء الدولة الصهيونية عليها . وتضاءل لذلك حجم الاراضي العربية المملوكة للسكان العرب بدرجة كبيرة . وزاد الموقف صعوبة ارتفاع معدل المواليد العرب .

وهكذا نجد ، على سبيل المثال لا الحصر ، ان في قرية ام الفحم ، وهى اكبر القرى العربية التي استولت عليها اسرائيل ، وصل اجمالي الاراضي المملوكة للسكان العرب حوالي ١٤,٠٠٠ هكتار ، لم يتبق منها سوى ١٢٠٠ هكتار ، وذلك مع متوسط نسبة الزيادة في عدد السكان يبلغ ٧٠٠ طفل في العام الواحد ، وتعد هذه ظاهرة قومية بين عرب الارض المحتلة ، الذين كانت كل عائلة منهم تملك ، في المتوسط ، ١,٥ هكتار . وفي عام ١٩٧٣ انخفض هذا المتوسط الى ٠,٤٦ هكتار لكل عائلة ، ولا يزال في انخفاض منذ ذلك الحين[٧٧] .

هذا ولا يسمح الا لليهود وحدهم ، بالعمل في الارض العربية المغتصبة قبل عام ١٩٤٨ وبعده ، ولقد قامت الحركة الصهيونية بطرح الشعار الصهيوني : « العمل العبري » لتحقيق ذلك الغرض . فنادى الفيلسوف الصهيوني ، جوردون ، بأنه يجب ان تزرع كل شجرة ونبتة في الوطن اليهودي بأيدي الرواد اليهود فقط[٧٨] . ولترجمة الاسطورة الدينية والصوفية الى لغة سياسية ، علينا الرجوع الى اقوال آرثر روبين ، الذي اعلن في المجلس الصهيوني الحادي عشر (١٩١٣) ان الصهاينة ارادوا اقامة « اقتصاد يهودي مغلق ، يكون فيه المنتجون والمستهلكون والوسطاء من اليهود[٧٩] » .

والحركة التعاونية الصهيونية بأسرها هى اساسا ، وسيلة لتحقيق الرؤ ية الصهيونية الانفصالية . ولقد كانت الحركة التعاونية الصهيونية ، من الناحية العملية ، مجرد اداة اقتصادية عسكرية ، تبناها المستوطنون اليهود لضمان انفصالهم الثقافي والاقتصادي ، ولصد عداء الفلاحين الفلسطينيين الذين اغتصبت اراضيهم ، وكذلك للاعداد لاجلاء الفلاحين نهائيا في الوقت المناسب .

ويعد « الهستدروت » مثالا جيدا على ما ذكرناه ، فقد قام هذا الاتحاد العمالي للمستوطنين بتنفيذ برنامج الانعزال الاقتصادي وذلك بتنظيم مظاهرات ، لا ضد الطبقات المستغلة ، وإنما ضد أولئك اليهود الذين قاموا بشراء منتجات عربية او قاموا باستئجار عمال عرب . ولتحقيق الرؤ ية الانعزالية ، قام الصهاينة « الاشتراكيون » بمناشدة ربات البيوت اليهوديات عدم شراء أي شيء من العرب ، ولقد شعروا ان من واجبهم التظاهر امام مزارع البرتقال حتى يمنعوا

العمال العرب من العمل فيها . بل انهم كانوا يقومون أحياناً بصب بترول على حقول الطماطم التي قام العرب بزراعتها ، وهاجموا ربات البيوت اليهوديات وكسروا ما يحملنه من بيض من انتاج عربي ، ولقد جاء كل ذلك ضمن مقالة ديفيد كوهين ، عضو الكنيست في جريدة ها آرتس في عددها الصادر في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٦٨[٨٠] .

ولقد وصل الحماس ، او فلنقل التعصب للعمل العبري قمما هسترية في بعض الاحيان ، وعلى سبيل المثال ، فحينما استأجر فريق من الصهاينة بعض العمال العرب من ذوي التكلفة الضئيلة ، لزراعة بعض الشجيرات في غابة تحمل اسم هرتزل ، تظاهر بعض الصهاينة اعتراضا على هذا ، وقاموا باقتلاع شتلات تلك الاشجار ، ثم اعادوا زراعتها بانفسهم .

ولم يتغير العمل العبري او يفقد حيويته او هستيريته مع مرور الزمن ، او بعد اقامة الدولة الصهيونية . ففي الاونة الاخيرة قام صهاينة حزب موكيد ـ « اليساريون » ـ بالتظاهر امام مزرعة الجنرال اريل شارون ، اليميني ، اعتراضا على استئجاره للعمال العرب[٨١] .

وتظهر عنصرية الحركة التعاونية الصهيونية في مجال الزراعة ، في كل من نظريات وممارسات الصندوق القومي اليهودي ، وعنصريته ايضا ، اذ يقوم بشراء الارض من غير اليهود فقط ، ويملك الآن اكثر من ٩٠٪ من مزارع اسرائيل . ولا يحق لغير اليهود استئجار هذه المزارع ، كما لا يسمح الصندوق لاحد من العمال العرب ان يعمل فيها . وتنص المادة ٣ من دستور الصندوق القومي اليهودي ، على ان

هذه الارض مملوكة ، ملكية خالصة ، للشعب اليهودي ، كما تنص ايضا على ان الوكالة اليهودية تقوم بتشجيع الاستعمار الزراعي القائم على العمل العبري . وجدير بالذكر ان كافة المستوطنات الـزراعية الصهيونية ، بما في ذلك الكيبوتزات ذات المثل « الاشتراكية » تحـرم العرب من عضويتها .

وتتخذ الدولة الصهيونية الاجراءات اللازمة لضمان تطبيق الآراء العنصرية للصنـدوق القومـي اليهـودي ، وأيديولوجيتـه . ففـي التقـرير الـذي نشر في جريدة معـاريف في عددهـا الصـادر في ٣ يوليو ١٩٧٥ ، ثمة اشارة الى بدء حملة عنيفـة « لاستئصـال وبـاء » تأجـير الارض « للعـدو » ، أي للمزارعـين العـرب في غرب الجليل[٨٢] . ولقد استخدم وزير الزراعة الاسرائيلي السابـق كلمـة « الوباء » في وصفـه لانتشـار العمال العـرب في المزارع اليهـودية ، ووصف العمل العربي بأنه سرطان في جسدنا[٨٣] ، وعملية استئجار العمال العرب في المستوطنات اليهودية ، سواء كان ذلك مباشرة او من خلال تأجير المزارع ، تعد مناقضة للقوانين الصهيونية / الاسرائيلية ولوائحها ، وذلك حسبما جاء في مذكرة ، بعث بها أهارون ناحماني ، مدير منطقة الخليل في الوكالة اليهودية للمستوطنات الصهيونية[٨٤] .

ويعاقب كل اسرائيلي يقوم باستئجار العمال العرب بدفع غرامة ، لانتهاكه المادة ٢٣ من دستور الصندوق القومي اليهـودي . وينص هذا الدستور نفسه على ان من حق الصندوق ان يحرم المالك اليهودى من ارضه ، دون دفع أي تعـويض له ، اذا قام بأنتهـاك هذه المادة ثلاث مرات[٨٥] .

وكثيرا ما تنشر الصحف الاسرائيلية الاخبار عن « ضبط » بعض المستوطنات الزراعية متلبسة بخرق القوانين الصهيونية العنصرية ، بتأجير الاراضي الزراعية لغير اليهود ، ولقد اعلنت جريدة معاريف في عددها الصادر في ٢٦ اكتوبر ١٩٧١ ، ان الوكالة اليهودية قررت مصادرة ارض احد المستوطنين اليهود في « موشاف نيتساري أوز » ، كما ان الوكالة قد اتخذت الاجراءات القانونية ضد « موشاف أتوريم » لقيامه بتأجير أرض زراعية للعرب[٨٦] ، وقدمت الصحيفة نفسها في عددها الصادر في ٥ نوفمبر ١٩٧١ ، تقريرا عن الحالات التي قام فيها المستوطنون الصهاينة « بارتكاب جريمة » تأجير ارض لبعض العرب الذين كانوا مقيمين في نفس الارض قبل عام ١٩٤٨[٨٧] . واصدرت الوكالة اليهودية تحذيرات للمستوطنات التي تستخدم العمال العرب ، بأنه اذا تم ضبطها ، مرة اخرى وهى تستخدم « الاغيار » العرب ، فسوف تحرم من كافة الاعانات ، كما انها لن تتلقى نصيبها من المياه ، ولن تحصل على اعتمادات ، ولن تستفيد من قروض التنمية[٨٨] .

وفي عام ١٩٦٠ حدث تغيير نسبي ، حين بدأ الهستدروت ، بالسماح للعرب بعد ٤٠ عاما من عمليات الهجرة والاحتلال والاستيطان الصهيوني ، بالانضمام الى عضويته . وتوحي هذه الخطوة التي تشبه من بعض الوجوه ، قرارات الغاء الحكومة العسكرية ، بدرجة من الاعتدال من جانب السلطات الاسرائيلية في مواجهة العمل العربي ، ومع ذلك تجدر الاشارة هنا الى ان الاسلوب العنيف في تطبيق قوانين القمع عادة ما يتبع في المراحل الاولى فقط من عمليات الاستيطان الاحلالي ، وحين يستطيع الاستعمار الاحلالي

ان يحقق اغراضه ، كتحقيق وجـود اغلبية سكانية ، وتحقيق عملية نزع الاراضي من اصحابها ، فإنه عادة ما يخفف بعض الشيء ، من حدة القوانين المتعسفة وتسلطها . ولقد كان جابوتنسكي ، يرى انه لا يمكن تطبيق الاشكال الديموقراطية الا بعـد تحقيق اغلبية سكانية يهودية ، بحيث تسود وجهة النظر اليهودية على الـدوام(٨٩) . ومثل هذا التخفيف من حدة القيود القانـونية ، بعـد اكتمال السيطـرة ، معروف في الدول الاستيطانية الاخرى ، ومثال ذلك ما ذكرته مجلة تايم ، في عددها الصادر في ٢ مايو ١٩٧٧ ، من ان رئيس وزراء جنوب افريقيا ، فورستر ، قد صرح بأن سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا سوف يتم الغاؤها . ويستطرد تقرير تايم قائلا : ان فورستر كان يعني ان الحكومة تنـوي تعـديل بعض سمات سياسـة التمييز العنصري ، كالخدمـات المنفصلـة في دورات المياه ، والاتوبيسات وغيرها ، بالنسبة للسود والبيض . كما تحدث فورستر ايضا عن التزام حكومته « بخلق فرص » لغير البيض . ولـكن هذا التخفيف من حدة القيود القانونية ان هو الا شيء فرعي ، اذ يظـل المبدأ الاساسي هو الالتزام بسيادة البيض في جنوب افريقيا ، ولقـد اعلن رئيس الوزراء ، دون مواربة ان حكومته لا تنوي خلق مجتمع متعدد الاجناس .

وغني عن القول أن هيمنة البيض والصهاينة تجعل في الامـكان استرجاع سياسة القمع الاولى بكامل قوتها اذا تصاعدت المقاومة .

٣ ـ الجسد والروح ، الماضي والحاضر :

لا تعد عمليات انـتزاع الاراضي من العـرب ، وسياسـة التمييز العنصري ضدهم ، هى الاشكال الوحيدة للعنصرية الصـهيونية .

فهناك ما يكفي من الادلة لاثبات ان المؤسسة الصهيونية / الاسرائيلية تلجأ الى اساليب الارهاب ، بدءا من التصفية الجسدية ، الى وسائل التعذيب المختلفة ، والعقاب الجماعي لاخضاع السكان العرب . ومذبحة كفر قاسم خير شاهد على ذلك . ففي ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ لقى ٤٧ شخصا من سكان تلك القرية الواقعة داخل الارض المحتلة ، مصرعهم بنيران رشاشات حرس الحدود ، عند وصولهم الى مشارف قريتهم ، بعد يوم من العمل في الحقول . وكان من بين الضحايا سبعة اطفال وتسع نساء ، وكانت جريرة هؤلاء الضحايا هي عدم معرفتهم باعلان حظر التجول في فترة غيابهم في العمل .

ويصف لنا تقرير لجنة العفو الدولية حول اساليب التعذيب الاسرائيلية (بتاريخ ابريل ١٩٧٠) حالات كانت الكلاب البوليسية فيها تطلق على المسجونين العرب وايديهم مغلولة وراء ظهورهم ، وكيف كانت السلطات الاسرائيلية تضع اصابع المسجونين العرب بين عوارض الابواب ثم يتم احكام غلق تلك الابواب على الاصابع المعتصرة ، وكيف كانت تقلع اظافر الاصابع بالكماشات ، وكيف كان الجنود الاسرائيليون يمسكون بأحد المساجين العرب ويدخلون في قضيبه اعواد الكبريت ـ وغير ذلك من الاساليب المعروفة وغير المعروفة في التعذيب(٩٠) .

ولقد تعرض للتعذيب في سجون اسرائيل مؤيد عثمان ، وهو تلميذ باحدى المدارس الثانوية ، كما منع من مقابلة الزوار لمدة ستة اشهر . وحين سمح له بمقابلة اول زائر له كانت ذراعه اليسرى مشلولة تماما(٩١) . ووضعت عبلة طه في زنزانة مع عدد من العاهرات قمن بتجريدها من الملابس في وجود احد رجال البوليس . وبعد ضربها بوحشية تركت عارية أحد عشر يوما ، ورفضت السلطات

الاسرائيلية منحها اية عناية طبية ، رغم انها كانت حاملا ومصابة بنزيف حاد(٩٢) .

ومن حوادث التعذيب الاخيرة ، ما لقيه عمر عبد الغني سلامه ، من تعذيب بتهمة انه من الفدائيين الفلسطينيين . ففي عام ١٩٦٩ القى القبض عليه ووضع في السجن اكثر من عام ونصف ، عذب خلالها . ولكن حين القى عليه القبض مرة اخرى في ٣ اكتوبر ١٩٧٦ ، كان عليه ان يرى من الوان التعذيب ما لم يرى من قبل . ففي « المجمع الروسي » (الموجود في القدس الشرقية ، وهو احد مراكز التعذيب في اسرائيل) تعرض للصدمات الكهربائية ، وعلق من السقف بواسطة السلاسل ، وفرض عليه تنظيف ارض مليئة بالقاذورات وشظايا الزجاج مستخدما لسانه ، ثم فرض عليه ابتلاع تلك القاذورات . وحين طلب من معذبيه الصهاينة ان يرحموه باسم الله ، قالوا له : « ان ربك تحت اقدامنا » . وامتد التعذيب ليشمل ابن اخيه ، وهدده معذبوه بأنهم سوف يفعلون ما يحلو لهم بزوجته ، ولقد جاء هذا كله في عدد الكريستيان ساينس مونيتور في ١ مارس ١٩٧٧ .

وقامت جريدة الصنداي تايمز ، في عددها الصادر في ١٩ يونيو ١٩٧٧ ، وبعد خمسة اشهر من البحث والتنقيب ، بنشر تقرير تفصيلي عن وسائل التعذيب في اسرائيل . ولقد اشار التقرير الى ان التعذيب في اسرائيل ليس مجرد « وحشية بدائية » يرتكبها حفنة من رجال البوليس الغلاظ ، ولكنه تعذيب منهجي يتم من خلال « اساليب دقيقة » مثل الصدمات الكهربائية ، والحبس الانفرادي في زنزانة مبنية بشكل خاص ، والاعتداءات الجنسية . وتعرض التقرير لكافة اجهزة المخابرات الاسرائيلية بدءا من « شين بت » وهو الجهاز الذي يقدم تقاريره لمكتب رئيس الوزراء ، الى « لاتام »

ادارة المهمات الخاصة التي تقدم تقاريرها لرئيس الوزراء ايضا ، وانتهاء بالمخابرات العسكرية التي تقدم تقاريرها لوزير الدفاع . وذكر التقرير وجود عدة مراكز للتعذيب : ثلاثة سجون في نابلس ورام الله وغزة ، والمجمع الروسي في القدس ، ومركزان آخران مكانهما غير معلوم (ويقال ان احدهما يقع داخل القاعدة العسكرية في صرفند بالقرب من مطار اللد ، وان الآخر في مكان ما في غزة) . ويبدو ان كل مركز من تلك المراكز متخصص في اسلوب معين للتعذيب ، ففي المجمع الروسي ، يفضل المعذبون ان يعتدوا على الاعضاء التناسلية لمن يحققون معهم ، ويتخصص مركز رام الله في الصدمات الكهربائية . وذكر التقرير ان الهدف من عمليات التعذيب الاسرائيلية هو الحصول على معلومات من المسجونين الفلسطينيين وتهدئة المناطق المحتلة .

ومن بين وسائل ارهاب السكان العرب ، الشديدة الفعالية ، العقاب الجماعي ، وبالرغم من ان القيام بمثل هذا العقاب يعد خرقا لاتفاقية جنيف ١٩٤٩ ، فإنه يستخدم في اسرائيل على نطاق واسع في المناطق المحتلة . ويتخذ هذا العقاب اما اشكالا جديدة ، او اشكالا تقليدية ، بحسب الحالة المراد العقاب بسببها ، فمثلا ، بعد اضراب مسالم في رام الله ، تم الغاء كافة التصاريح لاستيراد اغنام من الضفة الشرقية ، كما حرمت بلدية رام الله من الحصول على الاموال التي قام بجمعها المهاجرون الفلسطينيون في الولايات المتحدة[٩٣] . وفي عام ١٩٧٦ ، وبعد مظاهرة جماعية في البلدة السيئة الحظ نفسها ، فرض حظر التجول على سكان البلدة ، البالغ عددهم ٢٠,٠٠٠ نسمة ، لفترة أحد عشر يوما ، فيما عدا سويعات قليلة ، تتراوح بين ساعة الى ثلاث ساعات ، حسبما جاء في عدد ٣٠ مايو ١٩٧٧ من مجلة تايم . ومن اشكال العقاب الجماعي التقليدية معسكرات

الاعتقال . ومثل هذه المعسكرات اقيمت من اجل عائلات الفدائيين الفلسطينيين الذين لم تتمكن السلطات من القاء القبض عليهم ، وقد وصل حجم بعض الاسر المعتقلة الى ٢٠٠ شخص ، من نساء واطفال وشيوخ . ولا يطلق سراح تلك الاسر الا بعد ان يتم القبض على الفدائي الفلسطيني اوعند قتله . وفي مارس ١٩٧١ ، صرحت الحكومة الاسرائيلية بوجود معسكر في ابو زنيمه ، في الصحراء توجد به ٣٠ اسرة فلسطينية[٩٤] .

وتقدم موشى دايان، بفكرة جديدة للعقاب ، تتضمن اساليب جديدة وتقليدية ، في الوقت ذاته ، تجمع بين معسكرات الاعتقال والعقاب الجماعي . فبدلا من اختيار اسر بعينها ، اقترح حرمان أي مدينة على الضفة الغربية تبدي أية مقاومة ، من موارد الحياة الضرورية حتى تصبح المدينة ذاتها وكأنها معسكر اعتقال . والمقصود من هذا الاجراء هو توجيه ضربة مباشرة لسبل معيشة السكان العرب ، كحرمانهم من الطعام ، ومنع قطعان الاغنام من الرعي . وثمة اعتقاد بوجود خطة حكومية لفرض عقوبات اقتصادية ، كمنع الكهرباء والطعام والادوية ، عن المدن المتمردة ، حسبما جا ء في تقرير مجلة تايم في ٣١ مايو ١٩٧٦ .

والتمييز العنصري في اسرائيل لا يقتصر على الجانب الاقتصادي ، او الاشكال والطرق المألوفة ، بل هو تمييز يمتد ليشمل كافة مظاهر الحياة . وتقول شالوميت آلوني ، عضو الكنيست ، ان وزارة الصحة الاسرائيلية ، كوزارة الاسكان ، منقسمة الى قسمين، القسم الاول وهو المكتب العام للصحة ، ويقوم بخدمة اليهود ، والقسم الثاني وهو ادارة فرعية لخدمة صحة الاقلية من غير اليهود[٩٥] . وقد علق اسرائيل شاهاك على هذا الموقف متهكما بقوله : « ان ما يسمح ببقائه هو صحة منفصلة لجسم يهودي ، ونوع

آخر من الصحة لجسم غير يهودي[٩٦]». وللحفاظ على نقاء الصحة اليهودية ، المنفصلة الخالصة ، فإن عمليات تطعيم اليهود تأتي في الدرجة الاولى قبل تطعيم الأقلية من غير اليهود [٩٧] .

وحملة اسرائيل العنصرية ليست موجهة ضد الوجود المادي للفلسطينيين فحسب ، وانما تمتد لتشمل حياتهم الفكرية والثقافية ايضا . فقد ذكر دافيد واين ، في كتابه الحرب غير المقدسة ، « ان حكومة الانتداب اقترحت اقامة جامعة بريطانية في مدينة القدس ، لتكون بمثابة الذروة التي يلتقي عندها النظامان التعليميان ، العربي واليهودي . غير ان الصهاينة رفضوا الفكرة ، لأن الجامعة ، من وجهة نظرهم ، تشكل تهديدا للثقافة العبرية في فلسطين . . فالجامعة الوحيدة التي يجب اقامتها ، لا بد ان تكون جامعة عبرية . وفي واقع الامر ، رفض الصهاينة أن يكون لهم أي علاقة بأي برنامج تعليمي لا تكون العبرية فيه هى اللغة الوحيدة للتعليم[٩٨] .

وقد جاء في مقال في جريدة هآرتس ، في عدد ٢٧ نوفمبر ١٩٧٠ ، ان من بين ١٦,٠٠٠ طالب في جامعات اسرائيل لا يوجد سوى ٢٠٠ طالب عربي ، وأن اثنين منهم كانا معتقلين[٩٩] . ولقد اعرب أوري لويراني ، المستشار السابق لرئيس الوزراء للشئون العربية ، في بيان في جريدة هآرتس ، في عدد ٤ ابريل ١٩٦١ عن ان الدولة الصهيونية كانت تفضل للعرب ان يظلوا حطابين يقطعون الخشب ، وان يبتعدوا عن الجامعات الاسرائيلية ، حتى يتسنى لها احكام الرقابة عليهم[١٠٠] ، ويتردد في الصحف الاسرائيلية الحديث عن خطر تزايد عدد الخريجين الفلسطينيين داخل الارض المحتلة ، وفي المنفى . ومن الواضح ان الآمال السياسية

الصهيونية المحبطة تترجم عن نفسها في شكل محاولات عنصرية لقمع ظهور أية قيادة عربية متعلمة ، فحرمت المؤسسة الصهيونية عددا كبيرا من الشعراء والكتاب والمحامين والصحفيين العرب من ممارسة حرية الحركة والتعبير . كما قامت بطرد عدد من المثقفين القياديين[١٠١] ، واحد المطرودين حديثا ، هو الدكتور « حنا ناصر » رئيس كلية بير زيت ، التي تعد هدفا اساسيا للمضايقات الاسرائيلية . ولقد اقترح اهارون ديفيد ، وهو احد المؤمنين باتباع الوسائل السريعة لتحقيق الحلم الصهيوني العنصري ، القيام بعملية ابادة للفئات العربية المثقفة[١٠٢] .

وتتخذ عملية تصفية الكيان الفلسطيني ، جسدا وروحا ، شكلا غريبا حين تمتد الى الآثار التي يمكن ان يكون الفلسطينيون قد تركوها وراءهم أثناء « خروجهم » . ففي ١٩٤٠ قال دافيد وايتس ، أحد كبار المسئولين في الوكالة اليهودية ، انه من الواجب عدم ترك قرية أو قبيلة دون تدميرها[١٠٣] ، وبذلك يمكن تحقيق الحلم الصهيوني بوجود « ارض بلا شعب » ، ولقد قامت اسرائيل بتحقيق حلمها بدقة متناهية ، اذ قامت بإزالة قرى بأكملها بما في ذلك مقابرها . فقد تم تدمير ٣٨٥ قرية في فلسطين ، من مجموع القرى البالغ عددها ٤٧٥ قرية ، وقامت القوات المسلحة الاسرائيلية بتدمير اكثر من ١٠,٠٠٠ منزل وازالتها من منازل المواطنين الذين يقاومون السلطة الاسرائيلية في منطقة غزة والضفة الغربية ، في الفترة من يوليو ١٩٦٧ الى ديسمبر ١٩٧٢[١٠٤] .

كما امتدت المحاولات البربرية الى محو آثار الماضي ، فقد اعيدت صياغة كتب التاريخ لكي توائم الرؤية الصهيونية . فنجد ان السكان العرب ، الذين سكنوا المنطقة لأكثر من ١٣ قرناً من الزمان ، يشار اليهم في تلك الكتب على انهم غزاة احتلوا المنطقة من

١٣ قرناً ! وعلى الرغم من استقرارهم فيها ، لم يفعلوا شيئا من شأنه انقاذها من براثن التدمير[١٠٥] . وتدعى تلك الكتب ، في مناسبات اخرى ، ان وصول الفلسطينيين الى هذه الارض لم يسبق وصول الصهاينة اليها الا ببضعة عشرات من السنيين ، وان الفلسطينيين وصلوا الى هذه الارض في الثلاثينات من القرن الماضي ، هاربين لاجئين من بطش محمد علي في مصر[١٠٦] . بل وتروج هذه التواريخ المشوهة ، احيانا ، لفكرة ان جماهير الفلسطينيين جاءت بعد الاحتلال الصهيوني سعيا وراء العمل ، ولتأخذ نصيبها من الرخاء العام والسعادة الشاملة التي جاءت نتيجة هذا الاحتلال ! .

والعنصرية الصهيونية لا تضطهد الجسد والروح فحسب ، لا ، ولا تكتفي بالماضي والحاضر ، وانما تمتد لتشمل الاطفال . ففي اجراءات جمع الاحصاءات الخاصة بالمواليد الجدد هناك ، فصل بين اليهود وغير اليهود في اسرائيل . ونحن نعلم ان حالات الوفاة بين الاطفال اليهود يتم تسجيلها بكل عناية واهتمام ، في حين ان هذا لا يحدث في حالة وفاة طفل عربي ، ولم يتم احصاء الاطفال العرب الا ابتداء من عام ١٩٥٥ ، بعد ضغوط من الامم المتحدة ، ومع ذلك فإنه يتم احصاؤهم منفصلين[١٠٧] . ويصل الهوس العنصري الى آخر مداه حين تقول جولدا مائير، انها « لا تستطيع النوم عندما تفكر في عدد الاطفال العرب الذين يولدون في كل لحظة »[١٠٨] .

ويأخذ التمييز العنصري الاسرائيلي ، في بعض الاحيان ، اشكالا ماكرة ، فقد كان بن جوريون يرى انه من الواجب عدم توزيع المعونات المالية المخصصة لزيادة نسبة المواليد على الاسر العربية واليهودية بشكل متساو ، وفي الوقت نفسه كان يرى انه من الواجب الا تمارس الحكومة الصهيونية سياسة التمييز بشكل صريح وسافر . ولكي يحل هذا المشكل ، اقترح ان تقدم المعونات المالية للأسر

اليهودية وحدها ، على ان تقوم الوكالة اليهودية بهذه المهمة[١٠٩] . (**وبالتالي لا تدنس الحكومة الصهيونية يديها ، ولا يتسرب امرها الى الصحف ووسائل الاعلام**) .

وتثبت مذكرة كوينج المشهورة ، التي كتبت في وقت ما سنة ١٩٧٦ ، ان هذا الضرب من التفكير لا يزال سائدا في اسرائيل . فقد طالب كوينج ، مندوب وزارة الداخلية الذائع الصيت للمنطقة الشمالية ، في مذكرة سرية لرئيس الوزراء ، الحكومة ان تتوقف عن دفع منح « الاسرة الكبيرة » التي تعطيها للعرب ، عن طريق تحويل « هذه المسئولية من نظام التأمين القومي ، الى الوكالة اليهودية ، او للمنظمة الصهيونية ، حتى تدفع المنحة لليهود فقط[١١٠] .

ويعتبر « قانون الجنود المسرحين » من الوسائل التي تستخدمها اسرائيل لتحقيق سياستها العنصرية بشكل مستتر . فهذا القانون لايقدم معونة مالية الا لأسر الجنود المسرحين وحدهم . ومثل هذا الاجراء يضمن ان تذهب المعونة لأطفال اليهود فحسب ، لان العرب ممنوعون من اداء الخدمة العسكرية[١١١] .

ومن مظاهر بربرية السياسة العنصرية الاسرائيلية ، ما جاء في المؤتمر الثامن عشر للدراسات التلمودية ، المعقود في القدس ، والذي رأسه رئيس الوزراء السابق رابين ، والذي اصدر قرارا بمنع « قيام الطبيب اليهودي بمساعدة المرأة غير اليهودية على الحمل[١١٢] » .

٤ ـ المسيحيون والدروز :

كان الاحتلال الصهيوني يضع نصب عينيه منذ البداية ، هدفا واحدا ، وهو نزع ملكية الاراضي من العرب ، سواء أكانوا مسلمين او دروزا او مسيحيين . فقد طرد عام ١٩٤٨ سكان قريتي اقريت

وكفر برعم ، وهم من العرب المسيحيين . وبالرغم من ان المحكمة العليا في اسرائيل وافقت على الالتماس الذي قدمه هؤلاء السكان بالغاء أوامر الاجلاء ، فإن الحكومة الاسرائيلية رفضت ان تخضع لحكم المحكمة ، وقالت ان قرية كفر برعم تعد منطقة هامة لأمن الدولة ، وفي يوم ١٦ سبتمبر ١٩٥٣ ، وهو احد ايام الاعياد المسيحية ، نسفت مباني هذه القرية ، وكان المصير نفسه ينتظر قرية اقريت في عيد رأس السنة في العام نفسه(١١٣) ، وحينما تدك المدافع الاسرائيلية مخيمات اللاجئين في لبنان ، او تقوم بمذبحة منظمة ضد الالوف منهم ، كما حدث في سبتمبر ١٩٨٢ ، على سبيل المثال ، فهى لا تميز بين مسلم او مسيحي او درزي ، فالطفل الفلسطيني ، مسيحيا كان ام درزيا ، هو في نهاية الامر ، مقاتل فلسطيني في المستقبل .

ويقال ان الدروز في اسرائيل يتمتعون ببعض المزايا ، فالدعاية الصهيونية تبشر باقامة دولة درزية في المستقبل ، تكون منطقة عازلة بين اسرائيل وسوريا ، وهذا المخطط يعد جزءا من الرؤية الصهيونية لتجزئة الشرق الاوسط ، الى عدد من الدويلات المتعادية .

وبالرغم من ان الدرزي يخدم في الجيش الاسرائيلي ، فإنه يعد من الأغيار (غير اليهود) ، وهى حقيقة تحرمه تلقائيا من عدة حقوق وامتيازات يتمتع بها اليهود فقط . يعاني هذا الدرزي ، في حياته اليومية ، من سياسة التمييز العنصري في مجالات الاسكان والعمل وغيرهما . ولقد نشرت مجلة عال هامشمار الاسبوعية شكاوي للعرب الدروز من انتزاع ملكية اراضيهم وعدم تصنيع قراهم .

واضافة لكل ما سبق ، فإن التشريعات المختلفة ، مثل قانون العودة وغيره من القوانين الصهيونية ، يتم تطبيقها على الدروز كما تطبق على بقية العرب ، ولقد طالب بعض الشباب من الدروز ان

يتم تصحيح مفهوم « الاسرائيلي » في المدارس ، بأن يتعلم الطالب الصغير ان كلمة « اسرائيلي » لا تعني اليهود فقط ، بل تعني الدروز ايضا(١١٤) . وتعد عملية التصحيح تلك من المستحيلات في الدولة الصهيونية . أما فيما يختص بدولة الدروز ، فإن مثل هذه الدولة ، ان وجدت ، فيجب أن تستأصل من الكيان العضوي « لآرتس يسرائيل » ، وهذا ايضا في حكم المحال . ان كلمة « غير اليهودي » من المفردات الصهيونية الاسرائيلية التي وردت في وعد بلفور ، وهى تعني اي فرد في فلسطين لا يكون يهوديا ، بغض النظر عن كونه مسيحيا او مسلما او من الدروز .

ولقد ساهم الدروز في انتفاضات عام ١٩٧٦ ، التي قام بها عرب الارض المحتلة في الجليل ومناطق اخرى ، استنكارا لعمليات انتزاع الارض وسياسة التمييز العنصري . وقد تصاعدت العنصرية الاسرائيلية / الصهيونية ضد الدروز ، حينما ضمت الدولة الصهيونية مرتفعات الجولان ، وحاولت فرض الجنسية الاسرائيلية على سكانها من الدروز ، الامر الذي ادى الى تصاعد المقاومة .

الاستجابة العربية :

هذه هى اذن ، بعض جوانب الهجمة الصهيونية على عرب فلسطين ، وهى تختلف في كيفها وكمها عن الهجمة الصهيونية على يهود العالم ، مع ان كلتا الهجمتين ناجمتان عن النسق الفكري نفسه ، ويعبران عن موقف واحد متكامل . وربما يعود هذا الاختلاف في الممارسة الى اختلاف جوهري في الادوار التي وزعت على الضحايا داخل النسق نفسه ، فكان نصيب اليهود هو « انقاذهم » وتطبيعهم ، رغم انفهم ، بنقلهم الى ارض الميعاد ، أما نصيب العرب فهو نقلهم من ارض الميعاد ، اي اخفاؤهم عن الانظار بشتى السبل ، بما في ذلك الابادة . وبما ان الهجمة الصهيونية على

الفلسطينيين كانت بهذه الشراسة ، فالمقاومة العربية اخذت اشكالا واضحة ايضا . وقد بينا ـ من قبل ـ كيف ان الصهاينة حاولوا تفسير المقاومة العربية لهجمتهم ، كما انها لو كانت ظاهـرة ميتـافيزيقية او فلسـفية غـير مفهومـة . وبطبيعـة الحـال لا يوجـد لدى الفلاحـين الفلسـطينيين ، الـذين طردوا من ارضهـم ، مثـل هذه الدوافـع الفلسفية الثابتة او النزعات الكونية غير المنطقية التي نسبهـا اليهـم المستوطنون الصهاينة ، فالفلسطينيون لم يكن امامهم خيار سوى رد الهجوم الذي شن عليهم دفاعا عن اراضيهم وحقوقهم القومية ، ضد المستعمرين الصهاينة ، ومثل هذه المقاومة الحقيقية والعميقة ، لها بلا شك ابعادها الأخلاقية المطلقة ، حيث انها في النهاية ، تأكيد لكرامة الانسان ولارادته في مواجهة العنف والقهر المادي . الا انها مع هذا ، ليست غيبية ، فهي تضرب بجذورها في الواقع الاجتماعي والتاريخي الملموس ، وتعبر عن نفسهـا من خلال اشـكال سياسية وعسـكرية مألوفة .

وفي مجال محاولة تفسير المقاومة العربية تفسيرا ميتافيزيقيا ، نعتها الصهاينة بأنها معادية للسامية ، وان العرب كانوا لا يحاربـون ضد المستعمرين ، وانما ضد « اليهود » ، ولـكن الوقائـع التـاريخية تدل دون ادنى شك ، على ان المقاومة العربية في فلسطين كانت موجهة ضد المستعمرين كمستعمرين ، سواء أكانـوا يهـودا او مسيحيين او مسلمين ، ولعل الدور الذي لعبه الفلسطينيون في مقاومة السلطنة العثمانية ، حينما قرر العرب ان يعبروا عن هويتهم داخل اطار قومي مستقل ، أمر معروف لدى الجميع(١١٥) . كما ان مقاومة الفلسطينيين لحكومة الانتداب هو الاخر امر لا يحتاج الى برهان او دليل ، ولعل هذه الواقعة ، التي حدثت في اوائل القرن الحـالي ، تبين بشـكل واضح الطبيعة السياسية غير العنصرية للمقاومة الفلسطينية . فقـد

وفد على فلسطين جماعة من المهاجرين « المسيحيين » اعضاء جماعة دينية المانية تسمى جماعة فرسان المعبد ، تهدف الى « توطين المسيحيين » بصفة دائمة في « الارض المقدسة » . وكان الدافع وراء هذه العملية الاستيطانية ، مغلفا بغلاف ديني سميك ، تماما كما هو الحال مع الصهيونية . وقد قام اعضاء هذه الجمعية باقامة مستوطنات زراعية / عسكرية مثل المستوطنات الصهيونية ، وان كانوا يتميزون على الصهاينة بأنهم كانوا فلاحين أكفاء(١١٦) . ولقد استمر وجود جماعات فرسان المعبد ، بالقدس ويافا وحيفا والخليل ، طوال فترة الانتداب وحتى منتصف عام ١٩٤٨ ، وشكل هؤلاء المستوطنون الألمان ، ومعظمهم من « الصابرا » الألمان اذا جاز التعبير، نواة الحزب النازي في فلسطين(١١٧) .

وكان من المؤكد ان يؤدي تدفق الرواد الصهاينة والفرسان المسيحيين ، دعاة القوميتين الوهميتين ، اليهودية والمسيحية ، على فلسطين الى استفزاز المواطنين . وعندما بدأت المقاومة الفلسطينية نضالها المسلح ، تعرضت كافة المستوطنات ، سواء أكانت صهيونية / يهودية او المانية / مسيحية ، للهجوم ، ولقد اشار والتر لاكير، وهو مؤرخ اسرائيلي للصهيونية ، الى ان المستوطنات الألمانية تعرضت للهجمات خلال احتجاج الفلسطينيين عام ١٩٠٨ ، حتى اضطرت برلين للتدخل ، وأرسلت سفينة حربية الى حيفا(١١٨) لحماية المستوطنين الألمان ، وهكذا لم يكن هناك بديل آخر لهذه المواجهة بين المغتصب ، مهما كانت ديانته او اعتذارياته ، وبين الضحية ، مهما كان قصوره عن الافصاح .

والمقاومة العربية في فلسطين ضد الغزوة الصهيونية ، قديمة قدم هذه الغزوة ذاتها ، ولكنها لم يكن لها معالم مستقلة ، لأنها كانت جزءاً من النضال العربي كله ككل ضد انواع الاستعمار المختلفة[١١٩] ، ولعل الغزوة الصهيونية هى المسئولة عن هذا الخطأ المنهجي ، الذي يقع فيه كثير من المؤ رخين ، فالصهاينة يضعون انفسهم داخل مقولة وهمية مجردة تسمى « التاريخ اليهودي » ، كما لو كان لليهود تاريخ مستقل عن الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها ، ثم تسقط فلسطين ذاتها داخل شباك هذه المقولة ، فينظر الى فلسطين والفلسطينيين ، لا في سياقهم التاريخي والحضاري الوحيد ، وهو السياق العربي ، وانما في السياق الوهمي الذي افترضه الصهاينة وفرضوه . وقد ظلت المقاومة الفلسطينية ، منذ بداية تاريخها حتى الوقت الحالى ، جزءا لا يتجزأ من المقاومة العربية ، تؤ ثر فيها وتتأثر بها ، حتى بعد انقسام العالم العربي الى دول مختلفة ، مثل الصهيونية تماما ، التي ظلت جزءا لا يتجزأ من الهجمة الامبريالية ضد العالم العربي كله . ولذا لم يقتصر نشاطها على فلسطين ، وانما امتد الى الجزائر ، حيث عقدت الدولة الصهيونية الاتفاقات السرية مع المستوطنيين الفرنسيين ، والى اليمن ، حيث مدت الامام المخلوع بالاسلحة ، والى لبنان ، حيث تحالفت مع جيوش المنشق سعد حداد ، والى مصر وسوريا والاردن ، حيث هاجمتها مع جيوش الامبريالية او تحت مظلتها .

ونعرف من تواريخ المقاومة الفلسطينية ، انه في عام ١٨٨٦ ، قامت بعض جماعات الفلاحين المطرودين (من قريتي الخضيرة وبتاح تكفا (ملبس)) بالهجوم على الارض التي طردوا منها والتي اغتصبها

الصهاينة ، وانه قامت هجمات مماثلة على مستوطنات يهودية اخرى عام ١٨٩٢[١٢٠] . ومنذ البداية لم تقتصر المقاومة الفلسطينية على المقاومة المسلحة ، وانما كانت تأخذ ايضا اشكالا سياسية ودبلوماسية ، ففي عام ١٨٩١ ، أرسل الفلسطينيون عريضة احتجاج الى الدولة العثمانية لوضع حد لدخول المهاجرين اليهود ، ووقف بيع الاراضي لهم[١٢١] ، وقد استجابت السلطنة العثمانية (عام ١٨٩٨) فعلا وفرضت قيودا على هجرة اليهود ، وبمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) ، أسس الفلسطينيون (في يافا) الحزب الوطني لمحاربة الصهيونية . وقد عدّ الحزب التعامل مع الصهيونية جريمة قومية ، كما انشئت جمعية لمنع بيع الاراضي للصهاينة ، ولمقاطعة البضائع اليهودية (١٩١٠)[١٢٢] ، كما انشئت جمعيات اخرى (بين عامي ١٩١١ - ١٩١٣) لنفس الاهداف في القدس وحيفا .

وقد قامت مظاهرات كبيرة في نابلس ، عام ١٩١٣ ، احتجاجا على اعتزام الحكومة العثمانية بيع اراضي بيسان ، المملوكة للدولة للمستوطنين اليهود[١٢٣] ، فالمعركة لم تكن ملكية العقارات والاراضي ، كما يدعي الصهاينة ، وانما كانت معركة قومية من اجل الوطن الذي يتهدد الصهاينة كيانه . فبيع الاراضي المملوكة للحكومة تصبح قضية قومية ، لان بيعها لا يعني تغيير شكل الملكية او نقلها من مالك اقطاعي الى مالك اقطاعي آخر ، وانما يعني تدمير اساس المجتمع الفلسطيني ، او ما سماه العرب عن حق عملية « نزع الصبغة القومية[١٢٤] » .

وفي عام ١٩١٩ هاجمت مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين اربع

مستوطنات يهودية في الجليل الاعلى ، وكان من بين القتلى الصهاينة يوسف ترومبلدور ، احد زعماء الحركة الصهيونية[١٢٥] . ويبدو أن الحركة الوطنية الفلسطينية ، كانت قد بدأت تأخذ اشكالا نضالية (وهو الاتجاه الذي سيصل الى ذروته في ثورة عز الدين القسام ، ثم في منظمة التحرير الفلسطينية ، فيما بعد) فقد تأسست في ذلك العام جمعية سرية عربية في القدس ، حملت اسم « الفدائية » انخرط في صفوفها بعض رجال الشرطة والدرك العرب الفلسطينيين[١٢٦] .

وقد شاهد عام ١٩٢٠ ثورة الفلسطينيين[١٢٧] واصطدامهم بالمستوطنين الصهاينة اثناء الاحتفال بموسم النبي موسى في القدس (وهى الاضطرابات التي عرفت بهذا الاسم) . كما شاهد العام نفسه انعقاد المؤتمر العربي الثاني ، والمؤتمر الفلسطيني الثالث ، وهى المؤتمرات التي عبرت عن معارضة الجماهير العربية الفلسطينية لفكرة الوطن القومي اليهودي .

وشاهد عام ١٩٢١ هجوما مسلحا شنته المقاومة في يافا ، واستمر اسبوعا كاملا ، واسفر عن استشهاد العديد من الفلسطينيين ومقتل عدد من الصهاينة .

وفي سبتمبر من العام نفسه ، رفضت الحركة الوطنية الفلسطينية مشروعا تقدمت به حكومة الانتداب ، يتضمن انشاء مجلس تشريعي في البلاد « لانه مجلس مجرد من السلطة التنفيذية ، ولأنه محروم من النظر في كل ما يتعلق بالوطن القومي اليهودي ، ولأن قراراته تظل معلقة على مصادقة المندوب السامي عليها[١٢٨] » .

وقد وقعت صدامات بين العرب واليهود اثناء الاحتفال بعيد استر (في مارس ١٩٢٤) .

ثم دخلت الحركة الوطنية الفلسطينية فترة من الهدوء النسبي ،

لانها استكانت لاسلوب ارسال الوفود الى لندن للمفاوضة ، ومع هذا شاهدت اعـوام ١٩٢٤ و ١٩٢٦ و ١٩٢٨ عدة هجمات على عدة مستوطنات صهيونية . ويذكر عبد القادر ياسين اشكالا اخرى من المقاومة الفلسطينية الناشئة هى ، في جوهرها تعبير عن مصالح البورجوازية العربية الفلسطينية الناشئة ووعيها ، مثل تأسيس كلية اسلامية ، وتكوين جمعية اقتصادية عربية وتأسيسها(١٢٩) .

وقد وقعت احداث البراق الشهيرة عام ١٩٢٩ . والبراق هو المكان الذي يؤمن المسلمون بأن الرسول ﷺ ربط براقه عنده قبل قيامه برحلة الاسراء والمعراج ، وهو ايضا المكان الذي يؤمن اليهود ايضا بأنه بقايا هيكل سليمان ويسمونه حائط المبكى . وقد حاول الصهاينة في بداية الامر « شراء » الحائط ، ومن ذلك محاولة الحاخام كاليشر عام ١٨٥٠ ، ثم محاولة البارون روتشيلد شراء الحي المجاور له لاخلائه من السكان . وقبل الحرب العالمية الاولى قام البنك الانجلو ـ فلسطيني بمحاولات جادة لشرائه ، وبعد فشل كل المحاولات التجارية ، لجأ المستوطنون الصهاينة الى العنف المباشر ، الامر الذي ادى الى نشوب اشتباكات بينهم وبين العرب ، ومن اشهر الاضطرابات التي نجمت عن الاحتكاك بين المستوطنين اليهود والعرب ، اضطرابات عام ١٩٢٨ ، حين قام ضابط بريطاني بازالة ستارة وضعها اليهود على الحائط ، بناء على احتجاج العرب ، لأن الحائط يشكل الجانب الغربي من المسجد الاقصى ، وقد زادت الاضطرابات حدة الى ان جاء عيد يوم الغفران في ١٥ اغسطس ١٩٢٩ ، حين قامت منظمة بيتار ، بمظاهرة نحو الحائط في محاولة للاستيلاء عليه . وقد جاء في تقرير اللجنة التنفيذية العربية :

ان اضطرابات فلسطين السابقة والحالية ، انما هى ناشئة مباشرة عن السياسة البريطانية / الصهيونية ، التي ترمي الى اخفاء القومية العربية في وطنها الطبيعي ، لكي تحل محلها « قومية » يهودية لا وجود لها .

وتألف حزب الاستقلال عام ١٩٣٣ للمطالبة بوقف بيع الاراضي والهجرة الصهيونية ، وتحقيق استقلال فلسطين متحدة مع بقية الوطن العربي ، وفي ١٢ نوفمبر ١٩٣٥ ، استشهد الشيخ عز الدين القسام في جبال جنين ، اثناء عملية فدائية قام بها هو واعوانه ضد الامبريالية (المتمثلة في حكومة الانتداب) والصهاينة . ويمكن تأريخ الحركة الفلسطينية المسلحة من هذا اليوم ، باعتبار ان كل المحاولات السابقة كانت مجرد ارهاصات . وعلى الرغم من استشهاد القسام وبعض اعوانه ، فإن عام ١٩٣٦ شاهد نشوب اول ثورة فلسطينية حقيقية (الثورة العربية الكبرى) ، اشتركت فيها طبقات الشعب الفلسطيني وفئاته كافة ، وقد استمرت لمدة ثلاثة اعوام ، ونظمت اطول اضراب شعبي في تاريخ العالم . وقد قضى الصهاينة (بالاشتراك مع سلطات الانتداب) عليها ، وخلفت وراءها آلاف الشهداء . ولعل القضاء على هذه الثورة هو الذي مهد للانتصار الصهيوني عام ١٩٤٨ .

ولا نسمع بعد ذلك عن هجمات فلسطينية منظمة ضد العدوين الصهيوني والبريطاني ، ولعل من الواجب ملاحظة ان الثورة الفلسطينية مرتبطة بالمد والجزر الثوريين في العالم العربي كله ، واذا كانت فترة الاربعينات هى فترة جزر في مصر وسوريا والعراق ، فقد

كانت كذلك في فلسطين . وكان على الفلسطينيين (وثورتهم) ان يتشرنقوا لحين عودة المد الثوري ، متمثلا في ثورة مصر عام ١٩٥٢ . ونبدأ بعد ذلك نسمع عن الفدائيين مرة اخرى (يسمون هذه المرة « المتسللين ») ، وتتعاظم الهجمات الفدائية الى ان تقوم اسرائيل بالعدوان الثلاثي ، بالاشتراك مع انجلترا وفرنسا . وفي اول يناير ١٩٦٥ ، وبعد مجموعة من العمليات الفدائية ، أعلن تأسيس جماعة فتح : « الى شعبنا العظيم . . الى امتنا العربية المناضلة . . الى الاحرار في كل مكان . . الشعب الفلسطيني ما يزال في الميدان ، انه لم يمت ، ولن يموت . . عاشت امتنا العربية ، وعاشت فلسطين حرة عربية » . ولعل من اهم المعارك التي اشتركت فيها قوات المقاومة معركة الكرامة عام ١٩٦٨ ، والهجمات الفدائية التي شنتها بعد حرب ١٩٧٣ ، ثم المقاومة الباسلة في لبنان عام ١٩٧٦ وعام ١٩٨٢ ، حيث ألحق الفلسطينيون الخسائر بالعدو الصهيوني .

ولا يمكن ـ في مثل هذه الصفحات ـ ان نوفي المقاومة الفلسطينية حقها ، فلم يكن هذا هو هدفنا على اية حال ، إذ ان كتابة تاريخ المقاومة ، ولو بشكل موجز ، يقع خارج نطاق هذه الدراسة . واذا كنا قد افضنا في الحديث عن المقاومة اليهودية « الصهيونية » فقد فعلنا ذلك لا نها مقاومة تأخذ اشكالا كامنة مستترة غير واقعية ، غير واعية ، تحتاج لمجهر الباحث حتى نصل الى الحقيقة . أما في حالة المقاومة الفلسطينية ، فالامر جد مختلف ، فأهدافها ووسائلها واضحة ، ومع هذا تجدر الاشارة الى انه عملا بالمفهوم « العربي الغائب » ، تحاول السلطات الصهيونية انكار اي وجود للمقاومة الفلسطينية ، على المستويين اللفظي والفعلي . أما على المستوى

اللفظي ، فالفدائيون هم مجرد « متسللين » و « ارهابيين » و « قتلة » ، اما على المستوى الفعلي ، فتحاول السلطات الصهيونية الا تذكر اي خسائر تلحقها بها المقاومة ، ويقال ان نسبة قتلى حوادث المرور في اسرائيل من اعلى النسب في العالم ، لا لأن الاسرائيليين متهورون في قيادة السيارات ، وانما لان الحكومة الاسرائيلية تدرج نسبة القتلى ، الذين يسقطون نتيجة الهجمات الفلسطينية ، ضمن ضحايا حوادث المرور . ولعله يمكننا ان ندرك حجم المقاومة الفلسطينية من حجم العنف الصهيوني الموجه ضد الفلسطينيين داخل فلسطين وخارجها ، وتعاظمه على مر الايام ، فهذا هو خير مقياس .

الفصل الثاني عشر
جـذور المسـألـة الإسرائيليـة

المسألة الاسرائيلية :

تطرح الصهيونية نفسها على انها الحل الوحيد للمسألة اليهودية ، وانها اساسا ، عملية لانقاذ اليهود واليهودية . وقد قامت الصهيونية بكل نشاطها وضغوطها وحروبها من اجل هذا الهدف ، وهى تكتسب شرعيتها ، في نظر المؤمنين بها ، من هذا المصدر ، ولكن الصهيونية لم تنجح ، لا في حل المسألة اليهودية ولا في انقاذ اليهود . وكما بينا ، فلا تزال الغالبية الساحقة من يهود العالم تعيش في المنفى ، في « موطن الخطر » ، في نيويورك وشيكاغو وباريس ولندن وكييف وموسكو وبرلين ، تؤثرها على تل أبيب وكيريات شمونة وصحراء النقب وحيفا ، وكل ما في ارض الميعاد من جمال وخيرات وقلاقل وقنابل . وقد بينا ان يهود المنفى يجابهون مشاكل و « مخاطر » جديدة كثيرة مثل ازدياد الاتجاهات العلمانية بين الشباب اليهود ، وانصرافهم عن اليهودية ، وازدياد نسبة الزواج المختلط ، الذي يصل احيانا الى ما يزيد عن ٥٠٪ ، وهى مشاكل و « مخاطر » لا يمكن للصهيونية انقاذ اليهود منها ، اذ ان كل اقلية يهودية تحاول علاج المسائل التي تواجهها بالطريقة التي تلائمها وتلائم ظروفها .

وحتى اذا ما واجه يهود المنفى خطر الاضطهاد والابادة ، فقد ثبت بالتجربة ان الصهيونية ، رغم كل ادعاءاتها ، عاجزة تماما عن « حمايتهم » او « انقاذهم » ولا يرى المرء كيف يمكن للصهيونية « حماية » يهود الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة ان تعرضوا لحملة من الاضطهاد الشعبي والحكومي المنظم ؟ بل ولا نعرف كيف يتأتى للحركة الصهيونية او الدولة الصهيونية حماية يهود دولة صغيرة مثل

مدغشقر ان تعرضوا لمثل هذا الاضطهاد ؟ ومن المعروف ان الحركة الصهيونية اثناء فترة حكم النازي في المانيا ، لم تتمكن من « حماية » اليهود ، بل انها استفادت من مأساتهم وتعاونت مع القتلة ، وتاريخ التعاون بين الصهاينة ومعادى السامية ، تاريخ طويل كما بينا من قبل ، ومما قد يكون له دلالته ، وربما طرافته ، انه عندما اقتربت قوات روميل من الاسكندرية ، اعد المستوطنون الصهاينة خطة محكمة للانتحار ! ان الايدلوجية الصهيونية ، بهذا المعنى ، ليست حلا للمسألة اليهودية ، وانما تشكل عبئا اسطوريا ثقيلا على اليهود . فالصهيونية لا تكف عن طرح نفسها على انها ايديولوجية القومية اليهودية ، وتطلب من يهود العالم تأييدها وتمويلها والالتزام بمثلها ، بل وتلجأ للعنف ضدهم والضغط عليهم ، حتى يهتدوا بهديها ، ويمتثلوا لخطها ، الامر الذي يسبب لهم المشاكل التي عرضنا لها من قبل .

بل يمكننا القول ان الصهيونية لم تفشل في حل مسألة اليهود واليهودية فحسب ، وانما خلقت مسألتين اخريين ، هما المسألة العربية الفلسطينية ، والمسألة الاسرائيلية . وحيث اننا تناولنا من قبل المسألة العربية / الفلسطينية ، وكيف قامت الحركة الصهيونية بطرد الفلسطينيين عام ١٩٤٨ ، ثم مطاردتهم بعد ذلك ، فيمكننا الآن ان نعرض للمسألة الاسرائيلية . ومن الضروري ان نميز بين المسألة اليهودية والمسألة الاسرائيلية ، ولا نخلط بينهما . فالخلط بينهما هو ، في نهاية الامر ، تقبل للمقولة الصهيونية الخاصة بوحدة الشعب اليهودي ووحدة « تاريخه » وتراثه . ولو بحثنا عن العناصر المشتركة بين المسألتين ، اليهودية والاسرائيلية ، لاكتشفنا انها لا وجود لها ،

فالمسألة اليهودية هى مشكلة يهود شرق أوروبا في اواخر القرن التاسع عشر ، اثناء مرحلة الانتقال من الاقطاع الى الرأسمالية ، وفشلهم في التأقلم مع الاقتصاد الجديد . ونحن ـ العرب ـ لا علاقة لنا بهذه المشكلة ، فنحن لم نتسبب فيها ، بل لم يسمع عنها المفكرون العرب في حينها ، اذ انها لا تنتمي الى البنية التاريخية العربية .

اما المسألة الاسرائيلية ، فهى مشكلة اعضاء التجمع الاستيطاني الصهيوني ، وخاصة جيل الصابرا ، الذي ولد على ارض فلسطين ، ونشأ فيها ، ولا يعرف له وطنا آخر ، ولا يتحدث سوى العبرية . وهذه المسألة نحن طرف فيها ، ولا يمكن حلها دون تدخلنا ، اذ انها مسألة توجد في صميم البنية التاريخية العربية . وعلى الرغم من ان المسألة اليهودية هى التي افرزت المسألة الاسرائيلية (اذ ان الصهيونية ، في محاولتها فرض حلها للمسألة اليهودية ، بمساعدة الامبريالية ، نجحت في التأثير على بعض اليهود المهاجرين الى الولايات المتحدة وغيرها من البلاد لتحويلهم الى فلسطين) . على الرغم من كل هذا فإن المسألتين منفصلتيان تماما وينتميان الى بناءين مختلفين ، وعملية الربط بينهما هى محاولة للتعمية الايديولوجية لطمس معالم كليهما . ومن مصلحة الصهيونية ـ كنسق فكري غيبي متخلف ـ افتراض وحدة المسألتين ، حتى تربط أمن الدولة الصهيونية ، بأمن الاسرائيليين ، وبأمن الاقليات اليهودية في العالم معا ، وحتى تفرض على يهود العالم فكرة الشعب اليهودي الواحد .

محاولات التملص والرفض :

واذا كانت فكرة وحدة الشعب اليهودي تمثل عبئا على يهود الشتات ، فهى تمثل عبئا ثقيلا على الاسرائيلين ايضا ، إذ تجعلهم

جزءا من دينامية وهمية لا يتحكمون فيها . والاسرائيليون انفسهم ، لا يؤمنون كثيرا بجدية الذين يتحدثون بعبارات عاطفية عن اسرائيل ، ويظهرون ايمانهم بالصهيونية عن طريق دفع دولارات ، او اي عملة صعبة اخرى فقط ، بينما يدفع المستوطنون في سبيلها دماءهم . وفي عدد جريدة معاريف ، الصادر في ٤ يناير ١٩٧٤ ، عبر احد المواطنين الاسرائيليين عن استيائه لانه يتحمل ، هو وحده « عبء الكيان اليهودي ويقدم التضحيات من اجله » في حين يلعب صهاينة الشتات دور المتفرجين المعجبين(١) .

وثمة محاولات اسرائيلية كثيرة للتخلص من قبضة الصهيونية ، بل هناك حركات رفض معادية للصهيونية داخل اسرائيل ، وتتفاوت هذه الحركات في درجات حدتها وعمقها ، فعلى سبيل المثال ، يوجد لفيف من المثقفين الاسرائيليين يحاول ان يتخلص من العبء الصهيوني ، لا برفضه وانما بمحاولة نسيانه وجعله « امراً واقعاً » وانتهى ، وليس « أمراً واقعاً » ولا يزال قائما ، ويطالب البعض ان ينظر الى الصهيونية باعتبارها عملية انقاذ محدودة . ويتحدث الكاتب الاسرائيلي أبراهام يهوشوا عن الصهيونية ، بوصفها حركة انقاذ عملية(٢) ، ظهرت حلا للمأزق اليهودي منذ قرن (أي المسألة اليهودية في شرق اوروبا) ، وهو يعتقد ان العملية قد وصلت الى نهايتها ، ولذا فهو يقبلها كواقع تاريخي . بل انه يذهب الى ابعد من ذلك ، فيؤكد ان « الهدف الحقيقي للصهيونية » لم يكن في اي وقت من الاوقات ، جمع الشعب اليهودي بأكمله في ارض الميعاد ، ويحاول تسويغ نظريته بالعودة الى تاريخ اليهود ، في فترة المعبد الثاني ، عندما كانت هناك دياسبورا كبيرة العدد « مشتتة خارج

ارض اسرائيل[٣] » .

ويشارك يوري افنيري يهوشوا في نظريته ، مفضلا ان ينظر الى الصهيونية على انها عملية منتهية ، أهميتها تاريخية ، وليست ديناميكية مستمرة ، اهميتها اساسية . ويقترح الكاتب الاسرائيلي بواز إفرون ، ان على الاسرائيلي في علاقته بالصهيونية ، ان يكون مثل الامريكي في علاقته بالايديولوجية البيوريتانية . . وبذا تصبح الدوافع الايديولوجية او الاقتصادية التي دفعت الرواد الأوائل (الصهاينة او البيوريتان) الى الاستيطان (في فلسطين او الولايات المتحدة) موضوعاً ذا اهمية تاريخية او اكاديمية محضة ، وليست موضوعا اساسيا[٤] .

واذا اردنا ان نضرب مثلا آخر على هذه المحاولات الدرامية للتملص ، وليس بالضرورة الرفض للصهيونية ، فيمكننا ان نشير الى رجلي الاعمال الاسرائيليين ، هليل كوك وشمويل سولين ، اللذين اشتركا، في الماضي ، في نشاطات صهيونية كثيرة ادت الى انشاء دولة اسرائيل ، واصبحا بعد ذلك عضوين في الكنيست الاسرائيلي ، ممثلين لحزب حيروت . قام هذان العضوان بتوزيع تقرير على كبار رجال الحكومة ، نشر في جريدة الجيروزاليم بوست (٢٩ ابريل ١٩٧٥) ، انتقدا فيه ما اسمياه « بالايديولوجية المزيفة » ، الايديولوجية الصهيونية في مرحلة ما بعد انشاء الدولة « وقد اقترح الاثنان ان تحاول اسرائيل ان تتخلص من هويتها كمجتمع يهودي مسلح ، يشكل جزءا ، من الناحية النفسية والبنيوية ، من الشعب اليهودي المشتت في العالم ، وان تتحرر من سيطرة المؤسسات الصهيونية التي تربطها بيهود الشتات . كما يجب على اسرائيل ان

تتخلى عن التشديد على الهجرة ، وان تعيد النظر في قانون العودة ، وان تلغى الميثاق المبرم بين دولة اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية(٥) .

هناك ايضا مثال واضح للتمرد الاسرائيلي المحدود على الرؤ ية الصهيونية ، يتمثل في منظمتي شينوى ويعد ، وهما منظمتان سياسيتان صغيرتان تعملان داخل الاطار الصهيوني ، الا انهما مع هذا تمثلان جهدا تنظيميا للتمرد على الحد الاقصى الصهيوني . وعلى الرغم من ان هذين التنظيمين يؤ يدان فكرة الشعب اليهودي ، بالمعنى السياسي ، ويؤ كد ان ضرورة الهجرة والاستيطان في فلسطين فإنهما قدما برنامجا يصدر عن الحد الادنى الصهيوني يختلف ، في كثير من الوجوه ، عن الموقف الصهيوني التقليدي من العرب والصراع في الشرق الاوسط . ومن الشخصيات التي انضمت الى « يعد » الجنرال بيليد ، وشالوميت آلوني ، عضو الكنيست ، وآرييه الياف ، الامين العام السابق لحزب ماباي . ويشغل الجنرال بيليد الآن منصب رئيس مجلس ادارة المجلس الاسرائيلي للسلام الاسرائيلي الفلسطيني ، الذي يدعو الى الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وبحقوق العرب .

وتوجد مجموعات هامشية كثيرة مناهضة للصهيونية ، اولأي حركات غير صهيونية على الاطلاق في المجتمع الصهيوني ، ولكنها تمر بعمليات انشقاق واندماج لا نهاية لها ، وقد حفلت هذه المجموعات ، مؤخرا ، باهتمام متزايد داخل اسرائيل وخارجها ، ومن هذه الجماعات جماعة ماتزين وركاح والقوة الجديدة ليوري افنيري والفهود السوداء . وهذه الجماعات ، مثل يعد وشينوى ،

كثيرا ما تختفي ثم تظهر مرة اخرى تحت اسماء جديدة ، وتطرح شعارات مختلفة ، ففي انتخابات الكنيست عام ١٩٧٧ ، ظهر حزب اسرائيلي جديد تحت اسم شيلي ، وهو مكون من موكيد وجماعة آرييه الياف ، وجماعة منشقة عن الفهود السوداء ، والحركة التابعة ليوري افنيري . أما شينوى ، فقد انضمت الى الجنرال ييجال يادين لتكون الحركة الديمقراطية للتغيير (وان كانت لم تقم بأي تغيير ملحوظ او غير ملحوظ بعد دخولها الائتلاف الوزاري) .

ويقوم كثير من الشخصيات العامة الاسرائيلية ببعض النشاط من اجل حقوق العرب المدنية والسياسية ، وتعارض الصهيونية نظريا وعمليا ، مثل اسرائيل شاهاك رئيس الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان والحقوق المدنية ، وفيلشيا لانجر ويورى ديفس وآخرين .

وتعاني هذه الجماعات والشخصيات من الوان شتى من المضايقات والارهاب على المستويين الرسمي والاجتماعي . وتتعرض جماعة ماتزبين ، والجماعات المماثلة لهذا الارهاب اكثر من غيرها من المنظمات ، نظرا لموقفها الجذري المناهض للصهيونية . غير ان الجماعات الاخرى المعتدلة حتى بالمقاييس الصهيونية ، مثل جماعة يوري افنيري ، لم تسلم هى الاخرى من الاذى والارهاب ، فقد نجا يوري افنيري نفسه من انفجار حدث في مكتبه عام ١٩٥٢ . كما تعرض لهجوم من مظليين اسرائيليين عام ١٩٥٣ ، وانفجرت قنبلتان اخريان في مكتب هاعولام هازيه خلال شهري مايو ويونيو عام ١٩٥٥ ، كما اختطف احد محرري المجلة بعد هذا التاريخ بعامين ، وفي نوفمبر ١٩٧١ أحرقت مكاتب المجلة ، وبعد هذا الحادث بأربع سنوات هاجم شخص يوري افنيري وطعنه بأربع

طعنات خطيرة(٦) . ولا شك ان مثل هذه الهجمات تساعد على احتواء القوى المناهضة للصهيونية . غير ان وجود هذه الجماعات التي تغطي الاتجاهات السياسية من اقصى اليسار الى اقصى اليمين ، تعد ذات اهمية حيوية بالنسبة لليهود الاسرائيليين الذين يبحثون عن هوية جديدة وعن تعريف جديد ، لتلك الهوية .

الطابع الصهيوني لدولة اسرائيل :

ورغم اهمية هذه الجماعات المناهضة للصهيونية والجماعات غير الصهيونية ، بوصفها بديلا للصهيونية من الناحية النظرية ، فإنها ليست ذات وزن سياسي يذكر في المجتمع الاسرائيلي . وهذا أمر لا يصعب فهمه ، لأن نشأة المجتمع الاسرائيلي هى نشأة صهيونية بالدرجة الاولى ، وبناؤه بناء صهيوني في جوهره . فعلى الرغم من ان اسرائيل تعد الآن مستقلة نسبيا عن الايديولوجية التي ادت الى انشائها ، مثلها في ذلك مثل المجتمعات الاخرى فإن العلاقة بين الايديولوجية الصهيونية والمجتمع الاسرائيلي علاقة فريدة . فكل مجتمع ـ تقريبا ـ يفرز الايديولوجية والايديولوجيات التي تسود فيه وتهيمن عليه ، لكن الصهيونية ايديولوجية أنشأت مجتمعاً . ومن هنا جاءت السمات الفريدة للمجتمع الاسرائيلي ، فقد أنشأت الحركة السياسية شعبا ، ولم ينشيء الشعب الحركة السياسية ، وانشأت الاحزاب السياسية المجتمع ، ولم ينشيء المجتمع الاحزاب ، وانشأ الهستدروت (النقابة العمالية) الطبقة العاملة الاسرائيلية ، ولم تنشيء الطبقة العاملة النقابة . فاسرائيل مثل الجدل الهيجلي ـ تقف على رأسها سعيدة غافلة عن نظام الواقع المتعين ، ولعل هذا

الوضع هو الذي يفسر سر سيادة الافكار الصهيونية ، برغم انفصالها عن الواقع

وصهيونية المنظمة لم تتناقص بعد انشاء الدولة ، لأنها عرّفت نفسها وديناميتها على اساس صهيوني سافر . فنجد ان قانون العودة ، وقانون الوضع السياسي للمنظمة الصهيونية ، قانونان صهيونيان فريدان ، يشكلان الاساس الايديولوجي للمجتمع الاسرائيلي .

ويعيش المواطن في اسرائيل داخل شبكة كثيفة من الرموز والاساطير ، التي نسجها الصهاينة من التراث الديني اليهودي ، واعطوها مضمونا « قوميا » . فعلم بلاده ابيض وازرق ، لون « الطاليت » (شال الصلاة اليهودي) ، تتوسطه نجمة داود ، وهى رمز قبّالي ، ويتحدث نشيده القومي عن « عودة » الى وطنه تذكر المرء بالعودة في العصر الماشيحاني . وحتى اسم الدولة (اسرائيل) واسم الارض (أرتس اسرائيل) ، هى كلها تسميات دينية وقومية في الوقت ذاته . والبرلمان الذي يجتمع فيه ممثلو « الشعب اليهودي » في اسرائيل يسمى « الكنيست » او مكان الاجتماع ، وهو اسم يذكر المرء بالمعبد اليهودي ، الذي يطلق عليه « بيت هاكنيست » . وقد غيرت اسماء المدن والموانيء والقرى ، وسميت بأسمائها العبرية القديمة ، ذات الرنين الديني والبريق الصوفي ، لتصبح اسرائيل شيئا اشبه بالمتحف .

والمواطن الاسرائيلي ، في نظرته للعالم ، وادراكه للواقع ، ليس لديه صورة واضحة عن فلسطين او الفلسطينيين او الشرق الاوسط . وهو يستخدم الفاظاً لا صلة لها بالواقع ، مثل السامرة ويهودا ،

وينظــر الى الشرق الاوســط من منظــور « الحقــوق المطلقــة » و « المقدسة » الواردة في التوراة والتلمود ، التي لا يمكن مخالفتهـا او التشكيك فيها ، والتي تستبعد تماما اي اساس للحوار ، وقد لاحظ الكاتب الاسرائيلي بن عيزر ان الاتجاه السائد في اسرائيل (في الدوائر الدينية وغيرها) يرى العرب على انهم العماليق الذين ورد ذكرهم في التوراة . وقد شبه الصهاينة الاستيطان في فلسطين ، بغزو يشوع بن نون لأرض كنعان ، كما شبهوا السكان العرب في الاراضي المحتلة، في بعض الاحيان ، « بالامم السبعة المذكورة في التوراة ، التـي صدر امر بابادتها(٧) » .

والفلسفة الصهيونية التي تشكل رؤ ية الاسرائيليين للواقع ، من الناحية العاطفية والعقلية ، وتعزلهم عن الزمن والتاريخ لها اسـاس اقتصادي وسياسي راسخ . فالهستدروت مثـلا ، مؤ سسـة صهيونية استعمارية استيطانية فريدة ، فحتى اسمها باللغة العبرية « الاتحاد العام للعمال اليهود في ارض اسرائيل » ، يوحي بالارتباط العضوي العميق بينها وبين الصـهيونية . وقـد قال بن جوريون ، في مجـال وصفه لهذه المؤسسة ، « انهـا ليسـت مجرد اتحاد عمال ، او حزب سياسي ، او حتى مؤ سسة تعاونية ، انهـا تعبـير عن وحـدة شعـب جديد ، يبني بلدا جديدا ، ودولة جديدة ، ومستعمرات جديدة ، وحضـارة جديدة . كما وصف متحـدث آخـر المهمـة الـرئيسية للهستدروت بأنها تحقيق لاهداف الصهيونية في تشجيع الهجرة وبناء المستوطنات(٨) » .

وهذا الاتحاد العمالي ، الذي انشىء عام ١٩٢٠ ، ليخلق طبقـة عاملة يهودية ، اسندت اليه مهمة وضع الرؤ ية الصهيونية العنصرية

للعمالة العبرية الخالصة موضع التنفيذ ، فشن حملة ضد العمالة العربية والانتاج العربي ، كما كان يستخدم في بعض الاحيان ، موارده المالية لتعويض الرأسماليين اليهود عن الفرق بين العمالة اليهودية المرتفعة الثمن ، والعمالة العربية الأقل تكلفة ، ، الامر الذي مكن اصحاب العمل اليهود من البقاء داخل الحظيرة القومية الخالصة(٩) . ونظرا لأن الهستدروت كان مسئولا عن المستوطنات ، فقد كان يشرف على الهاجاناه ، وهي الذراع العسكري للوكالة اليهودية والمستوطنين الصهاينة ، كما كان هو القناة الاساسية التي توجه من خلالها الاعانات والمساعدات التي كانت تصب في الجيب الاستيطاني الصهيوني ، والتي تصب الآن في الدولة الصهيونية .

ويعد الهستدروت أهم مؤسسة صهيونية على الاطلاق ، لا يفوقه في الاهمية الا الجيش ، عندما اصبحت له مكانة ذاتية مستقلة بعد عام ١٩٤٨ . وهو الآن اتحاد عمال يضم الاغلبية العظمى للقوى العاملة الاسرائيلية ، جميع فئات العمال ، ومديري المصانع ، وموظفي الحكومة . ويبلغ عدد اعضائه ، طبقا لأحدى التقديرات ، حوالي ١,١ مليون ، من مجموع السكان البالغ عددهم حوالي ٣ ملايين . وقد يبدو غريبا ان يملك الهستدروت قطاعا كبيرا من الاقتصاد الاسرائيلي ، يضم صناعة ضخمة وبنوكا وشركات ملاحة وطيرانا ، وبالاضافة الى اكبر شركة مبان في اسرائيل . وقد يكون الهستدروت هو اتحاد العمال الوحيد في العالم الذي توجد به « ادارة اتحادات العمال » ، نظرا لطبيعته البروليتارية / الرأسمالية المختلطة ، وانشطته الاستيطانية الاستعمارية .

وعندما ينظم العمال الاسرائيليون اضرابا ، فهم يفعلون ذلك ضد « اتحادهم » الذي كثيرا ما يكون هو المالك الوحيد او الجزئي

للمصنع الذي يضرب العمال ضده . واذا اخذنا في الحسبان ان اموال الاضرابات هى ايضا تحت سيطرة الهستدروت ، يتضح لنا شذوذ هذا الوضع ، حيث يجد العمال انفسهم ، احيانا، ينظمون اضرابا ضد مؤسسة رأسمالية تقوم بادارة نقابتهم العمالية ، وتسيطر على قوتهم ، وتتحكم في الاموال المخصصة لتمويل الاضراب . والعامل الذي يترك الهستدروت تواجهه صعاب لا قبل له بها ، حيث انه لا يتمكن من العثور على عمل في أي مكان آخر . غير ان البحث عن وظيفة لن تكون مشكلته الوحيدة ، فإنه سيجد ايضا ان مصاريف علاجه الباهظة تشكل عبئا كبيرا ، نظرا لأن الهستدروت لديه اكمل برنامج شامل للتأمين الصحي في اسرائيل . ان التوجه الصهيوني للهستدروت ، وقبضته الحديدية على حياة الفرد ، يثبط أي نزعة نحو التمرد من جانب المواطن الاسرائيلي العادي .

ومن العوامل الهامة الاخرى التي تساعد على تشديد قبضة الصهيونية على المجتمع الاسرائيلي ، هيمنتها على الاحزاب السياسية . فهذه الاحزاب تتلقى الدعم السخي من المنظمة الصهيونية العالمية ، ومن المتبرعين السذج في الخارج ، الذين يعتقدون انهم يهبون مالا للفقراء في اسرائيل . وثمة تقدير بأن الاموال الصهيونية التي تدخل سنويا في خزائن الاحزاب السياسية الاسرائيلية تصل الى ٣,٥ ملايين دولار[١٠] .

ولو اخذنا في الحسبان الفارق بين عدد السكان في اسرائيل وعدد السكان في الولايات المتحدة ، لوصل هذا المبلغ الى مايوازي، في الواقع ، حوالي ٢٥٠ مليون دولار تصب في النظام الحزبي الامريكي ، ولو اخذنا بالحسبان الفرق بين دخل الفرد في الولايات

المتحدة واسرائيل لوجدنا ان هذا الرقم ، قد يتضاعف الى ثلاث مرات . ومن السمات الشاذة للغاية للحياة السياسية الاسرائيلية ، ان معظم الاحزاب الاسرائيلية لديها « فروع » في المنفى ، فنجد ان شيمون بيريز على سبيل المثال ، يشير الى حزب العمل على انه « حزب يهودي صهيوني عالمي(١١) » . وتصدر فروع الشتات عن منطلقات صهيونية الشتات الخيرية ، ولذلك فهى تضطلع بعملية جمع الاموال وتجنيد اليهود للقيام بالضغط السياسي .

وبعض الاحزاب تقوم بنقل الحملات الانتخابية الاسرائيلية الى الولايات المتحدة . فقد اوردت جريدة النيويورك تايمز ، في عددها الصادر في ٣ ابريل ١٩٧٧ ، ان بعض السياسيين يقومون بنشاط لجمع الاموال ، دون تسجيل انفسهم كعملاء اجانب . . ومن المعتقد ان ممثلي الحركة الديمقراطية الجديدة للتغيير، التي يرأسها ييجال يادين ، قد جمعت حوالي ٥٠٫٠٠٠ دولار ، بينما كشف الجنرال اريل شارون انه « قد تلقى بضعة آلاف من الدولارات من الولايات المتحدة » على اثر زيارته لها .

وحينما تتخذ الاحزاب المناهضة للصهيونية والاحزاب غير الصهيونية ، موقفا معاديا للأيديولوجية الحاكمة ، فهى لا يمكنها الحصول على المعونات والاموال اللازمة للاشتراك في واحدة من اكثر الانتخابات تكلفة في العالم . ونظرا لانها ترفض فكرة القومية اليهودية ، وتقبل فكرة القومية او الهوية الاسرائيلية ، فإن هذه الاحزاب لا يمكنها مخاطبة يهود الشتات ، الا داخل حدود ضيقة لأقصى حد . ويزيد من تفاقم الموقف ان الاحزاب السياسية في اسرائيل ، ليست احزابا بالمعنى المتعارف عليه ، فهى مؤسسات

استيطانية / استيعابية ، اسست الدولة ، وليست احزابا ، تتواجد داخل الدولة ، وما الدولة الصهيونية سوى مجرد تعبير شكلي عن وضع استيطاني قائم بالفعل ، جوهره المؤسسات الاستيطانية التي تدعى بالاحزاب . وتظهر استيطانية الاحزاب في علاقة الاعضاء بها ، وفي الوظائف التي تضطلع بها ، فالحزب ليس مجرد انتماء ايديولوجي ، بل هو ايضا انتماء اقتصادي وسلالي . فكل حزب له مشروعات الاسكان الخاصة ، وله شركات للبناء ، ومراكزه التعاونية ، ومستشفياته ونظامه للضمان الصحي ، كما ان لكل حزب بنوكه ومكاتبه للتسليف والتوظيف ، ولعل هذا الوضع يفسر ارتباط الاعضاء بالاحزاب في اسرائيل ، ويفسر ايضا ظاهرة الانضباط والمركزية في الاحزاب الاسرائيلية .

ومعظم المشاريع التي تتحكم فيها الاحزاب ، والخدمات التي تقدمها ، تتلقى الدعم على شكل منح او قروض مقدمة من الوكالة اليهودية ، او عن طريق حملات مباشرة لجمع الاموال في الخارج . فقد تلقى الحزب القومي الديني على سبيل المثال ، مبلغ مليون دولار من الوكالة اليهودية في سنة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ . والاحزاب الصهيونية ، كما بينا ، تسيطر سيطرة تامة على حياة اعضائها ، ولا يمكن الاحتفاظ بهذه الهيمنة الا عن طريق الدعم الصهيوني . وقد رسم ايموس ايلون ، صورة لاسرائيل على انها دولة تتكون من مقاطعات حزبية منفصلة تقريبا ، أو ما اسماه « ولايات اقطاعية مستقلة » . وبعض المناطق الريفية ، هى فعلا « جيوب مغلقة تابعة لحزب واحد » ، حيث ترتبط معظم المستعمرات والمستوطنات التعاونية المتاخمة لها بنفس الحزب[١٢] .

ونطرا لان الاموال المتاحة للاحزاب المناهضة للصهيونية وغير

الصهيونية محدودة ، فإنها لا يمكنها القيام بمثل هذا العدد من المشاريع الخارجة عن نطاق العمل السياسي ، الامر الذي يجعل هذه الاحزاب اقل جاذبية للافراد ، وتفرض على هذه الاحزاب ـ في الوقت نفسه ـ هامشية ، تسبب لها الكثير من الاحباط واليأس . وفي عددها الصادر بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٧٤ ، نشرت جريدة **هاعولام هازيه** مقالا يبين بشكل واضح ، كيف يقوم البناء الصهيوني للاحزاب الاسرائيلية بفرض الموقف الصهيوني على كثير من رجال السياسة . فقد عرف موشى كول ، وزير السياحة ورئيس الحزب الليبرالي المستقل ، بموقفه المعتدل ، ولكنه اجبر في آخر الأمر على « تصحيح » مواقفه ، واخذ يدلي بتصريحات تنادي بضم الاراضي المحتلة : « ليكن معلوما لجيراننا في الشرق (اي العرب) اننا لا نقيم المستوطنات ونسلحها لنهدمها بعد ذلك » . وقد اوردت **هاعولام هازيه** ، في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٧٤ ، على لسان الوزير نفسه هذا التصريح : « لست على استعداد لنقل مستوطنة قائمة ، حتى اذا كان هذا مقابل تسوية سلمية للصراع » . وعندما سأله مراسل جريدة معاريف عن موقفه الجديد المتشدد ، وجد موشى كول نفسه مضطرا للقول : « لا لم اكن ابدا من الحمائم ، فأنا دائما من الصقور[١٣] » . والاساس الاقتصادي لهذا الموقف المتعنت معقد وجدير بالتأمل . فالحركة التعاونية الزراعية التابعة للحزب الليبرالي المستقل ، تشيد مستعمرات جديدة في الاراضي المحتلة ، وتجند الشبان الذين يريدون الهرب من وضع العامل الاجير ، فيصبح من الضروري ان يعمل الحزب على ان تستثمر وزارة العمل ووزارة السياحة الملايين في المستعمرات الجديدة ، وبذلك تتحول الى مشروعات ناجحة اقتصاديا[١٤] . وعندئذ فقط تبدأ المستعمرات والحزب في النمو.

ومثل هذه العملية المعقـــدة لا يمكـــن وضعهـــا موضـع التنفيذ ، الا اذا كان الحزب مستعدا للتكيف مع السياسات الصيونية التي تنادي بضم الاراضي المحتلة .

ونظرة الى مصادر التمـويل لجماعـة جوش ايمـونيم ، والجماعـة القومية الدينية ، التي تنادي بضم الاراضي المحتلة ، تبين لنا بشكل واضح ، مدى اهمية التمويل الصهيوني للأحـزاب ، فقـد نشرت جريدة معاريف ، في عددها الصادر بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٧٥ ، ان هذه الجماعـة اليمينية المتطرفـة لديهـا عدة ملايين من اللـيرات الاسرائيلية في خزانتها ، وتشير الجريدة الى المصـادر التـالية لدخـل الحركة (ويلاحظ ان المصدرين الاول والثاني ، وحدهما من داخل اسرائيل اما الباقي فمن خارجها) :

١ ـ رجال اعمال اسرائيليون اثرياء .
٢ ـ بعض الاحزاب السياسية الاسرائيلية .
٣ ـ اعضاء مؤتمر رؤسـاء المنظمات اليهـودية الـرئيسية بالـولايات المتحدة .
٤ ـ النداء اليهودي الموحد .
٥ ـ سندات اسرائيل .
٦ ـ الحاخـام فابيان شونفلـد ، رئيس جماعـة يهـودية ثرية بضـاحية كوينز ـ نيويورك ، ورئيس مجلس حاخامات امريكا .
٧ ـ دافيد بيزلسون ، رئيس شركة ملاحة دولية (وكان اول من منح معونة لهذه الجماعة ، التي تنادي بضم الاراضي المحتلة ، كما ساهم في اقامة اول مستوطنة تابعة لهم) .
٨ ـ شخصيات يهـودية مرموقـة ، ورجـال اعمال اثـرياء بفرنسـا ،

وانجلترا ، وسويسرا ، وكندا ، وجنوب افريقيا طبعا[١٥] .
والابعاد العالمية لهذه المعونة الممنوحة لجماعة صغيرة متطرفة داخل اسرائيل ، دليل على طبيعة العون الممنوح للجماعات والاحزاب الاخرى الأكثر تأثيرا ونفوذا ومقداره .

ان موقف اسرائيل ، الدولة الصهيونية ، وموقف الاسرائيليين ، العنصر السكاني الجديد ، الذي ادخل في المنطقة ، لهو موقف شاذ ليس له مثيل . فالاسرائيليون يعيشون في منطقة الشرق الاوسط العربي ، تساندهم ايديولوجية نشأت في احياء اليهود في اوروبا ، يتلقون المعونات والتأييد من الدول الغربية ، ومن يهود الشتات . وقد كتب يوري افنيري يقول : انه بعد ان يقوم الطيار الاسرائيلي بغارة جوية على القاهرة او دمشق ، فانه يعاني من الكوابيس اثناء نومه ، لا بسبب قتل من قتل من الاطفال العرب اثناء الغارة التي قام بها ، ولكن بسبب عذاب الاطفال اليهود في جيتوات شرق اوروبا اثناء احدى المذابح التي ارتكبت في الماضي ضد اليهود . ولكي تكتمل الصورة يجب ان نتذكر ان هذا الطيار في الغالب قد تلقى تدريبه في الغرب ، صنعت طائرته في الولايات المتحدة ، وحصلت عليها اسرائيل من خلال احدى المنح الكثيرة التي تحصل عليها من الولايات المتحدة . هذه الصورة تلخص بوضوح شذوذ وضع اسرائيل ، وهو وضع بلا شك يحتاج الى كثيرمن التطبيع .

ولو حاولنا ترجمة هذه الصورة المرئية الى مصطلح سياسي ، قد يكون اقل وضوحا ، ولكنه اكثر خضوعا للتحليل ، لقلنا ان الصهيونية هي نسق ايديولوجي ، او بناء فوقي له ثلاثة ابنية تحتية . أما البناء التحتي الاول ، فهو المناطق اليهودية شبه المستقلة في شرق

اوروبا (الجيتو ـ الشتتل ـ مناطق الاستيطان) التي افرزت المسألة اليهودية ، وافرزت ايضا الخطوط العامة والشكل المتميز للاسطورة الصهيونية ، والبرنامج الصهيوني المقترح لحل مشاكل اليهود واليهودية . وقد اختفى الجيتو بعد ان افرز الايديولوجية الصهيونية ، اي ان الصهيونية نسق فكري يستند الى بناء تحتي أولي غير موجود .

واذا كان الجيتو في اوروبا الشرقية ، هو الذي افرز تلك المسألة وحلها الصهيوني المقترح ، فهو لم تكن لديه القدرة او الوسيلة الكفيلة بتنفيذه . فعملية نقل السكان من اوروبا الشرقية ، ومن جهات اخرى ، الى افريقيا واسيا ، عملية تحتاج الى ان تساندها قوة عالمية وتتبناها ، ولا بد ان تكون لهذه القوة مصالح استعمارية في الشرق ، الامر الذي ينقلنا الى البناء التحتي الثاني ، الذي يتكون اساسا من القوى الاستعمارية (الغربية) المختلفة التي تبنت الفكرة الصهيونية وساندتها ودعمتها لخدمة مصالحها ، وان كان يضم ايضا يهود الشتات ، الذين يودون الدفاع عن مواقعهم الطبقية ، او الذين يؤ يدون الصهيونية لسبب او لآخر ، أي ان الصهيونية تستند الى بناء تحتي ثان لا تربطه بها أي علاقة معنوية اوجدلية ، وانما تربطه بها علاقة نفعية وميكانيكية .

اما البناء التحتي الثالث ، دولة اسرائيل نفسها ، فهو فريد في انه نتاج البناء الفوقي الصهيوني ، ونتاج مناورات الحركة ومضارباتها وجهودها . وكما بينا من قبل ، فإن الايديولوجية هنا هى التي افرزت المجتمع ، ولم يفرز المجتمع الايديولوجية . كما تظهر فردية هذا البناء التحتي ، في انه ليس البناء التحتي الوحيد ، ولا الرئيسي ، اذ يظل البناء التحتي الرئيسي هو الامبريالية الغربية . ومن النتائج التي ترتبت على هذا التعدد في الابنية التحتية ، ان المواطن الاسرائيلي

يعيش داخل بناء فوقي صهيوني تلمودي ، تسانده ثلاث ابنية تحتية ، لا يتحكم هو في اي منها ، كما انه ليس مسئولا عن اي منها . فهو لا ينتمي لجيتوات شرق اوروبا ، وهو ليس جزءا من التشكيل الحضاري الغربي ، كما انه لا يمكنه ان يتحكم في دينامية الامبريالية الغربية ، ولكنه مع هذا ، مدين بوجوده المادي ، وبفكره ووجدانه للجيتو وللامبريالية . وحتى البناء التحتي الاسرائيلي ، هو الآخر يهيمن عليه ماديا ووجدانيا ، الصهاينة (والامبريالية) .

ولا تصل الشعوب والمجتمعات المختلفة الى حد معقول من الثورية والعقلانية ، من خلال الوعظ والارشاد أو عن طريق التوصل الى الافكار الصحيحة ، (على الرغم من أهمية الوعظ والارشاد وعلى الرغم من ضرورة وجود الافكار الصحيحة ، على المستوى النظري) ، وانما تصل اليها من خلال الممارسة التاريخية ، فيدفع المجتمع ثمن الاخطاء التي يرتكبها (سوء تنظيم اجتماعي ـ او حروب توسعية) ويجني ثمار انتاجيته وعقلانيته . ومثل هذه الممارسة ، هي وحدها القادرة على تبديد الاساطير ودحض الاكاذيب وتفنيد الاوهام ، التي قد يفرزها مجتمع ما عن نفسه او عن الاخرين . ولكن المجتمع الاسرائيلي محروم من مثل هذه الممارسة التاريخية ومثل هذا الاحتكاك بالواقع الذي قد يبدد الاساطير ، او على الاقل قد يخفف من حدتها . فالاسرائيليون كما بينا ، لا يتواجدون داخل انساق فكرية تعبر عن موقفهم التاريخي المتعين ، وانما هم سجناء الجيتو ، بكل رموزه وافكاره المغلقة ، واساطيره وطقوسه اللازمنية عن انفصال اليهودي الخالص عن الاغيار ، ولكن ما يساعد الاسطورة على الاستمرار ان المجتمع الاسرائيلي لا تتحكم فيه العلاقات الانتاجية والاجتماعية ، التي تسود فيه ، وانما تتحكم فيه القوى التي

تمول اوهامه واساطيره الصهيونية . بل ويمكننا القول ان النمط الانتاجي الأساسي السائد في المجتمع الاسرائيلي هو « دوره » الصهيوني ، الذي يتلخص في ان يشكل الاسرائيلي طليعة الشعب اليهودي الذي يدافع ذاتيا عن « مصير الشعب اليهودي » ووحدته ، ويدافع موضوعيا عن مصالح الامبريالية . وكلما ازداد اصرار الاسرائيليين على البقاء داخل الجيتو اليهودي ، الخالص المقدس ، ازدادت عنصريتهم ضد الفلسطينيين ، الامر الذي يؤدي بالضرورة الى ازدياد العداوة ضدهم من سكان المنطقة ، وبالتالي يزداد اعتمادهم على دولة استعمارية كبرى .

ويحقق المجتمع الاسرائيلي عن طريق دوره الصهيوني هذا ، عائدا اقتصاديا مرتفعا ، ويضمن لنفسه مستوى معيشيا عاليا ، ويضمن بقاءه واستمراره . والاسرائيليون ليسوا متفردين في هذا الوضع ، فالطبقات المستغلة والحاكمة تلجأ عادة الى عزل اقلية ما ، عرقية او دينية او اثنية عن بقية طبقات الشعب . وتحقق لها مستوى معيشيا متميزا لتستخدمها في قمع بقية اعضاء المجتمع كله ، والامبريالية العالمية لا تنظر الى اسرائيل بوصفها استثمارا اقتصاديا عاديا (وان كان هذا لايمنع تحقيق عائد اقتصادي مرتفع ، ان سنحت الفرصة) ، وانما تنظر اليها على انها استثمار سياسي بالدرجة الأولى ، ولذلك فهي تضحي بالعائد المادي المباشر في سبيل الهدف الاستراتيجي النهائي . خلق جماعة استيطانية في منطقة الشرق الاوسط ، وجودها رهن بوجود الاستعمار ، تقوم بدور العميل النشيط المدافع عن مصالح الاستعمار . والانفصال النسبي للمواطن الاسرائيلي ، عن اي واقع اقتصادي محدد يجعله محاربا نشطا ، مثل الجندي النازي ، الذي كان يتقدم الى غايته دون اي تساؤل او تردد ، فالاسطورة المجردة تعزل الانسان عن الواقع ، بل وعن

مصالحه وذاته. ان الاسرائيليين - كشعب - يلعبون الدور نفسه الذي لعبته اقلية الايبو في نيجيريا ، وشعب القوقاز في روسيا القيصرية ، فهي اقليات كانت تتمتع بوضع ممتاز نسبيا ، نظير اضطلاعها بوظيفة القمع الموكلة اليها ، سواء من قبل الاستعمار الانجليزي او القيصري الروسي .

ومفهوم الطبقة المحاربة او الجماعة الاثنية المحاربة (او الطبقة / الامة المحاربة ، اذا اردنا استخدام مصطلح ليون بعد تعديله) ليس غريبا عن الشرق الاوسط . فالمماليك حكموا هذا الجزء من العالم قرونا عدة ، الى ان قضى محمد على على البقية الباقية منهم ، وهم في نهاية الامر ، طبقة محاربة ليس لها انتماء حضاري او عرقي قوي للمنطقة (أو اي منطقة اخرى) . بل ان عدم الانتماء هذا هو شرط اساسي للانخراط في سلكها ، ولذا كان يتم اعداد المماليك عن طريق اختطاف الاطفال ثم تنشئتهم تنشئة عسكرية حتى يحتفظوا بلياقتهم البدنية والعسكرية ، وحتى تزداد عزلتهم عن بقية اعضاء الشعب الذي سيقومون بالدفاع عنه ضد الغزو الاجنبي ، والذي سيقومون ايضا بقمعه لضمان تحقيق فائض القيمة لانفسهم وللطبقة الحاكمة .

ولعل طريقة التنشئة في الكيبوتز ، هذه المؤسسة الزراعية العسكرية ، تذكر المرء بطريقة تنشئة المماليك ، من تركيز على الجماعية ، وعلى الانضباط العسكري ، وعلى الزهد في الحياة ، وان كان لا يستبعد الترف بالنسبة للجماعة كلها . ولعل هذه التنشئة هى اقرب شيء في العصر الحديث ، لطريقة تنشئة المماليك . ومن الامور ذات الدلالة ، ان الكيبوتز هو المكان الذي ينشأ فيه اعضاء النخبة العسكرية الحاكمة في اسرائيل ، الذين لا يمتلكون وسائل الانتاج ، ولكنهم يلعبون دورا قياديا في المجتمع كله .

وبالرغم من تمتعهم بمستوى معيشي متميز ، ومكانة اجتماعية عالية ، فإنهم لا يستغلون المجتمع الاسرائيلي ، بالمعنى التقليدي للاستغلال ، وانما يقومون بقيادته كله ليلعب دوره « المملوكي » او « الصهيوني » ، الموكل اليه من قبل الامبريالية ، تجاه المجتمعات العربية المحيطة به .

وقد يكون تشبيه علاقة المجتمع الاسرائيلي بالمجتمعات المجاورة ، بعلاقة القوقازيين والايبو والمماليك ، بالمجتمعات التي كانوا يعيشون فيها ، تشبيها غير دقيق ، (وكل التشبيهات في نهاية الامر ، غير دقيقة) ولكنه - في تصوري - يبين لنا الطبيعة الشاذة للوجود الاسرائيلي في المنطقة والطبيعة الشاذة لبناء المجتمع الاسرائيلي ، الذي يستمد صورته عن نفسه واساسه الاقتصادي من خارج المنطقة ، ويعيش باصرار داخل الاسطورة الصهيونية .

وقد ساعد العرب انفسهم على استمرار هذا الوضع ، بفشلهم النسبي حتى الآن في الحاق ضربة عنيفة تصيب الاسطورة الصهيونية في جذورها . كما ان العرب بالغائهم حتى عهد قريب ، الوجود الفلسطيني او بوضعه تحت الوصاية الجبرية ، خلقوا لاسرائيل الفراغ اللاتاريخي الذي مكنها من التنفس والتحرك بحرية وطلاقة ، فضلا عن ان ما يبديه العرب من مظاهر الرفض الكامل لكل قطاعات المجتمع الاسرائيلي ، بما في ذلك القطاعات المعادية للصهيونية ، من شأنه ان يطمس معالم التناقضات الاجتماعية داخل المجتمع الاسرائيلي ، ويزيد من هيمنة الاسطورة .

ماساداه والعدم :

ولكن الاسرائيلين في نهاية الامر ، بشر ، يمارسون احساسهم بأنفسهم ، ولهم ادراكهم المباشر للواقع ، وهو ادراك يتخطى حدود

الايديولوجية الوهمية المفروضة عليهم ، ويتخطى الواقع الوهمي المموول . هذا التناقض الحاد الذي يعيشه الاسرائيليون ، وهو تناقض لا يملكون له حسما ، هو الذي يفسر سقوطهم في هوة الجبرية . فالوجدان الاسرائيلي يرى حالة الحرب ، كما لو كانت ةحالة نهائية ، فمنذ بضع سنوات لاحظ الشاعر الاسرائيلي حاييم جوري بمرارة أن « هذا التراب » (اي تراب اسرائيل) لا يرتوي » ، فهو يطالب دائما « بالمزيد من المدافن وصناديق دفن الموتى » ، كما لو كانت ارض اسرائيل آلهة ثأر بذيئة ، وليس مجرد قطعة ارض او اقليم(١٦) . كما لاحظ الكاتب الاسرائيلي بن عيزر ، ان الاسرائيليين الشباب ، الذين يخدمون في الجيش ، يشعرون بأن اهلهم بالاشتراك مع الدولة يضحون بهم دون تعويض او عزاء من عقيدة دينية تؤمن بالحياة بعد الموت(١٧) ، ولذا فهم يشعرون بأن هذه الحروب هى « تضحية علمانية بإسحق » ، اي انها تضحية بشرية لا هدف لها ولا معنى .

ان القيادة الصهيونية / الاسرائيلية ، التي تمركزت وتشرنقت داخل الاسطورة الصهيونية ، لا ترى اي نهاية لهذا الوضع ، بل ترى ان ثمة حتمية لهذه الحروب التي تمد لها المعونات بشكل دائم ، والتي تشدد من قبضة الصهيونية على الاسرائيليين ، وتضمن استمرار وجود « اسرائيل جيتو مسلحاً حصيناً » . ويظهر هذا الاستسلام الكامل في كلمات موشيه دايان في جنازة صديقه روى روتبرج ، الذي قتله الفدائيون الفلسطينيون . فقد قال وزير الدفاع والخارجية الاسرائيلي السابق : « اننا جيل من المستوطنين ، ولا نستطيع غرس شجرة او بناء بيت ، دون الخوذة الحديدية والمدفع ، علينا الا نغمض عيوننا عن الحقد المشتعل في افئدة مئات الالاف من العرب حولنا .

علينا الا ندير رؤوسنا حتى لا ترتعش ايدينا . انه قدر جيلنا ، انه خيار جيلنا ، ان نكون مستعدين ومسلحين ، ان نكون اقوياء وقساة ، حتى لا يقع السيف من قبضتنا وتنتهي الحياة[١٨] .

وتعبر هذه الحتمية والعبثية عن نفسها ، بشكل كوميدي احيانا (ويقال ان الاسرائيليين يتمتعون بقسط كبير من روح النكتة والدعابة) . فقد وجدت هذه الابيات من الشعر على حائط دورة مياه الرجال في الجامعة العبرية :

ليذهب السفارد الى اسبانيا
والاشكناز الى اوروبا
والعرب الى الصحراء .
ولترجع البلد الى الله ،

فقد منحنا من المتاعب الكفاية عندما وعد بها الجميع[١٩] .

حتى الشعور بالحصار ، وهى فكرة مسلطة على الاسرائيليين ، الذين يعانون من الكلوستروفوبيا (الخوف المرضى من الاماكن المغلقة) ـ نجده يخرج في عبارات فكاهية . ففي وقت من الاوقات كان الشباب الاسرائيلي يردد اغنية شعبية مرحة عنوانها « العالم كله ضدنا[٢٠] » ، وفي الوقت الذي زادت فيه حوادث اختطاف الطائرات والهجمات الفلسطينية على المستوطنات ، بعد « نصر » ١٩٦٧ ، قال صحفي في جريدة معاريف ساخرا ، ان كل مواطن اسرائيلي قد يكون في حاجة الى خط بارليف خاص به لضمان سلامته .

واذا كانت حالة الحرب الدائمة ، وفقدان الاحساس بالاتجاه ، او السيطرة على الموقف يسبب هذا الاحساس بالعبثية ، فثمة عامل آخر

يؤرق بال الاسرائيليين ، وهو علمهم بأن العربي الغائب ليس غائبا ، وان حقوقهم المقدسة المجردة كثيراً ما تبهت بجوار الحقوق العربية المباشرة ، وخاصة اذا كان الاسرائيلي يعيش في منزل عربي يقرع صاحبه الأبواب . واذا كانت الاعتذاريات الصهيونية ، المركبة والفريدة ، قادرة على اراحة ضمائر صهاينة لندن ونيويورك ، فهي غير ناجحة ، بالقدر نفسه ، مع الاسرائيليين الذين يعيشون وسط الاكذوبة الصهيونية ، وعلى حطام القرى العربية ، ويختلطون احيانا بالضحايا . بل ان اولادهم ليسألونهم ، احيانا عن العرب ، وكما يقول ايموس ايلون ، فان الاسرائيليين غير قادرين على « ترديد الحجج البسيطة المصقولة وانصاف الحقائق المتناسقة التي كان يسوقها الجيل (الصهيوني) السابق[٢١] » .

والاحساس بالذنب نحو العرب ، أو ما اسماه ايلون « بعقدة الشرعية » هو احساس منتشر ، يعبر عن نفسه في ادب الاسرائيليين واقوالهم . فقد قال ايلي ايلون ، الشاعر الاسرائيلي الشاب ، ان « البعث التاريخي » للشعب اليهودي ، واي شيء يقيمه الاسرائيليون مهما كان جميلا ، انما « يقوم على ظلم الامة الاخرى » . ولسوف يخرج شباب اسرائيل ليحارب ويموت « من اجل شيء قائم اساسا على الظلم ، ان هذا الشك ، هذا الشك وحده ، يشكل اساسا صعبا للحياة[٢٢] . وتتناول قصة في « مواجهة الغابة » التي كتبها الروائي الاسرائيلي أبراهام ب . يهوشاوا ، والتي وصفها بعض النقاد بأنها هدامة وانتحارية ، بعض الاحداث في حياة طالب يكتب دراسة عن الحروب الصليبية ، وهي « تجربة » تاريخية اخرى عقيمة وعاجزة تطارد العقل الاسرائيلي ، وقد عين احد المسئولين بالصندوق القومي

اليهودي البطل على مضض ، حارسا لغابـة غرسهـا الصهاينـة على موقع قرية عربية ازالوها مع ما ازالوا من قرى ومدن ، وتحمل كل شجـرة في الغابـة اسـم احـد المساهمـين المتحمسـين من صهاينـة الشتات ، وعلى الرغم من ان البطل ينشد الوحدة ، فإنه يقابل عربيا عجوزاً ابكم من اهل القرية يقوم برعاية الغابة ، وتنشأ علاقة حب / وكراهية بين العربي والاسرائيلي ، فالاسرائيلي يخشى انتقام العربي ، ومع ذلك ينجذب اليه بصورة غريبة . ويكتشف الحارس ، المعين من قبل الصنـدوق القومـي اليهـودي ، انـه يحاول بلا وعـي ، مساعـدة العربـي في اشعـال النـار بالغابـة ، ولكنـه يفشـل ، وفي النهاية ، عندما ينجح العربي في ان يضرم النار في الغابـة كلهـا ، يتخلص البطل من كل مشاعره المكبوتة (٢٣) .

ولكن الاحساس بالذنب والاحباط ، الذي لا تواكبه عملية تغيير اجتماعية وسياسية شاملة ، لا يؤدي الا الى الكفر بالقيم ، والى المزيد من التسلح والجبرية ، وهذا هو الذي حدث لآرثر روبين . ففـي مواجهة العنف المحيط به في فلسطين ، كتب في يومياته يقول : « يبدو ان العالم كله مريض عقليا ، لا سيما نحن اليهود ، فالناس الذين قضوا شبابهم في الحرب وآثارها يجب معاملتهم كالمجانين(٢٤) » .

ثم غاص روبين في التجريد الذي اضعف من ادراكه للحقيقة ، ووجد نفسه يتصور ان اليهود يطلقون النار على العرب ، ويشتبكون معهم في صراع ابدي بدون سبب واضح . ولذا لم يكن غريبا ان نجده يتجه الى النقيض ، ويدعو الى الجنون نفسه الذي يندد به ، فيقـول : « لقـد حكم علينـا ان نعيش في حالـة حرب دائمـة مع

العرب ، وليس هناك وسيلة لتجنب التضحيات الدامية[٢٥] » .

ويصل هذا الايمان بالقضاء والقدر ذاته في اسطورة الماساده حيث يموت اليهود موتاً بطولياً على مذبح الدولة . ماساده ، كلمة ارامية تعني « القلعة » ، وتعني هنا آخر قلعة يهودية سقطت في ايدي الرومان اثناء التمرد اليهودي ضد الامبراطورية الرومانية ، وتقع ماساداه على قمة صخرة مرتفعة عند البحر الميت . ويروي المؤرخون ان الحاكم اليهودي هيرود كان قد اقام هذه القلعة خوفا من خطر كليوباتره ، ملكة مصر ، وملاذا يحتمي فيه ،عند الحاجة، من « الشعب اليهودي » ، الذي كان يريد عزله واعادة حكامه السابقين . لهذا السبب قام هيرود بتحويل ماساده من مجرد صخرة الى قلعة حصينة ، ادخل فيها نظاما متقدما ، نسبيا ، للري ولتخزين المياه . وقد احتل الرومان القلعة ، ولكن اليهود اثناء الثورة اليهودية استولوا عليها ، وذبحوا كل افراد الحامية الرومانية ، بعد ان وعدوهم بالامان ان هم استسلموا (الامر الذي يفسر خشية اليهود من الاستسلام فيما بعد) . ثم حاصر الرومان القلعة من كل الجهات لعدة سنوات حتى احدثوا ثغرة في جدرانها . ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي ، ان هذا الوضع دفع القائد اليهودي الى اقناع رفاقه بممارسة انتحار جماعي ، بدلا من الوقوع اسرى في ايدي الرومان ، الامر الذي اودى بحياة ٩٦٠ من الرجال والنساء والاطفال ، ثم احرق منازلهم ومخازن مؤنهم ، وحتى يمكن تفسير كيفية تنفيذ عملية الانتحار الجماعي هذه (اذ لو انتحر الجميع فعلا ، لما بقي احد على المسرح ليعلق على الاحداث) قال المؤرخ يوسيفوس ، ان امرأتين وخمسة اطفال قد اختبأوا في احد الكهوف ، وشاهدوا

المنتحرين وهم يقومون بفعلهم البطولي الاخير، وقد تحولت قلعة ماساداه بعد ذلك الى موقع عسكري روماني ، ثم الى قلعة صليبية (اي ان ماساداه تحولت الى رمز القوة العسكرية المحاصرة .)

وقصة ماساداه هذه اثارت شكوكا كثيرة ، فمصدرها الوحيد هو يوسيفوس فلافيوس . ويوسيفوس هذا هو في الواقع ، يوسف بن ماتيا هاكوهين ، وهو سياسي وقائد عسكري ومؤ رخ يهودي من اسرة ارستقراطية . وحينما نشبت الثورة اليهودية ، عينته الحكومة الجديدة عام ٦٦ م قائدا عسكريا لمنطقة الجليل . التي كانت تعد من اهم المناطق من الناحية العسكرية . ولكن حينما وصلت القوات الرومانية ، سرعان ما تساقطت التحصينات اليهودية ، وحاول هاكوهين الهرب ، ولكنه لم يفلح ، اذ ابقاه جنوده رغم انفه . ثم تمكن القائد وبعض جنوده بعد ذلك ، من اللجوء الى احد الكهوف ، حيث قرر الجنود الانتحار بطريقة جماعية ، فقام هاكوهين بعمل القرعة بنفسه بطريقة كفلت له ان يكون هو آخر المنتحرين ، ثم اشرف على تنفيذ عملية الانتحار ذاتها بكفاءة شديدة . وحينما لم يتبق الا هو وشخص اخر ، اقنع فلافيوس الجندي المتبقي معه بالاستسلام للرومان بدلا من الانتحار . وحينما مثل هاكوهين بين يدي القائد الروماني فلافيوس فسبسيان ادعى النبوة ، وتنبأ ان القائد الروماني ، سيتبوأ عرش روما ، ثم غير اسمه الى يوسيفوس ، واتخذ اسم القائد الروماني اسما ثانيا له[٢٦] . ومثل هذه الشخصية قد يكون من الافضل عدم تصديق رواياتها ، خصوصا اذا كانت رواية بطولية فيها تعويض عن فشل اخلاقي ارتكبه المؤ رخ في حياته ، وعلى كل وصفت الموسوعة اليهودية يوسيفوس فلافيوس ، بأنه لا

يعتد به مؤ رخا ، فطموحه كان اساسا طموحا ادبياً ، كما وصفت كتبه بأنها ذات قيمة ادبية بالدرجة الاولى[٢٧] . واعلنت الباحثة اليهودية ويسي روز مارين فعلا ان نتائج دراساتها تؤكد ان قصة ماساداه خرافة ، واسطورة ملفقة ، وانه لا يمكن التدليل التاريخي على سلامة الاكتشافات الأثرية التي تستند اليها القصة .

وحتى لو افترضنا صدق اسطورة الانتحار هذه ، فإن المؤ رخين الصهاينة يسقطون كثيرا من العناصر التاريخية ، حتى تبدو ماساداه وكأنها تعبير حقيقي عن « وحدة الشعب اليهودي » . فلا تذكر المصادر الصهيونية ،مثلا،شيئا عن الحرب الطبقية التي كانت رحاها دائرة بين فقراء اليهود واثريائهم ، وانه قبل حادثة ماساداه ذبح ما لا يقل عن ١٢ الف يهودي من اثرياء اليهود على يد اخوانهم من فقراء اليهود . كما لا تذكر المصادر الصهيونية شيئا عن القلاع اليهودية الأخرى التي آثرت الاستسلام والبقاء على الانتحار والموت ، وكل هذا يدعونا الى رؤ ية حادثة ماساداه على انها الاستثناء وليس القاعدة ، والى جانب كل هذا لا تذكر المراجع الصهيونية ان الانتحار محرم في اليهودية (كما هو الحال في المسيحية والاسلام) وان هذه الديانة السماوية تحرم دفن المنتحرين او اقامة شعائر الدفن الدينية لهم .

ولكننا نعرف من قراءتنا لتاريخ الحركة الصهيونية انها لا تمانع بتاتا في دفن اليهود ثم اعلان انتحارهم ، كما حدث في السفينة باتريا وغيرها ، وكما حدث بشكل مغاير في العراق او المانيا النازية ، وفكرة نفي الشتات الغرض منها هو دفن يهود الشتات . ولعل هذا

هو المصير الذي لا تمانع الصهيونية ان تدفع اليه الاسرائيليين ان هم لم يمتثلوا لدينامية المثل الاعلى الصهيوني المستحيلة . ولعل هذا يفسر لم احاطت الحركة الصهيونية ، والدولة الصهيونية من بعدها ، قصة ماساداه بهالات صوفية ، وحولتها الى اسطورة قومية محورية . وقد نظمت اسرائيل حملات دعائية ضخمة حول عملية الكشف عن القلعة ، التي قادها رئيس اركان الجيش الاسرائيلي ، الجنرال يادين ، وشارك فيها الجيش بامكانيات واسعة ، في الفترة من سنة ١٩٦٢ حتى ١٩٦٥ . وتقوم اجهزة الاعلام الاسرائيلي بمحاصرة العقلية الاسرائيلية واليهودية باسطورة ماساداه . ففي كل عام تقيم بعض اسلحة الجيش الاسرائيلي احتفالات ترديد يمين الولاء على قمة القلعة ، ويقسمون في نهايته بأن « الماساداه لن تسقط ثانية » . ويتم تنظيم رحلات لافواج من السياح اليهود وطلبة المدارس الاسرائيلية للحج الى القلعة ، كما تحرص اسرائيل على ان تدرج زياراتها ضمن برنامج كل زعيم سياسي اجنبي يذهب الى اسرائيل ، بل اعلنت اسرائيل عام ١٩٦٩ عن « دفن المنتحرين » . ولعل استحالة المثل الاعلى الصهيوني ، وتجريديته المتطرفة ، لا يمكنها ان تترجم عن نفسها الا في اسطورة ماساداه ، حيث يقف اليهودي الخالص ضد الاغيار الذئاب ويحاول تدمير نفسه ، وياحبذا لو دمر الآخرين ايضا ، فاسطورة شمشون عادة ما تضاف ملحقا لاسطورة ماساداه . !!

ما العمل ؟ :

ولكن ليس هناك ما يبرر تقبل المثل الأعلى المستحيل ، فالطريق لا يؤدي بالضرورة الى صخرة ماساداه الدموية الرهيبة الوهمية ،

والاساطير المغلقة التي تشبه الجيتو ، من بعض الوجوه ، والتي تتسم بالاتساق الهندسي ، هي ، في اغلبها ، اكاذيب براقة رنانة ، مثل اسطورة ارض بلا شعب لشعب بلا ارض . لكل هذا لابد من البحث عن حلول عقلانية انسانية . وغني عن الذكر اننا لن نقدم في ختام هذه الدراسة حلا تفصيليا لمشكلة الصراع العربي الاسرائيلي ، او للمشاكل الناجمة عنه ، فمثل هذا الحل يقع خارج نطاق مثل هذه الدراسة ، وانما سنقترح اطارا يمكن ان يهتدي به من يريد . وفي تصوري ان ثمة مجالاً للحركة وللخروج ، وثمة امكان لاحلال مثل اعلى متفتح محل الاسطورة المغلقة . ومثل هذا المثل الاعلى مطروح منذ امد طويل ، ويجب الا نمل من تكراره حتى ولوقبل الحكام العرب غير ذلك : الدولة العلمانية الحديثة ، التي تضم الفلسطينيين والاسرائيليين ، وضمان الحقوق المدنية والسياسية الكاملة لكل الاقليات (بما في ذلك اليهود) في كل انحاء العالم . هذا الحل الانساني المعقول ، يتوجه لكل عناصر المشكلة الحقيقية ، ويستبعد كل العناصر الوهمية ، فهو يتوجه الى العنصر الفلسطيني الاصيل ، والى العنصر الاسرائيلي الدخيل ، ويحاول ان يجد اطارا يعبر كل فريق من خلاله عن شخصيته المستقلة ، دون ان يتجنى على حقوق الآخرين . وهو يستبعد العناصر الوهمية مثل الادعاء القائل بأن اليهود يكونون شعبا واحدا ، وان اليهود السفارد والاشكناز ، واليهود الاصلاحيين والارثوذكس والمحافظين ، واليهود المتدينين والملحدين ، والذين يتحدثون اليديشية والعبرية والعربية والانجليزية واللادينو والفرنسية والصينية والالمانية والروسية ، ويهود الفلاشه السود في الحبشة وجماعة بني اسرائيل في الهند ،

واليهود الشقر في الغرب والسمر في الشرق كل هؤلاء يكونون شعبا واحدا . وهو يستبعد ايضا « الحقوق » المقدسة والمطلقة « وحق » يهود نيويورك او يهود بيرو اوجبال الملايا ان يهاجروا الى ارض الميعاد (فلسطين العربية) في اي وقت يشاءون ، كما يستبعد « حق » اسرائيل في ان تستولي على الارض العربية لتوطينهم فيها . ولكن الحل المطروح مع هذا ، او بسبب هذا يؤكد حق كل يهودي ان يحصل على حقوقه المدنية والسياسية كاملة في وطنه .

داخل هذا الاطار يصبح على العرب ان يتعاملوا مع مشكلة ذات ابعاد محدودة ، هى المسألة الاسرائيلية ، مسألة الثلاثة الملايين ، المواطن الاسرائيلي ، الذين يتحدثون العبرية ، والذين لا يعرفون لهم وطنا اخر ، والذين من حقهم ان يحتفظوا بهويتهم الحضارية المستقلة ، وهى مسألة ليست مستعصية على الحل ، على الرغم من كل المصاعب التي قد تواجهنا . فالعالم العربي يضم اغلبية عربية ، تتحدث العربية ، ولكنه يضم ايضا عشرات الجماعات الاخرى التي لها هويات وحضارات مختلفة ، لا يحاول العالم العربي ابتلاعها او تدميرها ، طالما انها لا تتعدى على حقوق الاغلبية ، وطالما انها لا تمثل خطرا على فكرة توحيد العالم العربي .

ولكن لا يمكن ان يتحقق هذا الحل الانساني الا عن طريق العرب وحدهم ، فهم وحدهم العنصر الحر الذي يمتلك حدا معقولا من حرية الحركة والارادة . وانا من المؤمنين بأن التناقضات الداخلية في المجتمع الاسرائيلي ، مهما بلغت من حدة ، فلن يمكنها احداث التغيير في الاتجاه المطلوب ، لان البنية الصهيونية للمجتمع

الاسرائيلي كفيلة باحباط كل امكانيات الرفض الحقيقية .

ولعل الصيغة المثلى لتحقيق هذا الحل هو ما سميته من قبل « بالحوار المسلح » اي ان يحاول العرب الكشف عن العناصر العقلانية الثورية داخل المجتمع الاسرائيلي ، وفي صفوف يهود الشتات ، وان نحاورها ونشجعها ونتبناها . ولكن الحوار وحده ، ان لم تسانده القوة العربية الضاغطة ، وان لم يسانده الكفاح المسلح ، فلن يجدي فتيلا ، حتى ولو كان مع اعقل العقلاء من الاسرائيليين واكثرهم حكمة وثورية ، فمثل هذا الحوار المجرد سيكون بمثابة دليل تستخدمه السلطة الصهيونية الحاكمة ، لتبين مدى ضعف العرب وتخاذلهم امام زحف المطلق الصهيوني المسلح . والحوار المقترح ليس دعوة للصلح مع الصهيونية ، فأنا من المؤمنين بأنه لاسلام ولا صلح ولا حوار مع الايديولوجية الصهيونية او مع ممثليها داخل اسرائيل او خارجها ، فمثاليتها وديناميتها ومؤسساتها مبنية على الحد الاقصى من العنف الفكري والعقلي . وانما هى دعوة للحوار تقع خارج نطاق الرؤية الصهيونية كلية ، وتنطلق من رفض لكل مقوماتها ونتائجها . كما ان هذه الدعوة للحوار ، ليست دعوة للسلام المبني على الاستسلام والتنازل ، وهوسلام على اية حال لم يؤد الى شيء ، الا الى احتلال لُبنان وذبح الفلسطينيين في بيروت ، بل هى دعوة لان يقوم الانسان العربي بدوره التاريخي ، كي يحرر ارضه ، ويحرر نفسه من الهجمة العنصرية ، الامبريالية / الصهيونية ، وهو ان حرر نفسه وارضه فسوف يحرر ايضا الاسرائيليين ويهود العالم من هيمنة ايديولوجية غيبية عنصرية .

* * * *

ملحق
في المنهج

في علم اجتماع المعرفة

هذه الدراسة يمكن تصنيفها على أنها دراسة تطبيقية في علم اجتماع المعرفة ، وهو علم لا تزال حدوده آخذة في التبلور . ويعتبر كارل ماركس ، من بعض الوجوه ، هو مؤسس هذا العلم ، حينما طرح رؤيته الخاصة بعلاقة الأفكار (أو البناء الفوقي) بعلاقات الانتاج (أو البناء التحتي) ، وقد ساهم ماكس فيبر ، من خلال دراسته في علم اجتماع الدين ، في هذا المجال ، حيث بين علاقة البروتستانتية بالرأسمالية ، وعلاقة الكونفوشية بطبقة المتعلمين البيروقراطيين في الصين القديمة . وحاول دوركهايم وشيلر ومانهايم وسوروكين وجورفيتش[١] توسيع حدود هذا العلم واعطاءه شكلا محددا . وقد عرّفه عاطف غيث بأنه العلم الذي يهتم بالعلاقة بين أنساق الفكر والوقائع الاجتماعية [٢] . أما الطاهر لبيب فقد عرّفه بأنه تحليل لطبيعة العلاقة الموجودة بين أنماط الانتاج الفكري ومعطيات البيئة الاجتماعية ، وتحديد وظائف هذا الانتاج في المجتمعات ذات التركيب التنضيدي Stratification أو الطبقي [٣] وقد عرفه كاتب مدخل « علم اجتماع المعرفة » في معجم **فونتانا للفكر الحديث** « بأنه دراسة علاقة أساليب التعبير وأشكال الأفكار بالسياقات الاجتماعية المختلفة »[٤] .

وقد حاول بيتر برجر وتوماس لكمان ، في كتابهما **التكوين الاجتماعي للواقع** تقديم ما تصوراه تعريفا جديدا لعلم اجتماع المعرفة ؛ فبينا أن مفهوم « المعرفة » و« الواقع » مفهومان نسبيان من الناحية الاجتماعية . فمعرفة المجرم تختلف عن معرفة عالم الجريمة ، ومعرفة الراهب في الصين وما يشكل واقعه يختلفان عن معرفة سائق القطار وواقعه في انجلترا ، وبالتالي فان كل معرفة مرتبطة بسياقها

الاجتماعي المختلف ، ويرى برجر ولكمان أن علم اجتماع المعرفة يمكن تعريفه من خلال تحديد مجاله وأهدافه :

١ ـ فهو علم لا يدرس « الأفكار » بالمعنى التقليدي ، وإنما يدرس أيضا كل الظواهر التي تندرج تحت اصطلاح « معرفة » ، بغض النظر عن مدى صدقها أو كذبها ، أو مدى تماثلها او عدم تماثلها مع الواقع . ولذا فهو يتعامل مع أفكار رجل الشارع ، كما يتعامل مع « معرفة » الساحر في المجتمع البدائي .

٢ ـ وعلم اجتماع المعرفة لا يدرس الأفكار بالمعنى الخاص ، ولا المعرفة بالمعنى العام الشامل فحسب وانما يدرس ، كذلك ، العملية الاجتماعية التي تؤدي إلى ظهور كم من المعرفة يقبل على أنه الواقع . إن علم اجتماع المعرفة يدرس كيف تصبح الفكرة الذاتية (الفردية) معرفة اجتماعية ، ثم واقعا اجتماعيا (٥) .

وكل التعريفات السابقة تفترض وجود علاقة بين طرفين ، الطرف الأول هو عالم المنتجات الفكرية (أيديولوجيات ـ فلسفات ـ قصائد ـ معمار ـ نظريات علمية) ، والثاني هو الواقع الاجتماعي والتاريخي . وهي ترى أن مهمة هذا العلم هي دراسة العلاقة بين الطرفين ، ولعل الاختلاف بين تعريف غيث ومعجم فونتانا ، من جهة ، وتعريف لبيب من جهة أخرى ، هو ، في نهاية الأمر ، اختلاف في مدى الاهتمام بتفاصيل الحياة الاجتماعية ، في مقابل الاهتمام بتفاصيل الحياة الفكرية ، وهو أيضا اختلاف على تحديد مدى « استقلالية » الفكر عن الواقع ، أو الواقع عن الفكر ، ومدى ارتباطهما .

وقد قام إلزورث فورمان ، في كتابه علم اجتماع المعرفة في الولايات المتحدة ١٨٨٣ ـ ١٩١٥ ، بتحديد موقعين (يطلق

عليهما هو اصطلاح « موضوعتين ») في علم اجتماع المعرفة ، هما : الموقف النقدي / الانعتاقي (ماركس ولوكاش وماركوزوهابرماس) ، والموقف الاجتماعي/ التكنولوجي (كونت دوركهايم وجورفيتش) . (ويبدو أن هذا التمييز يحتوي على أصداء من تمييز مانهايم بين الأيديولوجية واليوتوبيا) . ويتفق الموقفان على الخطوط العريضة التي تحدد مجال علم اجتماع المعرفة :

١ ـ ان ثمة علاقة بين المعرفة وأساسها الاجتماعي (فالمعرفة لا تهبط علينا من السماء) .

٢ ـ من المفيد دراسة هذه العلاقة .

٣ ـ حينما يدرس الفلاسفة أصل المعرفة ، فانهم يدرسونها بشكل مجرد ، وهذا يختلف عن موقف عالم اجتماع المعرفة .

ولكن الموقفين يختلفان بعد ذلك في النقاط التالية :

١ ـ يرى الفريق النقدي أن الأساس الاجتماعي للمعرفة هو الطبقات والفئات صاحبة المصالح ، بينما يرى الفريق الثاني أن هذا الاساس هو الحضارة أو الجماعة بوصفها كلا .

٢ ـ ولذا ، فبينما يقوم الفريق الأول بالتركيز على تحليل الأيديولوجية السائدة في المجتمع ، يركز الفريق الثاني على تحليل المشاعر الجماعية ، مثل موقف الرجل العادي ، والأنماط العقلية الجماعية ، وطريقة التفكير البدائي .

٣ ـ من هذا المنظور يرى أعضاء الفريق الأول أن مهمة العلوم الاجتماعية هي كشف القوى الاجتماعية المستغلة ، عن طريق إظهار القوانين التي تتحكم في التاريخ ، حتى تساهم في تغيير

المجتمع ، بينما يرى أعضاء الفريق الثاني أن مهمة العلوم الاجتماعية هي تراكم المعرفة حتى يتسنى إظهار الأنماط المتكررة في المجتمع ، وحتى يتم الحفاظ على اتزان المجتمع وثباته .

٤ ـ ويصبح دور العالم الاجتماعي ، من وجهة نظر الفريق الأول ، هو أن يكون ناقدا ثوريا عقلانيا ، يعمق من وعي الجماهير ، ويقوم بتحليل اشكال القمع المتعينة ، في ضوء صياغاته النظرية المثالية (الثورية) . أما دوره ، من وجهة نظر الفريق الثاني فهو أن يكون الخبير أو المستشار المحترف ، الذي يأخذ رأي غيره من الخبراء ، ويكتشف الأنماط المتكررة في السلوك الانساني .

٥ ـ والصورة الأساسية للمجتمع ، من وجهة نظر الفريق الأول ، هي صورة الصراع.فالمجتمع ليست له أولوية على الفرد والسلطة ، والترتيب الهرمي ، وعدم المساواة ليست ضرورية للتطور الانساني ، والتغيير الجذري مسألة ممكنة ، والانسان كائن خلاق ليست له دوافع ثابتة ، ولذا فهو قادر على إحداث تغييرات عميقة . أما بالنسبة للفريق الثاني ، فالصورة الأساسية هي صور النظام ، فالمجتمع له أولوية منطقية وتاريخية وأخلاقية على الفرد ، وعدم المساواة ضرورية للحفاظ على نظام المجتمع واستقراره ، والتغيير البطيء « العضوي » هو وحده الممكن ، فالانسان كائن له دوافع أو أهواء أساسية يجب التحكم فيها ، وهو كائن لا يعيش سوى داخل التقاليد ، ولذا فهو غير قادر على إحداث أية تغييرات جذرية (٦) .

وتوجه الاعتراضات التالية لعلم اجتماع المعرفة :

١ ـ إنه لا يعطى أهمية كافية لمضمون التفكير ومدى صدق مقولة ما أو كذبها .

٢ ـ إن البناء الحضاري الفوقي ، بعد أن يظهر للوجود ، تصبح له حياته الخاصة ، ويتحول إلى جزء من تراث حضاري دائم .

٣ ـ إن منتجات الانسان الحضارية والفكرية والجمالية متعددة المستويات ، ولذا فعلم اجتماع المعرفة هو علم تبسيطي . لأنه يرد هذه المنتجات إلى وضع سياسي محدد ، كأن يربط بين المادية والراديكالية ، والمثالية والمحافظة ، أو أن يطلق اصطلاح « بورجوازي » على أعمال فلوبير وزولا وجويس وبروست .

٤ ـ إن الأشكال الفنية قد تنمو من داخلها ، محكومة بمنطقها الداخلي الخاص ، وهي تعد انعكاسا للأشكال الفنية التي سبقتها ، بالضرورة وامتداداً لها(٧) .

بعد هذا العرض القصير ـ المبتسر ـ لبعض التعريفات والتيارات في علم اجتماع المعرفة ، والاعتراضات الموجهة ضده ، قد يكون من المفيد أن نبين بعض منطلقاتنا الخاصة بهذا العلم في هذه الدراسة ، وابتداء يمكن أن نقرر أن الاعتراضات الموجهة لهذا العلم ، برغم وجاهة بعضها ، ليست حتمية بالضرورة ، ولعل ما يتصوره البعض نقطة قصور يصبح ، هو ذاته ، موطن قوة ، إذا ما اختلف المستوى التحليلي . ولنأخذ على سبيل المثال ، الاعتراض الاول ـ وهو أن علم اجتماع المعرفة يحاول ألا يحكم على مدى صدق مقولة ما أو كذبها ، كما أنه لا يعطي أهمية كافية للمضمون ـ ولو سقط علم من العلوم الانسانية فعلا في النسبية المحضة ، ولم يساعدنا على « الحكم » (حتى تتحول المعرفة إلى فعل فاضل) فانه يتحول إلى تجربة جمالية او تمرين ذهني ولكن العلم الذي يقفز إلى الحكم دون تفهم للمنطق الداخلي للأحداث هو علم تجريدي ينحو نحو الاطلاق ، وبالتالي يفقد صفة العلم. ولذا لا بد أن يحاول عالم اجتماع المعرفة أن يفهم منطق

النسق الفكري الداخلي ، بوصفه كيانا متكاملا مكثفا بذاتـه ، حتى يفهم قوانينه الداخلية . وقد حاولنـا أن نفعـل ذلك حينما حاولنا دراسة منطق الأسطورة أو الأيديولـوجية الصـهيونية من الداخـل ، وأن نحـدد قانونهـا الأسـاسي، وقـد اسقطنـا أهمية « المضامـين » الفـكرية والأيديولـوجية والـدينية المختلفـة التـي تستوعبها وتتبناها الأيديولوجية الصهيونية . ولكن محاولة الفهم من الداخل لم تكن نهاية في حد ذاتها ، وإنما هي وسيلة لمعرفة الملامح الخاصة للنسق ، حتى يمكننـا مراقبتـه في احتـكاكه مع الواقع ، وحتى يمكن ان نتنبأ . بالتوترات التي ستنشأ داخله ، والصراعات التي ستنشأ بينه وبين الواقع الذي سيحتك به .

أما القول بأن البناء الحضاري الفوقي قد تصبح له حياته الخاصة ، ويتحول إلى جزء من تراث حضاري دائم ، فهو أمر مقبول أيضا ، ولكن حتى عناصر التـراث الحضـاري ، « الدائمـة الثابتـة » حينما تتواجد داخل نسق فكري ما فانها تكتسب أبعادا جديدة ، لا يمكن فهمها إلا في ضوء الواقع الاجتماعي لهذا النسق . وفي دراستنا لمفهوم « صهيون » على سبيل المثـال ، بينـا أن « حـب صهيون » جزء من تجربة انسان دينية ، وأن فكرة « المكان المقـدس » تكاد تكون فكرة إنسانية عالمية ، وأنها تشكل جزءا من التراث الديني اليهودي ، وهو تراث لا ترتبط أشكاله بالضرورة الآن بواقع اجتماعي محدد ، إذ يؤمن بهذا التراث اليهود الأمريكيون الذين يعيشون في الولايات المتحدة في القرن العشرين ، وكذا يهود اليمن في العصور الوسطى ، ويشاركهم المسلمون والمسيحيون في التعلـق بأماكنهـم المقدسـة . ولـكن هذه الفكرة أو الصورة الـدينية اكتسبـت أبعـادا جديدة كلية في النسـق الفكري اليهودي الاندماجي (إذ أصبحت مجرد تعبير عن الرغبة في التسامـي الدينـي ، وبـذا أصبحـت قريبـة للغـاية من التصـور الاسلامي) ، أما في النسق الفكري الصهيوني فقد أصبحت مكانا

تخـرج منـه الجيوش المسلحـة . وبالتـالي فالقـول بوجـود الاشكال الحضارية « الدائمة »، التي لها حياتها الخاصة ، لا ينفي ، بالضـرورة ، أنها تكتسـب حياة وأبعـادا سياسية واجتماعية تختلف باختلاف النسـق الـذي تتواجـد داخلـه . ويمكن الـرد على كافـة الاعتراضات الأخرى بالطريقة نفسهـا ، أعنـي أن نقطـة القصـور يمكن ان تصبـح نقطـة قوة (والعكس صحيح بحسـب المستـوى التحليلي وبحسب السياق ، فالخاص لا ينفي العام ، والدائم لا ينفي المتغير ، والداخلي لا ينفي الخارجي . فظاهرة ما قد يكون لها منطقها الخاص والداخلي ، ووجودها الذي يتخطى تتابع المراحل التـاريخية والنظم الاجتماعية (مثل اللغة) ، ولكنها يمكنها أن تخضع ، أيضا ، وفي ذات الوقت ، للمنطق الاجتماعي العام الذي يسود مجتمعا ما .

ولعل موقفنا من الاعتراضات الموجهة لعلم اجتماع المعرفة هو موقفنا نفسه من محاولة تصنيف التيارات المختلفة الموجـودة في علـم اجتماع المعرفة إلى تيارين أو موقفين ،(موقف « نقـدي انعتاقـي » ، وآخـر « اجتماعي تكنولوجي ») إذ إنني أجد انه من الممكن تبني الموقفين أو المنهجين حتى يكمل الواحد منهما الآخر ، وهذا ـ في تصوري ـ ما حاولت تطبيقه في هذه الدراسة . فقد اتبعـت المنهـج « الاجتماعـي التكنولوجي » في « المرحلة الاولى » ثم المنهج « النقدي / الانعتاقي » في « المرحلة الثانية » . فنحن لم نستبعد دراسة الأنماط المتكـررة في السلوك الانسانـي ، وإن كنـا حاولنـا ، أيضـا ، كشف القـوى الاجتماعية المستغلة . وإذا كنا قد افترضنا أن الانسان كائن خلاق ، قادر على إحداث تغييرات عميقة (ومن هنا إيماننا بمقـدرة الانسـان العربي والانسان اليهودي على الانعتاق) ، فاننا أيضـا لم نستبعـد امكان أن يجد الانسان نفسـه في موقف تصبـح فيه للقيم الاجتماعية الأولوية على الفرد ، ويصبح النسق هو المهيمن (كما هو الحال مع الانسان الاسرائيلي) . وبالتالي فنحن قد تبنينا صورتين متناقضتـين

للمجتمع : صورة المجتمع ككيان عضوي متماسك يكاد يكون ساكنا (الأيديولوجية الصهيونية والمجتمع الصهيوني من الداخل) ، ولكننا ، أيضا ، أكملناها بصورة جدلية مبنية على الصراع (الانسان العربي الذي يحارب ضد هذا المجتمع من الخارج ، يقرع الأبواب ليزعزع الفكرة والمجتمع الصهيوني) . ومرة أخرى إذا كان المنطق الخاص لا يجبّ المنطق العام ولا يستبعده ، فالتوازن الداخلي للنسق الفكري الاجتماعي لا ينفي وجود الصراع الخارجي والداخلي والجدل . وعلى عالم اجتماع المعرفة إذن أن يكون الخبير أو المستشار المحترف الذي يحاول اكتشاف الأنماط المتكررة في السلوك الانساني ، وأن يكون أيضا ، الناقد الثوري العقلاني الذي يعمق من وعي الجماهير .

في الأيديولوجية :

وهذه الدراسة هي دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة ، والحالة التي درسناها هي « الأيديولوجية الصهيونية » . وقد وصف أحد علماء الاجتماع مفهوم الأيديولوجية بأنه ، في واقع الأمر ، مجموعة أو عائلة من المفاهيم ، كما وصفه عبدالله العروي بأنه « مشكل » « وغير بريء » وقد يصلح أداة للتحليل ، ولكن بعد « عملية فرز وتجريد »[٨] . ولن نحاول القيام بهذه العملية في هذا الملحق ، وإنما سنعرض لبعض التعريفات حتى نصل الى التعريف الملائم لهذا البحث ، وتعريفات الأيديولوجية تصل ، أحيانا ، إلى درجة عالية من العمومية فقد عرفت على انها « نسق من الأفكار عن العالم الاجتماعي تضرب بجذور عميقة في مجموعة محدودة من القيم والمصالح »[٩] وهذا التعريف لا يختلف عن تعريف ستارك ، الذي يرى أن كل أشكال الفكر تضرب بجذورها في المجتمع ، ولكن الأيديولوجية لا تضرب بجذورها في الواقع الاجتماعي فحسب ، وإنما في تطلعات الأفراد .[١٠] .

اما د. / عاطف غيث في قاموس علم الاجتماع فيرى أن ثمة معنى حياديا للمصطلح ، هو كما يلي : « الأيديولوجية نسق من المعتقدات والمفاهيم (واقعية ومعيارية) يسعى إلى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة من خلال منطق يوجه ويبسط الاختيارات السياسية / الاجتماعية للأفراد والجماعات » . ثم يورد معنى آخر (لا يذكر د. غيث هل هو معنى حيادي أم لا ؟) : « هي نظام الأفكار المتداخلة (كالمعتقدات والتقاليد والمبادىء والاساطير) التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما ، وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية والنظامية ، وتبررها في نفس الوقت » . ثم يطرح ما يسمى بالاستخدام الفني الذي « يميل إلى عد الأيديولوجية » محصلة عدة عناصر ، فهي لا تدل فقط على المعتقدات التي توجد لدى الناس فقط ، أو نسق القيم ، أو محصلة الأهداف والمعايير وإنما تتضمن كل هذه الجوانب مجتمعة ، بالاضافة إلى نظرة الانسان للأشياء المحيطة به ، والتصور الذي يطوره عن العالم ، وهي في الوقت نفسه ، تشير إلى مجموعة الخبرات والأفكار والآراء ، التي يستند إليها في تقويمه للظواهر المحيطة به . (ثم أورد بعد ذلك معالجة كارل مانهايم للموضوع وبعض استخدامات علماء الاجتماع السياسي لمصطلح الأيديولوجية السياسية)(١١) .

ويلخص عبدالله العروي القضية على النحو التالي :

١ ـ يستعمل المفهوم في ميدان المناظرة السياسية حينما نقول : إن الحزب الفلاني يحمل أيديولوجية ، أي مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي ينوى تحقيقها على المدى القريب والبعيد (الأيديولوجية / قناع) .

٢ ـ يستعمل المفهوم في وصف رؤ ية المجتمع (في اجتماعيات الثقافة)

في دور من أدواره التاريخية حين نقول : « أيديولوجية عصر النهضة - أي نظرة رجال ذلك العصر للكون والمجتمع والفرد « أو » الأفق الذهني الذي كان يحد إنسان ذلك العصر (الايديولوجية / رؤ ية كونية) .

٣ - يستعمل المفهوم في نظرية المعرفة ونظرية الكائن (كائن الانسان المتعامل مع محيطه الطبيعي) ، والسؤال الذي يطرح في هذا المجال هو لم لا يرى الانسان الأشياء كما هي ، بل يراها طبقا لتصوراته ودعواه وموقعه ؟

٤ - أما المجال الرابع فهو مشترك بين المجالات الثلاثة الأخرى ، وهو حينما تدرس تأثير أيديولوجية على الفكر أو الحدود الموضوعية التي ترسم أفق ذلك الفكر (ونحن هنا نعارض الفكر الأيديولوجي بالفكر الموضوعي أو العلمي) (١٢) .

ولعل السمة الأساسية المشتركة بين كل التعريفات هي أن كل التصورات المطروحة ترى أن ثمة علاقة مركبة بين الأيديولوجية والواقع ، فهي لا تعكسه فحسب ، بل تحاول تسويغه أيضا ، والواقع ليس مجرد واقع اجتماعي مادى ، وإنما هو واقع اجتماعي نفسي روحي ، بل إنه ليس مجرد واقع فحسب ، وإنما هو ايضا تطلعات وآمال . ولعل هذا يفسر ظاهرة اعوجاج الفكر الايديولوجي .

وقد حاول مؤلف مدخل « الأيديولوجية » في موسوعة « **معجم تاريخ الأفكار** أن يصل إلى تعريف متكامل ، من خلال عرض كافة النتائج التي وصلت إليها معظم المناهج المعروفة . فالتفسير المعرفي للأيديولوجية (المرتبط بعصر التنوير والعقلانية) يستند إلى نظرية حسية في المعرفة ، وإلى الايمان بامكان تحديد مدى صدق أو كذب الأفكار بالرجوع إلى عالم الحواس الخمسة ، فان تطابقت الأفكار مع هذا الواقع ، فهي صادقة ، وإن لم تطابقه فهي زائفة . أما

التفسير الاجتماعي فيرى أن الايديولوجية نسق من الأفكار التي تتشكل من خلال الواقع الاجتماعي ، وأنها ليست بالضرورة حقيقية بالضرورة ، ولكنها ، مع هذا ، قادرة على إشاعة التضامن الاجتماعي وعلى تجنيد الجماهير وتحريكها ، وعلى الضبط الاجتماعي . والأيديولوجية قد تبرر (أو تفند) مجموعة من الأهداف والقيم ، وأن تضفي شرعية (أو تكشف) سلطة سياسية ، أي أنها قناع وسلاح معا .

أما التفسير النفسي فيرى أن وظيفة الأيديولوجية هي تهدئة التوترات النفسية عن طريق طرح رؤ ية تعطي تفسيرا جديدا يجعل من الممكن تقبل الموقف (الاجتماعي أو التاريخي) المسبب للقلق والتوتر ، أي أن الأيديولوجية عرض وعلاج .

أما كليفورد جيرتز (وهو ممثل التصور الحضاري / الاجتماعي للأيديولوجية) فيرى إن التصورين الاجتماعي والنفسي ، قاصران ، ويرى أن الأيديولوجية تستمد قوتها من مقدرتها على الاحاطة بالحقائق الاجتماعية ، وعلى صياغتها صياغة جديدة ، والتعبير عنها بلغة تستعصي على لغة العلم ، وأنها تقوم بدور الوسيط لمعان أكثر تركيبا مما قد يوحي به معناها الحرفي . وهي تستطيع القيام بدور الوسيط ، لأنها نسق رمزي يستخدم نموذجا لأنساق أخرى (رمزية وعضوية واجتماعية ونفسية) . والنسق الرمزي يمكن إدراكه ادراكا مباشرا ، وعن طريقه يمكن إدراك الأنساق الأخرى ، وبذا تكون عملية الادراك هي نتاج تماثل الأنساق الرمزية المختلطة بالأنساق الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية .

فالأيديولوجية ليست علامة تلصق على الاشياء والظواهر وإنما هي استعارة أساسا ، والاستعارة ليست صادقة أو كاذبة ، وانما هي محاولة

للتعبير عن الواقع ، قد تفلح ، وقد تخيب ، والاستعارة ـ من منظور حرفي ـ قد تخطىء الواقع وتشوهه ولكنه تشويه يعكس حقائق معينة (ويطمس حقائق أخرى) ؛ وبالتالي يوصل « رسالة » محددة للمؤمنين بها . وبهذا المعنى يمكن النظر إلى الأيديولوجية الاستعارة على أنها صورة مرتبة للنظام الاجتماعي (القائم أو المرغوب فيه) ، عن طريقها يصبح الانسان حيوانا سياسيا ، إنها تشبه الخريطة التي تحول العالم الواقعي إلى أماكن تربطها طرق لها أسماء وأرقام . إنها الصورة المحورية أو الاستعارة الأساسية التي يمكن عن طريقها إدراك الواقع السياسي بحيث يصبح كلا متكاملا"[١٣] .

لكل هذا يمكن القول إن الأيديولوجية لا تضم عنصرا وتستبعد آخر ، ولكنها تضم كل العناصر (السياسية والحضارية والنفسية والاجتماعية) في نسق متكامل يماثل الواقع (الحقيقي والنفس) الذي تدعو له الأيديولوجية . ومن هذا المنظور يصبح السؤال التقليدي عن مدى مطابقة الأيديولوجية للواقع سؤالا تختلف الاجابة عنه باختلاف الأيديولوجية التي هي موضوع البحث ، ويصبح السؤال هو عن مدى فعالية الأيديولوجية في رسم صورة للواقع الاجتماعي وتقديم خريطة له ومحورا لخلق الوعي الجمعي .

بعد هذا العرض يصل شريف الى تعريفه المركب (المتأثر بموقف جيرتز) ، وهو أن الأيديولوجية نسق من الأفكار والقيم ، مثقل بالمشاعر ، مشبع بالاساطير ، مرتبط بالممارسة ، يتناول الانسان والمجتمع ، والشرعية والسلطة ، ويتبنى الانسان هذا النسق بشكل روتيني ، ويتأكد ويتوطد بحكم العادة . ويتم نقل هذه الأساطير والقيم ، بطريقة مبسطة وكفأة ، من خلال الرمز والصور ، والاعتقادات الأيديولوجية المتماسكة مع نفسها إلى حد ما ، وتتسم بدرجة من الوضوح كما أنها متفتحة على الأمثلة والمعلومات الجديدة

، والايديولـوجيات عندهـا إمـكانية كبـيرة في تجنيد الجماهـير وتسييرها(١٤) .

ويقسم العروي الكتاب الذين يستخدمون مفهوم الأيديولـوجية الى ثلاثـة اقسـام : موقف من يضـع فكره خارج نطـاق المفهـوم ، وموقف من يقبل المفهوم ، أما الفريق الثالث فهو يستعمل المفهوم أداة تحليلية ، مجردا من أي اختيار فلسفي . وكاتـب هذه الدراسـة يعتقد انه من هذا الفريق الثالث ، فعلى الرغم من أنني قد تبنيت ـ في الدراسة ذاتها ـ موقفا فلسفيا وسيا سيا محـددا ، فاننـي حاولـت ان اكون « وفيا لمنهج المادة التي أبحث فيهـا »(١٥) . ولـذا استخدمـت المفهوم المركب للأيديولوجية ، الذي ينطـوي على مفـاهيم فلسـفية مختلفة ، وبالتالي يصبح محايدا الى حد كبير ويصبح أداة تحليلية .

وقد أشرنـا من قبـل إلى رؤ ية العـروي للأيديولـوجية قناعـا ، ورؤ ية كونية ، وأداة ، لادراك الواقـع ، وإلى معارضـة الفـكر الأيديولوجي بالفكر العلمي . وقد استخلص العـروي أنـه يوجـد مستويان : مستوى الأيديولوجية الذي نظن فيه أنها مطابقة للواقع ، ويستلزم هذا المستوى من الباحث أن يتوخى الدقة في وصف السمات الأساسية للأيديولوجية ، بمـا في ذلك ادعاءاتهـا عن نفسهـا ، أمـا المستوى الثاني ، فهو الذي يقف عنده الباحـث عندمـا يحكم على الأيديولوجية أنها أيديولوجية لا تعكس الواقع على الوجه الصحيح . ويرى العروي ان الظاهرة النقدية هي التـي تميز الأيديولـوجية عن المفاهيم الأخرى (مثل فكرية ـ ذهنية ـ عقيدة ـ فلسفة)(١٦) . هذان المستويان ـ في تصوري ـ يقابلان المستويين ، أو الموقفين الاجتماعي / التكنولوجي ، والنقدي / الانعتاقي .

ونحن نحـاول ـ في هذه الدراسـة ـ أن ننظـر إلى الأيديولـوجية الصهيونية على المستويين اللذين أشار اليهما العروي ، فننظر إليهـا

لنصفها ، ولنـدرك منطقهـا الـداخلي ، بغض النظـر عن مطابقتهـا للواقع . كما أننا ننظر إليها على أنها برنامج سياسي تبشيري ، يحاول أن يغير الواقع لحساب رؤ ية جديدة ومصالح محددة . وقد حاولنـا كشف هذه المصالح عن طريق دراسة نشأة الفكرة الصهيونية ، كما أننا حاولنا أن نبين كيف تحولت هذه الفكرة نفسها إلى واقع ، سواء من خلال الدعم الأمبريالي أو من خلال الممارسـات الصـهيونية في فلسطين والغرب . إننـا ـ في دراستنـا للصـهيونية ـ حاولنـا فهمهـا بوصف سماتها ودراسة أصولها ، وحاولنا تفسيرها بوضعها في سياقها مع الظواهر المماثلة ، وحاولنا الحكم عليها أيضا بأن ندرس البدائل التاريخية المتاحـة ، وبالنظـر إلى نتائجهـا على الانسـان والأرض ، منطلقين من الاعتقاد بأن ثمة حدا ادنى من القيم متعارفا عليه بين البشر (على الرغم من نسـبية الأخـلاق ، وعلى الرغـم من تاريخية الوجود الانساني) .

وقد تبنينا تعريف شريف المركب كنقطة انطلاق ، لأنـه يشتمـل على كل العناصر النفسية والسياسية والاجتماعية والحضارية (الواعية وغير الواعية) ، ولكن هذا التعريف ، على الرغم من تركيبيته ، أو ربما بسببها ، قد لا يكون هو أحسن الأدوات التحليلية ، ولـذلك أكملناه ، بالمفهوم الماركسي للبناء الفوقي والبناء التحتي ، بعد تعديله وتحويره ليتخطى التبسيط والميكانيكية اللتين التصقتـا به ، ودون ان نتبنى الموقف الفلسفي التقليدي المرتبط بالمفهوم .

ونحن نرى أن النظريات التي تحاول تفسير الظاهرة الصـهيونية تفسيرا علميا (وليس غيبيا أو تآمريا أو أخلاقيا) لا تأخذ في الحسبان مشكلة الشكل الخاص والمتعين للظاهرة ، ولذا فهي تفشل في تفسير لمّ ترجمة مشاكل اليهود الاجتماعية / الاقتصادية نفسها إلى بنية تاريخية محددة ، تعرف باسم « المسألة اليهودية » وهي بنية تشترك ، في بعض

قسماتها وملامحها العامة ، مع البنيات المماثلة ، ولكنها تختلف عنها في الملامح الخاصة ، وفي الحلول المطروحة . وتفشل النظريات العلمية في تفسيرلم وطن الامبرياليون في فلسطين يهودا ، ولم يوطنوا أوروبيين مسيحيين كما فعلوا في الجزائر أو روديسيا ؟ أليست كلها مصالح امبريالية تخدم المخطط الامبريالي ! أو ليس المستوطنون هم مجرد « الفائض الانساني » ، الذي كان لا بد أن تصدره أوروبا الرأسمالية إلى الشرق ؟ إننا ، حينما نتحدث عن « فائض انساني » يجب الا نفرق بين يهودي ومسيحي !! كما أن هذه النظريات لا يمكنها أن تفسر تعيين البرنامج الصهيوني وخصوصيته ، فالاستعمار الصهيوني ليس استعمارا بالمعنى العام ، بل هو استعمار استيطاني ، كما أنه استعمار استيطاني يختلف عن الأنماط الاستيطانية التقليدية في أنه لا يهدف إلى الاستيطان فحسب ، بل يهدف إلى الإحلال أيضا . ويمكننا القول ـ بشيء من التبسيط ـ إنه ، بينما تدرس بعض النظريات البناء الفوقي اليهودي (التلمودي) منفصلا عن البناء التحتي ، وبذلك تضيع في أشكال هندسية متكررة منذ قديم الأزل ، تدرس النظريات العلمية البناء التحتي الأوروبي وتضيع بدورها في محتوى اقتصادي عام مجرد غير متعين ، أي أنهما يشتركان في سمة بنيوية واحدة : هي تجاهل علاقة البناء الفوقي بالبناء التحتي (أو علاقة الشكل بالمضمون أو الأفكار بالواقع) ـ وهي علاقة لا يمكن فهم الواقع فهما كاملا دون دراستها واستيعابها .

ولذا فدراسة الأشكال والبناء الفوقي مهمة في أهمية دراسة البناء التحتي وفي تصوري أن البناء الفوقي (منفصلا عن البناء التحتي) هو ، اساسا ، مجموعة من الامكانيات أو (السيناريوهات) الفكرية أو النظرية البريئة ، التي قد تكون متناقضة وداثرية ، ويمكننا أن ننظر إليها على أنها مجموعة من الرموز السالبة والموجبة التي تتواجد في

حالة اتزان كامل (هذه الحالة هي حالة سكون افتراضية محضة توجد خارج التاريخ) ، ولكن حينما تدخل هذه الدائرة المتزنة في علاقة مع الواقع الاجتماعي أو البناء التحتي فان دائريتها تنكسر ويتحدد اتجاهها ، إذ يقوم هذا الواقع بتنشيط متغير ما على حساب نقيضه ، أي أن الواقع يخل باتزان البناء الكلي المتعادل ، ويمكن ان نضرب بعض الامثلة على ذلك :

١ ـ وأول هذه الامثلة هو ظاهرة معاداة السامية . فمن المعروف أن صورة اليهودي القاتل الشرير ترسخت في الوجدان الأوروبي ، ولذلك فالجماهير المؤمنة في العصور الوسطى في اوروبا كانت تتربص دائما باليهود قتلة الرب (السالب) ، ولكن إلى جانب هذا يوجد الايمان بأنهم كانوا شعب الله ، وهم الذين أعطوا العالم المسيح نفسه ، بل إنهم ، بفقرهم وبؤسهم ، ليقومون شاهدا على عظمة الكنيسة ، ولذا يجب البر بهم (موجب) ، أي أن الاسطورة المسيحية كانت تتسم بالغموض والحياد ، لهذا ظلت العداوة ضد اليهود كامنة دائما ، طالما كانت الأقليات اليهودية تلعب دورا هاما وحيويا في نقل السلع الزائدة عن الحاجة ، وفي نقل السلع الاستهلاكية بين المجتمعات الزراعية ، وطالما كانت تزود هذه المجتمعات بنظام ائتماني عالمي يسهل التجارة . ولذلك فقد كان كثير من الملوك يستقدمون اليهود إلى ممالكهم ، ويدافعون عنهم دفاعا مستميتا ، بل ويقفون ضد « تنصيرهم » لأن في هذا تقليلا لدخل الملك ، واضعافا للنشاط التجاري . ولكن حينما كانت حركة البناء التحتي تتغير ، كأن تظهر طبقة رأسمالية محلية (مسيحية) ، كانت العداوة الكامنة (السالب) سرعان ما تنشط وتتحول من كره أو عدم اكتراث نحو أقلية دينية غريبة إلى محاولات لطرد اليهود أو دمجهم ، بوصفهم صورة الشر المتجسدة

(على مستوى البناء الفوقي) ، وأنهم طبقة منافسة للتجار الناشئين ، وطبقة مستغلة وطفيلية بالنسبة للفلاحين (على مستوى البناء التحتي) ،

٢ - ولنأخذ مثلا آخر أكثر تركيبا وطرافة ، وهو أسطورة الأحلام الألفية أو الاسترجاعية التي تربط بين الخلاص وعودة اليهود إلى أرض الميعاد وتنصيرهم . ويمكن تقسيم هذه الفكرة أو الأسطورة (البناء الفوقي) إلى أقسامها الأساسية :

أ - لابد من استرجاع اليهود قتلة المسيح (سالب)
ب - لتوطينهم في أرض الميعاد (موجب)
جـ - لتنصيرهم حتى يأتي الخلاص (سالب)

ويمكن تبسيط هذه الاسطورة الى عنصرين سالبين (تنصير قتلة المسيح) وعنصر موجب (عودتهم الى أرض الميعاد) . حينما دخلت هذه الأسطورة الدينية البريئة في علاقة مع البناء التحتي الرأسمالي التجاري ثم الامبريالي الغربي تغيرت هويتها ، إلى أن وصلنا إلى الصيغة الحالية ، وهي ضرورة توطين اليهود في أرض الميعاد ، ونسى تماما أنهم قتلة المسيح ، كما نسى أيضا ضرورة تنصيرهم . وقد نسيت هذه العناصر ، وتنوسيت ، لأنه ليس هناك ما يساندها في الواقع الاجتماعي . كما دخلت على الأسطورة عناصر جديدة ، فأرض الميعاد أصبحت أيضا موقعا استراتيجيا هاما ، وأصبح الصهاينة لا مجرد يهود ، وإنما هم أيضا جزء من الحضارة الغربية ، بل إن البعض بدأ يكتشف صلة قربى بين اللاهوت المسيحي والفكر الديني اليهودي ، أي أن الاسطورة المسيحية ، التي كانت تستخدم ضد اليهود وكانت تعد أساسا لمعاداة السامية ، تحولت إلى أسطورة دينية سياسية

تخدم مصالح الصهيونية (والامبريالية) نتيجة لدخولها في علاقة مع بناء تحتي محدد .

٣ ـ والامر لا يختلف كثيرا بالنسبة لعلاقة الصهيونية باليهود ، فالصهيونية لم يكن لها من أثر بين جماهير اليهود ، وإنما كانت مقصورة على الكتابات الدينية ، التي كانت تحرم حتى التفكير في العودة الفردية قبل مقدم الماشيح ، ولكن بدأت فكرة العودة الى صهيون تكتسب حياة جديدة في ثمانينات القرن التاسع عشر ، وهي الفترة التي ظهرت فيها قوانين مايو الشهيرة في روسيا ، وهي القوانين التي حرمت على اليهود الاتجار أو امتلاك أي شيء ، أو حتى السكنى خارج مناطق معينة حددها القانون ، فحولت ـ بهذا ـ اليهود إلى أقلية منبوذة اقتصاديا ، الأمر الذي وجدت الصهيونية معه صدى في قلوب بعض قطاعات اليهود وبخاصة مثقفي البورجوازية اليهودية الصغيرة ، الذين أضرت بهم هذه القوانين أيما ضرر ، وقضت على فرص الاندماج الحضاري والاقتصادي السريع أمامهم ، حينئذ عادوا مرة أخرى ، الى التلمود الذي كانوا يتناسونه ، وللتوراة التي كانوا قد توقفوا عن قراءتها ، وبدأوا في تعلم العبرية بدلا من الروسية .

هذا عن أثر البناء التحتي على البناء الفوقي ، ولكن اي علاقة جدلية هي في نهاية الامر علاقة تبادلية أيضا ، قد يكون التبادل بين الطرفين غير متساو (بل لا بد وأن يكون غير متساو ، وإلا انتفى الجدل) ولكن ، مع هذا ، لا بد أن يكون هناك تبادل . ونحن نرى أن الظواهر السابقة لم تكتسب بنيتها المتكاملة إلا من خلال البناء الفوقي أيضا ، بل إنه ليمكننا القول إن البناء التحتي بمفرده لا يمكنه التعبير عن نفسه في خواء فكري اوحضاري ، لكنه لا

بد ان يعبر عن نفسه من خلال بناء فوقي واشكال فكرية وحضارية متحدة ، والبناء التحتي دون البناء الفوقي قد يظل هو ، الآخر ، امكانية جامدة شبه محايدة ، فكلاهما ضروري ، ولكنه ليس كافيا .

ولننظر الى الأمثلة الثلاثة السابقة من منظور أثر البناء الفوقي على البناء التحتي :

١ ـ كان إحباط الجماهير المسيحية يعبر عن نفسه على هيئة محاولة الفتك باليهودي / التاجر ، بسبب الأشكال الحضارية التي نشأت فيها هذه الجماهير ، وبدون هذه الأشكال ما كان من الممكن أن توجد معاداة السامية ، فمعاداة السامية ليست محصلة الواقع الاقتصادي وحده ، إذ يمكن للاحباط ان يعبر عن نفسه بشكل آخر (الزار ، شنق الساحرات ، الزهد ، وربما الثورة ، في حالة اقتراب الوعي من الواقع) . ولهذا نجد أن البلاد الافريقية والآسيوية التي لا توجد فيها أساطير بخصوص اليهود ، لا يوجد فيها أثر لمعاداة السامية ، على الرغم من وجود جاليات يهودية في بعض منها . فالحقد الطبقي يعبر عن نفسه في أشكال اخرى ، كما انه في مصر ، رغم وجود أقلية يهودية كبيرة ذات طابع أجنبي ، لم يحدث أي هجوم على ـ اليهود كما هو معروف ـ بسبب نوعية الأفكار السائدة في المجتمع ، أي أن معاداة السامية هي نتاج الوضع الاقتصادي والشكل الحضاري .

٢ ـ ولنأخذ الأحلام الألفية الاسترجاعية مثلا آخر ، فعلى الرغم من أن اهتمام بلفور بفلسطين هو اهتمام سياسي اقتصادي بالشرق المتخلف الغني ، فان هذا الاهتمام العام ترجم نفسه إلى شكل خاص ، وهو وعد بلفور ، الذي منح اليهود ، اليهود دون

سواهم ، حق العودة . لقد كان من الممكن أن يتوجه بلفور إلى أي أقلية دينية أو عرقية أخرى ، ولكن وعد بلفور أخذ هذا الشكل الخاص بسبب وجود الأشكال أو المتغيرات الدينية الكامنة ، بشكل محايد ، في وجدانه ، أي أن وعد بلفور هو نتاج حركة الواقع الذي يكتسب شكلا متعينا ، ويتحول إلى حقيقة واقعة من خلال البناء الفوقي أو الأفكار .

٣ ـ ولننظر ، أخيرا إلى الحل الصهيوني ذاته . لم تكن الأقلية اليهودية في روسيا هي الوحيدة في معاناتها من الاضطهاد والاستغلال ، ولكن لم يفكر سوى بعض مثقفي اليهود في « الهجرة » إلى « أرض الميعاد » حلا للمسألة اليهودية ، وذلك بسبب تراثهم الديني ، أو البناء الفوقي ، الذي يتحركون في إطاره ، وهو تراث ديني يحتوي على كم هائل من التصورات الطوباوية الخاصة بالأرض والمنفى والشعب المختار . أما أعضاء القوميات في روسيا فكانوا يحسمون موقفهم إما بالمطالبة بالاستقلال عن روسيا ، أو بالانضمام إلى صفوف الحركة الثورية الصاعدة . ولعل استيطانية الاستعمار الصهيوني قد تفهم في إطار المصالح الامبريالية في القرن التاسع عشر ، ولكن احلاليته لا يمكن أن « تفهم » إلا في إطار « يهوديته » بوصفه تعبيرا عن وضع اليهود الخاص في روسيا ، ونتيجة لسيادة بعض الأفكار الدينية الغيبية عليهم ، التي جعلت انتماءهم لحضاراتهم ضعيفا ومشوشا ، وسهل بالتالي تهجيرهم الى فلسطين ، لا ليستوطنوها فحسب ـ على عادة المستوطنين البيض ـ وإنما ليحلوا محل سكانها ، لينفذوا تعاليم العهد القديم وأحلامهم الأسطورية الجيتوية بالانفصال .

إن ما نريد تأكيده في هذا المضمار أننا يجب ألا ننزلق في دراستنا

لاي ظاهرة الى دراسة البناء الفوقي على انه عامل ثابت منفصل عن البناء التحتي ، أو الى دراسة البناء التحتي على أنه « سبب » وجود البناء الفوقي ، أو أنه العنصر الوحيد الهام في تحققـه ، وان البنـاء الفوقي « إن هو » الا تعبيرعن الواقع « المتمثل في البناء التحتي » أو تشويه له ، لكن يجب أن ننظر إلى البنـاءين ، الفوقـي والتحتـي ، بوصفهما سببا ونتيجة في ذات الوقت ، وباختصار شديد يمكننا القول ان تعيين الظاهرة هو نتاج تفاعل البناء الفوقي بالبناء التحتي ، وأن البناء الفوقي ـ معزولا عن البناء التحتي ـ هو شكل هندسي ساكن مجرد متكرر في كل زمان ومكان ، والبناء التحتي ، بدوره ، معزولا عن البناء الفوقي ـ هو حركة مستمرة مجردة موجودة في أكثر من مكان وزمان ، وأن كلا من البناء الفوقي والتحتي يكتسب هويته المتعينة من خلال الآخر . ولا يمكننا فهم الظاهرة كلهـا أو فهـم البنية بشـكل متكامل ، إلا برؤ ية الشكل في علاقاته مع المحتوى ، والمحتوى في علاقتـه مع الشـكل ، أو كما أفضـل القـول ـ رؤ ية البنية العامـة للظاهرة ، والتي تتضمن الشكل والمضمون سويا وتتخطاهما ، كما تتضمن كل المتغيرات الملموسة في علاقتهـا الـكلية المتكاملـة حتى يصبح المتغير لا وجود له خارج العلاقة . هذا الربط الجدلي بين البناء الفوقي والبناء التحتي يجعل من اليسير علينا أن نتخطى الازدواجية القديمة بين الارادة المستقلة والحتمية المطلقة ، فالظاهرة هي مفتـاح تفاعل الارادة الانسانية مع قوانين الواقـع ، وتظـل الارادة جامـدة عاجزة دون تطور قوانين الواقع ، وتظل قوانين الواقع إمكانية محضة دون الارادة الانسانية التي تكشفها وتتحدد من خلالها .

هذا بخصوص علاقة البناء الفوقي بالبناء التحتي بشكل عام ، أما

بالنسبة لاسرائيل (وكل الأيديولوجيات الفاشية على وجه العموم) فتتعاظم اهمية البناء الفوقي ، لأن الانسان الفاشي هو ضحية وعيه الهندسي الدائري الزائف . وكما بينا من قبل ، تحاول الأيديولوجية أن تعكس الواقع ، كما تحاول تبريره ، وهي تضم الحقائق والأساطير، وهي قد تصبح أيديولوجية علمية أو أيديولوجية أسطورية ولذا فاننا لو تصورنا مقياسا يكون أقصى يمينه الأسطورة (الرغبة والتطلع والذاتية والزيف الكامل) وأقصى يساره العلم (الواقع والموضوعية الكاملة والحقيقة الكاملة) (مع العلم بأن الأسطورة الكاملة هي من نصيب الدراويش ، والعلم الكامل هو من نصيب الله) لو تصورنا مثل هذا المقياس لوجدنا ان الصهيونية تقترب من الأسطورة اكثر من اقترابها من العلم ، بل انني ارى ان الصهيونية هي من أكثر الايديولوجيات أسطورية ، لأن جوهرها مبني على اكذوبة كاملة ، افتراض وجود شعب يهودي خالص ، وافتراض غياب شعب آخر ، وكلاهما افتراض لا سند له في الواقع .

وترجع هذه السمة في الايديولوجية الصهيونية الى شذوذ بنيوى اصيل فيها ، فنحن نتحدث عادة عن علاقة البناء الفوقي بالبناء التحتي ، ولكن الايديولوجية الصهيونية هي بناء فوقي على علاقة بثلاث بنى تحتية :

١ ـ وضع يهود شرق أوروبا الاقتصادي والحضاري والديني .
٢ ـ الامبريالية الغربية ويهود الشتات
٣ ـ المجتمع الاسرائيلي .

وقد بينا في الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب أثر هذا الشذوذ البنيوي على الانسان الاسرائيلي ، ولكن ما يهمنا هنا هو تأكيد أننا ، برغم تبنينا لمصطلح البناء الفوقي والبناء التحتي ، فاننا لم نقتنع بالصيغة التقليدية الجاهزة ، ولم ننظر الى البناء التحتي بحسبانه

وجودا ماديا بل بوصفه وجودا ماديا وحضاريا وفكريا (وضع يهود شرق أوروبا) ، كما أنه قد يكون بناء تحتيا قد اختفى كلية أو ليس على علاقة عضوية بالبناء الفوقي . ونحن في محاولتنا البحث عن صيغة خاصة نحاول أن نفسر خصوصية الظاهرة (أ فدرسنا منطقها الكامل) دون إسقاط لفكرة القانون العام (القوانين التي تتحكم في الظاهرة موضوع الدراسة والظواهر المماثلة) . وأنا انطلق من إنكار لفكرة وحدة الوجود التاريخية (البانثيزم التاريخية) التي تفترض أن ثمة وجودا تاريخيا عاما ينتظم البشر كلهم ، وان ثمة قوانين عامة تتحكم فيهم . ومع أننا لا ننكر وجود القوانين العامة ، فاننا ايضا نؤمن بأن التاريخ لا يتطور بالمستوى نفسه ولا بالمعدل نفسه ولا بالطريقة نفسها من مجتمع لآخر ، كما انني اومن أننا لا نقف على المسافة نفسها من نفس الظاهرة ،وبالتالي ، ثمة مجال للاختلاف في شكل نفس الظاهرة الواحدة باختلاف المجتمعات ، وثمة مجال للاختلاف في طريقه إدراكها باختلاف المسافة . ولنأخذ الصهيونية مثلا ، فالصهيونية من وجهة نظر مجموعة من الباحثين ، هي أيديولوجية استيطانية عنصرية ، وهذا هو القانون العام الذي يتحكم فيها ولكن الصهيونية تختلف عن البيورتيانية ، التي كانت أيديولوجية الرواد الذين استوطنوا امريكا (وهي أيديولوجية استيطانية عنصرية اخرى) وعن أيديولوجية المستوطنين الفرنسيين كما أن إدراك الباحث الأمريكي الذي يرفض الأيديولوجية الصهيونية يختلف عن إدراك الباحث التركي أو الفلسطيني الذي يرفض الصهيونية ، رغم اتفاقهم جميعا في الأسس الفلسفية والسياسية للرفض ، فالمسافة بين الأمريكي والفلسطيني من جهة ، والظاهرة الصهيونية من جهة أخرى ، مختلفة ، أي أن الصهيونية التي لها شكلها الخاص نتيجة لظروفها الاجتماعية / التاريخية الخاصة تتواجد على مستويات ادراكية مختلفة . وفي تصوري أن الرؤ ية الحقة هي التي تحاول أن تصل إلى

القانون العام ، ثم إلى القانون الخاص ، وتأخذ في حسبانها المسافة بين المدرك والظاهرة .

وتأكيد الخصوصية (خصوصية الظاهرة ، وخصوصية الادراك) وهو ما سميته المنحنى الخاص للظاهرة ، ليس الغرض منه تأكيد انفصال كل الظواهر بعضها عن البعض الآخر ، وانعزال كل الباحثين الواحد عن الآخر ، ولكن الغرض منه هو ربط عملية الادراك بالممارسة الثورية ذاتها . فالادراك الأكاديمي « العلمي » المحايد ، الذي يقنع بالقوانين العامة للظاهرة هو ادراك كسول « مضموني » يقنع باجترار نتائج الآخرين دون معاناة ولا قلق ، ودون تفكير في الواقع الذي سيكون مجالا للممارسة والتطبيق . أما إذا بحثنا الظاهرة من منظور الممارسة ، فاننا سنهتم بالنتوء والخصوصية ، وبالقوانين الفرعية المختلفة التي تهمني أنا ولا تهم المدرك العام ، أو الشخص الذي يدرك الظاهرة من مسافة أو من زاوية مغايرة لمسافتي وزاويتي . هذا فضلا عن أن الادراك الاكاديمي العام لا يمكنه ان يترجم عن نفسه في برنامج سياسي للعمل يتفق مع امكانيات كل فرد وكل قطاع ، حسب موقعه من الظاهرة ، ولكنه يترجم عن نفسه في شعارات جامدة ميتة ، يسهل الايمان بها ، والدفاع النظري المتشنج عنها ، دون ممارستها . أما البحث عن خصوصية الظاهرة والتوصل إليه (وهو بحث لا ينتج إلا عن قلق ومعاناة حقيقيين ، وعن احساس من جانب الباحث بموقفه الوجودي الخاص) ، فإنه سيجعل من الممكن أن نطور برامج سياسية تتفق مع موقع كل فرد من الظاهرة وامكاناته الحقيقية ، ولذا ، لا يمكنني أن اطلب من الثوري الأمريكي ان يحمل السلاح لتحرير فلسطين ، كما لا يمكنني أن اقنع من الفلسطيني بأن يتبرع بما له للثورة المسلحة، بل لا بد ان يتفق البرنامج السياسي مع خصوصية الظاهرة وخصوصية الادراك .

الحواشي

« الفصل الاول »

١ ـ سالو بارون واخرون ، تاريخ اليهود الاقتصادي ، ص ٣٠ ـ يضم هذا الكتاب كل المداخل التي تتناول تاريخ اليهود الاقتصادي في الموسوعة اليهودية (١٦ جزءا) التي حررها سيسل روث ، وسنكتفي بالاشارة للموسوعة اليهودية نظرا لانها متداولة اكثر من الكتاب . واهم المداخل التي اعتمدنا عليها هي « ملحق تاريخ اليهود الاقتصادي » ومدخل « التجارة » ومدخل « الربا » وان كنا اعتمدنا ايضا على مداخل اخرى مثل « المصارف والصيارفة » .

٢ ـ ابراهام ليون ، الماركسية والمسألة اليهودية ، ص ٣١ ، ص ٨٢ وانظر ايضا الموسوعة اليهودية ـ المجلد الاول « الزراعة » المجلد السادس عشر « تاريخ اقتصادي » .

٣ ـ ول ديورانت « قصة الحضارة » عصر الايمان ، الجزء الثالث من المجلد الرابع ص ٥٩ ـ ٦٠

٤ ـ سولومون جرايزيل ، تاريخ اليهود من النفي البابلي الى الوقت الحاضر ٥٧٢٨ ـ ١٩٦٨ ، ص ١٢ .

٥ ـ بديعة أمين ، المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ، ص ٢٧ .

٦ ـ ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الشرق الأدنى ، الجزء الثاني من المجلد الاول ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

٧ ـ ليون ، المسألة اليهودية ، ص ٤٢ .

٨ ـ سيسيل روث ، تاريخ اليهود منذ اوائل العصور حتى حرب الايام الستة ، ص ١٩٠ ، وليون المسألة اليهودية ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

٩ ـ نصوص حول اشكال الانتاج ما قبل الرأسمالية ، ورد في صادق جلال العظم ، الصهيونية والصراع الطبقي ، ص ١٦ .

١٠ ـ ليون ، المسألة اليهودية ، ص ٤٨ .

١١ ـ ديورانت ، قصة الحضارة ، عصر الايمان ، الجزء الثالث من المجلد الرابع ، ص ٦٠ .

١٢ ـ فردريك م ، شفايتزر ، تاريخ اليهود منذ القرن الاول الميلادي ص ١٦٧ ،

١٣ ـ ديورانت قصة الحضارة ، عصر الايمان ، الجزء الثالث من المجلد الرابع ، ص ٦٠ .

١٤ ـ المصدر السابق .

١٥ ـ شفايتزر ، تاريخ اليهود منذ القرن الاول الميلادي ، ص ١٦٨ .

١٦ ـ المصدر السابق ص ١٦٩ ، وانظر ايضا اليهودية والصهيونية واسرائيل ، للدكتور عبدالوهاب محمد المسيري ، ص ١٩ ـ ٣٧ .

١٧ ـ ديورانت ، قصة الحضارة ، عصر الايمان ، الجزء الثالث من المجلد الرابع ، ص ٦١ .
١٨ ـ المصدر السابق ، نفس الصفحة ، وروث تاريخ اليهود منذ اول العصور الى حرب الايام الستة ، ص ١٩١ .
١٩ ـ شفايتزر ، تاريخ اليهود منذ القرن الاول الميلادي ، ص ١٧٠ .
٢٠ ـ المصدر السابق ، وليون ، المسألة اليهودية ، ص ٦١.
٢١ ـ المصدر السابق ص ٨٦.
٢٢ ـ الموسوعة اليهودية ، المجلد السادس عشر ، تاريخ اقتصادي .

٢٣ ـ المصدر السابق .
٢٤ ـ شفايتزر ، تاريخ اليهود منذ القرن الاول الميلادي ، ص ١٧١
٢٥ ـ المصدر السابق ، ص ١٧٧ وانظر ايضا روث تاريخ اليهود منذ اول العصور حتى حرب الايام الستة ص ١٩١ .
٢٦ ـ الموسوعة اليهودية المجلد السادس عشر ، تاريخ اقتصادي
٢٧ ـ المصدر السابق ، المجلد الخامس ، « يهود البلاط » .
٢٨ ـ ليون ، المسألة اليهودية ، ص ٩١ .

٢٩ ـ روث ، تاريخ اليهود ، ص ١٩٦
٣٠ ـ ديورانت ، قصة الحضارة ، عصر الايمان ، الجزء الثالث من المجلد الرابع ، ص ٥٩ .
٣١ ـ ليون ، المسألة اليهودية ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .
٣٢ ـ ورد في العظم ، الصهيونية والصراع الطبقي ، ص ٢١ .
٣٣ ـ بديعة امين ، المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ، ص ١٠٠
٣٤ روث ، تاريخ اليهود ، ص ١٩٥ وديورانت قصة الحضارة ، عصر الايمان ، الجزء الثالث من المجلد الرابع ، ص ٦٤ .
٣٥ ـ ليون ، المسألة اليهودية ، ص ٢٧ ـ ٢٩ ، وفي صفحات اخرى في الكتاب .
٣٦ ـ المصدر السابق ، ص ٢٧ .
٣٧ ـ الموسوعة اليهودية ، المجلد الخامس ، يهود البلاط ، والمداخل المرتبطة به وانظر ايضا جرايزبل ، تاريخ اليهود .
٣٨ ـ الموسوعة اليهودية ، المجلد الرابع عشر ، « الشتتل » .
٣٩ ـ ليون ، المسألة اليهودية ، ص ١٤٧ .
٤٠ ـ اعتمدنا في هذا الجزء على المراجع التالية : الموسوعة اليهودية ، المجلد السابع ، « الجيتو » ، ليون ، المسألة اليهودية وكتاب و. ل. ويرث ، الجيتو ، وتواريخ اليهود الاخرى التي اوردناها مثل تاريخ روث وجرايزبل .
٤١ ـ د. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، « النمط المثالي »
٤٢ ـ المصدر السابق ، « اندماج او ارتباط حضاري » .

« الفصل الثاني »

١ ـ بديعة امين ، المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ص ٦٣ .
٢ ـ الموسوعة البريطانية ، « المكاروبيديا » ، المجلد الرابع ، « الاستعمار »
٣ ـ استعنا بالمراجع التالية : المصدر السابق ، المكاروبيديا ، الجزء السادس مدخل « حركة التنوير » .
ـ ادوارد بيرنزو فيليب رالف ، حضارات العالم ، الجزء الثاني ص ٤٥ ـ ٥١ .
ـ معجم تاريخ الافكار ، المجلد الثاني ، « حركة التنوير » .
٤ ـ شفايتزر، تاريخ اليهود منذ القرن الأول الميلادي ، ص ١٧٢ .
٥ ـ معظم هذه التواريخ منقول عن الموسوعة الاميريكية .
٦ ـ معظم الحقائق التاريخية مستقاة اساسا من رفائيل ماهلر تاريخ اليهود في العصر الحديث ١٧٨٠ ـ ١٨١٥ الفصل الثالث ص ١٨ ـ ٧٢ . والموسوعة اليهودية ، المجلد السابع ، « اليهود وفرنسا » وتواريخ اليهود الأخرى اما تفسير هذه الحقائق فنحن وحدنا المسئولون عنه بطبيعة الحال .
٧ ـ ماهلر ، تاريخ اليهود في العصر الحديث ص ٢٤ .
٨ ـ المصدر السابق ، ص ٢٥ .
٩ ـ المصدر السابق ، ص ٢٩ .
١٠ ـ المصدر السابق ، ص ٢٨
١١ ـ المصدر السابق ، ص ٣٣
١٢ ـ المصدر السابق ، ٥٦ ـ ٥٨ .
١٣ ـ المصدر السابق ص ٧٢ ـ ٦٧ و هـ. وهورلي ساخار ، مسار التاريخ اليهودي الحديث ، ص ٥٩ ـ ٦١ .
١٤ ـ ماهلر تاريخ اليهود في العصر الحديث ، ص ٦٥ ـ ٦٦
١٥ ـ المصدر السابق خاصة ، ص ٧٠ ـ ٧٢ .
١٦ ـ المصدر السابق خاصة ، ص ٧٣ .
١٧ ـ الموسوعة اليهودية المجلد السادس عشر « جاليشيا » واعتمدنا ايضا على ماهلر تاريخ اليهود والعصر الحديث الفصل العاشر ص ٣١٤ ـ ٣٣٣ والفصل الحادي عشر ، ص ٣٦٩ ـ ٤٢٣ وتواريخ اليهود الاخرى
١٨ ـ ليون المسألة اليهودية ، ص ١٣٤ .
١٩ ـ الموسوعة اليهودية ، المجلد السادس عشر ، « جاليشيا » .
٢٠ ـ ماهلر، تاريخ اليهود في العصر الحديث ، ، ص ٣١٥ ـ ٣١٧
٢١ ـ المصدر السابق ، ص ٣١٩

٢٢ ـ المصدر السابق ، خاصة ص ٣٢٢ ـ ٣٣٠ وكذلك ٣٣١ ـ ٣٣٣ انظر ايضا الموسوعة اليهودية المجلد السادس عشر « جاليشيا »
٢٣ ـ المصدر السابق .
٢٤ ـ ماهلر، تاريخ اليهود في العصر الحديث ، ٣٣٩ .
٢٥ ـ الموسوعة اليهودية ، المجلد السادس عشر ، « جاليشيا » .
٢٦ ـ المصدر السابق .
٢٧ ـ الموسوعة اليهودية ، المجلد الرابع عشر ، « روسيا » واعتمدنا ايضا على ماهلر ، تاريخ اليهود في العصر الحديث ، الفصل الحادي عشر ص ٣٦٩ ـ ٤٢٣ والتواريخ الاخرى .
٢٨ ـ ماهلر ، تاريخ اليهود في العصر الحديث ص ٣٦٩
٢٩ ـ المصدر السابق ص ٣٧٠
٣٠ ـ المصدر السابق ص ٣٧٣ .
٣١ ـ ليون ، المسألة اليهودية ص ١٣٤ .
٣٢ ـ ماهلر تاريخ اليهود في العصر الحديث ص ٤٠٠
٣٣ ـ المصدر السابق ، ص ٤٠١
٣٤ ـ المصدر السابق .
٣٥ ـ المصدر السابق ، ص ٤٠١ ـ ٤٠٥
٣٦ ـ الموسوعة اليهودية ، المجلد الرابع عشر « روسيا »
٣٧ ـ ماهلر، تاريخ اليهود في العصر الحديث ص ٤١ ـ ٤٥ والموسوعة اليهودية .
٣٨ ـ المصدران السابقان
٣٩ ـ صبري جريس ، تاريخ الصهيونية .
٤٠ ـ المصدر السابق ، ص ٣٩ .
٤١ ـ ايزودور ايشتاين ، اليهودية : تقديم تاريخي ، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، وانظر ايضا جرايزيل تاريخ اليهود ، ص ٤٦٨ ـ ٤٧١
٤٢ ـ اسماعيل راجي الفاروقي ، الملل المعاصرة في الدين اليهودي ، ص ٥٥ .
٤٣ ـ المصدر السابق ،
٤٤ ـ المصدر السابق ، ص ٦٠
٤٥ ـ جرايزيل، تاريخ اليهود ، ص ٥٠٥ .
٤٦ ـ ايشتاين، اليهودية ، ص ٢٩١ ـ ٢٩٤ .
٤٧ ـ الفاروقي، الملل المعاصرة ، ص ٥٣ .
٤٨ ـ جرايزيل ، تاريخ اليهود ، ، ص ٥٤٣
٤٩ ـ الفاروقي، الملل المعاصرة ، ص ٥٩ .

« الفصل الثالث »

١ ـ الموسوعة اليهودية المجلد السادس عشر ، « جاليشيا » انظر ايضا ماهلر ، تاريخ اليهود في العصر الحديث ، ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .
٢ ـ المصدران السابقان .
٣ ـ الموسوعة اليهودية ، المجلد الرابع عشر « روسيا »
٤ ـ جريس ، تاريخ الصهيونية الجزء الاول ، ص ٣٨ .
٥ ـ المصدر السابق
٦ ـ انظر التواريخ اليهودية المختلفة التي اعتمدنا عليها ، وقام بترجمة القوانين الدكتور احمد حماد المدرس بكلية الاداب جامعة عين شمس .
٧ ـ جريس ، تاريخ الصهيونية الجزء الاول ، ص ٨٢ .
٨ ـ لطفي العابد ، وموسى عنز (ترجمة) واشراف الدكتور انيس صايغ ، وتعريف الدكتور اسعد رزوق ، الفكرة الصهيونية : النصوص الاساسية ، وهو ترجمة كتاب ارثر هرتزبرج ، الفكرة الصهيونية : تحليل تاريخي ومختارات . احب ان اشير هنا الى انني اضطررت في بعض الاحيان الى تغيير الترجمة حتى تتفق مع الاصل والى تعديلها بشكل طفيف احيانا اخرى حتى تتفق لغويا مع سياق الدراسة . من الآن سنكتفي بالاشارة الى هذا الكتاب بالشكل التالي : الفكرة الصهيونية ص ٧٨ .
٩ ـ بديعة امين : المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ص ٩٦ .
١٠ ـ العظم ، الصهيونية والصراع الطبقي ، ص ٣٢ .
١١ ـ ارثر هرتزبرج ، حركة التنوير الفرنسية واليهود .
١٢ ـ ورد في بديعة امين المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ص ١٣١ .
١٣ ـ العظم ، الصهيونية والصراع الطبقي ص ٤٥
١٤ ـ ماهلر ، تاريخ اليهود في العصر الحديث ص ٣٨٢
١٥ ـ ليون المسألة اليهودية ، ص ١٤٢ ، ١٥٢ ـ ١٥٧ ، وغيرها من الصفحات .
١٦ ـ الفكرة الصهيونية ص ٧٦
١٧ ـ المصدر السابق ص ١٥٥ .
١٨ ـ ماهلر، تاريخ اليهود في العصر الحديث ، ص ٤٩ ـ ٤١٣
١٩ ـ استفدنا من معجم تاريخ الافكار « المجلد الثاني » « معاداة التنوير
٢٠ ـ الفكرة الصهيونية ص ٢٢٠
٢١ ـ بديعة امين ، المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ص ٢٠ .
٢٢ ـ ليون ، المسألة اليهودية ص ١٥٢ .
٢٣ ـ المصدر السابق ، ص ١٥٥ .
٢٤ ـ الفكرة الصهيونية ص ١٥٩ .

٢٥ ـ المصدر السابق ، ص ١٣٣ .
٢٦ ـ المصدر السابق ، ص ٥٤ ـ ٥٥
٢٧ ـ المصدر السابق ، ص ٣٩ .
٢٨ ـ المصدر السابق ، ص ٢٦ .
٢٩ ـ المصدر السابق .
٣٠ ـ الفاروقي ، الملل المعاصرة ، ص ٧٧ .
٣١ ـ ايشتاين،اليهودية : تقديم تاريخي ، ص ١٩ .
٣٢ ـ الفاروقي ، الملل المعاصرة ص ٩٦
٣٣ ـ المصدر السابق ، ص ٩٢ .
٣٤ ـ المصدر السابق،ص ١٧ .
٣٥ ـ المصدر السابق،ص ٨٧
٣٦ ـ المصدر السابق،ص ٩٤
٣٧ ـ الفكرة الصهيونية،ص ٤٣ .
٣٨ ـ المصدر السابق،ص ٩٦ .
٣٩ ـ المصدر السابق،ص ٥٣ ـ
٤٠ ـ المصدر السابق ، ص ٥٤
٤١ ـ المصدر السابق،ص ٥٥
٤٢ ـ المصدر السابق،ص ٥٦
٤٣ ـ المصدر السابق،ص ٥٧
٤٤ ـ المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
٤٥ ـ المصدر السابق،ص ١٨٣ .
٤٦ ـ المصدر السابق،ص ١٩ .
٤٧ ـ المصدر السابق،ص ٢١ .
٤٨ ـ المصدر السابق،ص ٢٤ .
٤٩ ـ المصدر السابق،ص ١٣ ـ ١٩ .

« الفصل الرابع »

١ ـ الموسوعة اليهودية ، المجلد السادس ، « دوفنوف » ومقال دوفتون ، « عقيدة القومية اليهودية » التي يمكن للقارىء ان يجدها في اي مختارات مترجمة من اعمال دوفنوف .
٢ ـ الموسوعة البريطانية الجديدة الماكروبيديا ، المجلد الرابع ، « الاستعمار » ، وبيرنز ورالف حضارات العالم ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

٣ ـ جمال حمدان : استراتيجية الاستعمار والتحرير ، ص ٥٦ .
٤ ـ المصدر السابق ، ص ١٢٩ ـ ١٣٢ .
٥ ـ الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية ، المجلد السابع ، « الامبريالية »
٦ ـ موسوعة الصهيونية واسرائيل ، المجلد الثاني حركة استرجاع اليهود
٧ ـ ناحوم سوكولوف،تاريخ الصهيونية ، الجزء الاول ، ص ٢٨ .
٨ ـ رافائيل باتاي (محرر) يوميات هرتزل ، الجزء الثاني ص ٧٥٩٠ من الان سنكتفي بالاشارة اليها على النحو التالي : اليوميات .
٩ ـ ليونارد شتاين ، وعد بلفور ص ٩ .
١٠ ـ رسالة كتبها وايزمان الى تشرشل وان كان لم يرسلها له قط، وردت في ريتشارد كروسمان امة تبعث من جديد ص ١٣٠ .
١١ ـ المصدر السابق .
١٢ ـ سوكولوف،تاريخ الصهيونية ، الجزء الاول ، ص ٦٣ .
١٣ ـ الاقتباس من « المسألة الشرقية الجديدة » (١٨٦٠) ورد في ستيفن هالبروك ، الفلسفة الصهيونية : تفسيرمادي ، في ابراهيم ابولغد وبهاء ابولبن ، النظم الاستيطانية في افريقيا والعالم العربي · ووهم البقاء ، ص ٢٢ .
١٤ ـ شتاين ، وعد بلفور ص ١١ .
١٥ ـ سوكولوف ، تاريخ الصهيونية الجزء الاول ص ١٣٨ .
١٦ ـ وردت في جورج جبور ، الاستعمار الاستيطاني في جنوب افريقيا والشرق الاوسط ص ٢٢ .
١٧ ـ موسوعة الصهيونية واسرائيل الجزء الثاني « هكلر » .
١٨ ـ دافيد م . ستاملر ، « المصالح اليهودية في فلسطين » ورد في كتاب وليام بولك ، خلفية المأساة ، ص ١٣٧ .
١٩ ـ ن. أ. روز، الصهاينة الاغيار ص ٧٤ .
٢٠ ـ المصدر السابق ص ٧٣
٢١ ـ ديفيد بن جوريون« صديقنا: ما الذي فعله ونجيت لنا » جويش اوبزرفر اند ميدل ايسيت ريفيو ٢٧ سبتمبر ١٩٦٣ اعيد نشره في وليد الخالدي ، من المأوى الى الغزو ص ٣٨٢ .
٢٢ ـ المصدر السابق ، ص ٣٨٧ .
٢٣ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ٤٥١
٢٤ ـ تحسين بشير، ادوين مونتاجو ووعد بلفور ص ١٣ .
٢٥ ـ ورد في ريتشارد ستيفنز ، « سمتس ووايزمان ، دراسة في التعاون بين جنوب افريقيا والصهيونية » في ابولغد وابولبن ، النظم الاستيطانية في افريقيا والعالم العربي ص ١٨٣ .
٢٦ ـ حاييم وايزمان المحاولة والخطأ ص ١٧٩ .
٢٧ ـ المصدر السابق ص ٢٠٥

٢٨ - ورد في كروسمان،امة تولد من جديد ص ١٣١ .
٢٩ - دزموند ستيوارت،،تيودورهرتزل ص ١٩٢ .
٣٠ -حمدان،استراتيجية الاستعمار والتحرير ، ص ١٥١ .
٣١ - اوسكاررابينوفيتش « هرتزل وانجلترا » كتاب هرتزل السنوي ، الجزء الثالث ص ٤٢ .
٣٢ - اليوميات،الجزء الثاني ١١٧٩ .
٣٣ - المصدر السابق ، ص ١١٩٤ .
٣٤ - المصدر السابق .
٣٥ - المصدر السابق ، الجزء الاول ص ٩١ .
٣٦ - احمد القدسي ولوبل ، العالم العربي واسرائيل ص ١١٦ .
٣٧ - المصدر السابق .
٣٨ - اليوميات الجزء الاول ص ٣٣٣ .
٣٩ - الفكرة الصهيونية ص ١٢٠ .
٤٠ - اليوميات الجزء الثاني ص ٢٠١ .
٤١ - المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص ١٦٠٠ .
٤٢ - ناحوم جولدمان ، سيرة ناحوم جولدمان الذاتية ص ١٦٠ - ١٦٣ . ووايزمان المحاولة والخطأ ص ٣٦٨ - ٣٧٢
٤٣ - اليوميات الجزء الاول ص ٣٦٣ .
٤٤ - موشيه بيرلمان « فصول من الدبلوماسية العربية - اليهودية : ١٩١٨ ١٩٢٢ ، جويش سوشيال ستديز ، المجلد ٦ (ابريل ١٩٤٤*) ص ١٢٨
٤٥ - اليكس باين « هرتزل والقيصر في فلسطين » من تيودور هرتزل سيرة حياة وردت في جوردون لفين (محرر) ، الحركة الصهيونية في فلسطين والسياسة العالمية ص ٧٦ - ٧٧ .
٤٦ - بديعة امين ، المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ص ١٥٢ .
٤٧ - كارل اشلوينز ، الطريق الملتوي الى اشويتز ص ١٨٢ - ١٨٤ .
٤٨ - رابينوفيتش ، هرتزل وانجلترا ، في كتاب هرتزل السنوي ، المجلد الثالث ص ٣٨ .
٤٩ - المصدر السابق ، ص ٤٢ - ٤٣ .
٥٠ - اليوميات الجزء الرابع ، ص ١٣٠٩ .
٥١ - المصدر السابق ، ص ١٣٦٦ .
٥٢ - ماكس نوردو ، ماكس نوردو يتحدث الى شعبة ، ص ٢٠٩
٥٣ - كروسمان ، امة تولد من جديد ص ٣٦ .
٥٤ - وايزمان ، المحاولة والخطأ ص ١٩٢ .
٥٥ - كروسمان،امة تولد من جديد ، ص ١٢٥ .
٥٦ - تيودور بن هرمان ، « الصهيونية والأسد » في هال درابر (محرر) . الصهيونية واسرائيل والعرب ، ص ٢٧ .
٥٧ - مايكل سلزر ، اعادة النظر في الصهيونية ، ص ٢٤٧ .
٥٨ - سوكولوف ، تاريخ الصهيونية ، الجزء الثاني ، ص ٢٢١ .

٥٩ ـ المصدر السابق ، ص ٢٢٢ ، التأكيد في الأصل .
٦٠ ـ الفكرة الصهيونية ص ٣٦ .
٦١ ـ اليوميات ، الجزء الرابع ص ١٦٠٠
٦٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٣٦٧ .
٦٣ ـ كلمة القيت في لندن في ١٦ يوليه ١٩٢٠ ، وردت في ماكس نوردو يتحدث الى شعبه ص ٢٠٨ .
٦٤ ـ مايربن هورين ، ماكس نوردو فيلسوف التضامن الانساني ، ص ٢٠١ .
٦٥ ـ ورد في بن هرمان ،في درابر ، الصهيونية واسرائيل والعرب ص ٢٧ .
٦٦ ـ ورد في كروسمان ..مة تولد من جديد ص ١٣١ ـ ١٣٢ .
٦٧ ـ اريه بوبر (محرر) ، اسرائيل الاخرى ، ص ١٩٣ .
٦٨ ـ كروسمان امة تولد من جديد ص ١٣٢ ، التأكيد ليس في الأصل
٦٩ ـ المصدر السابق ص ١٣١ .

« الفصل الخامس »

١ ـ الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية ، المجلد السابع ، « الامبريالية »
٢ ـ قدري حفني « اي حرب تعني » ؟ واي سلام تستهدف ، الثقافة الوطنية ، (يناير ١٩٨١ ص ٤٠ ـ ٥١ .
٣ ـ راؤ ول تنتباوم ، « لماذا تحتاج اسرائيل الى الـ ٥٠٠ مليون دولار التي لا يريد فورد تقديمها « انترشينج (يونيه ١٩٧٦) .
٤ ـ ليون،المسألة اليهودية ، ص ١٨٢ .
٥ ـ العظم ، الصهيونية والصراع الطبقي ، ص ٨٤ .
٦ ـ بديعة امين ، المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ص ١٥٢ .
٧ ـ المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
٨ ـ المصدر السابق ، ص ١٤٢ .
٩ ـ كارل كاوتسكي ، هل يشكل اليهود جنسا ؟ ص ٢١٢ .
١٠ ـ اليوميات الجزء الثالث ، ص ٨٩٩ .
١١ ـ وايزمان ، المحاولة والخطأ ص ١٩١ .
١٢ ـ بن هرمان في درابر ، الصهيونية واسرائيل والعرب ، ص ٣١ ـ ٢٧ .
١٣ ـ ميخائيل بارزوهار ، بن جوريون ـ النبي المسلح ، ص ٣٩ .

١٤ ـ المصدر السابق ص ٥٦ .
١٥ ـ القدسي ولوبل ، العالم العربي واسرائيل ص ٦٨ .
١٦ ـ جوزيف ب شختمان مقاتل ونبي : قصة فلاديمير جابوتنسكي ـ السنوات الاخيرة ، ص ١٧٨ .
١٧ ـ بارزوهار ، بن جوريون ، ص ٨٩ .
١٨ ـ ورد في موشيه مينوهين ، نقاد الصهيونية اليهود ، ص ٩ .
١٩ ـ اليوميات الجزء الاول ص ٣٤٢ .
٢٠ ـ المصدر السابق ، الجزء الثاني ص ٧١١ .
٢١ ـ المصدر السابق ص ٧٠١ ـ ٧٠٢ .
٢٢ ـ امانويل راكمان ، ظهور دستور اسرائيل ١٩٢٨ ـ ١٩٥١ ، ص ١٤٨ .
٢٣ ـ ورد في سامي هداوي ، فلسطين في الامم المتحدة ص ٣٦ .
٢٤ ـ معاريف (٧ يوليه ١٩٦٨) ورد في ماجوفير ، رد على سول شتيرن ، ازراكا (٥ يناير ١٩٧٣) ص ٢٨ .
٢٥) نعوم تشومسكي ، السلام في الشرق الأوسط ، ص ٢٨ .
٢٦ ـ ايموس كينان « بين غزة وتل ابيب نحن نعيش بالفعل في دولة ثنائية القومية » ، جاري سميث (محرر) الصهيونية ـ الحلم والواقع ، ص ١٨٩ .
٢٧ ـ ستيفنز ، « الدول الاستيطانية ورد الفعل الغربي » في عابدين جبارة وجانيس تيري ، العالم العربي ، ص ١٦٧ . ١٦٨ .
٢٨ ـ كروسمان امة تولد من جديد ص ٥٨ .
٢٩ ـ ستيورات هرتزل ، ص ١٩٢ .
٣٠ ـ محاكمة مجرمي الحرب الرئيسيين امام المحكمة العسكرية الدولية : نورمبرج ، ١٤ نوفمبر ١٩٤٥ ـ ١١ اكتوبر ١٩٣٦ ، الجزء الحادي عشر ، ص ٤٥٠ ، (النص الرسمي باللغة الانجليزية ، جلسات ٨ أبريل ١٩٤٦ ـ ١٧ ابريل ١٩٤٩ .
٣١ ـ الموسوعة البريطانية الجديدة الماكروبيديا ، المجلد الخامس عشر « العنصرية »
٣٢ ـ ارثر روبين ، اليهود اليوم ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .
٣٣ ـ المصدر السابق ، ص ٢٧ .
٣٤ ـ المصدر السابق ، ص ٩٦ .
٣٥ ـ المصدر السابق ،ص ٩٣ ـ ٢٩٤ .
٣٦ ـ المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

٣٧ ـ المصدر السابق،ص ٢٩٤ .
٣٨ ـ اليوميات،الجزء الرابع ص ١٣٦١ .
٣٩ ـ ورد في جبور الاستعمار الاستيطاني في جنوب افريقيا والشرق الاوسط ص ٢٨ .
٤٠ ـ الموسوعة البريطانية المجلد الثاني عشر « العلاقات العنصرية »

٤١ ـ اليوميات الجزء الاول ، ص ٣٤٣ ، ٣٣٨ .
٤٢ ـ الفكرة الصهيونية ص ١٢٠ .
٤٣ ـ دافيد بن جوريون، بعث اسرائيل ومصيرها ص ٩ .
٤٤ ـ المصدر السابق ص ٥ ـ ٦

٤٥ ـ وايزمان ، المحاولة والخطأ ، ص ٢٧٧ .
٤٦ ـ المصدر السابق ، انظر خاصة الفصل ٣١ ،
٤٧ ـ هاري ترومان ، المذكرات ، الجزء الاول ، ص ١٥٩ .
٤٨ ـ مائير بن هورين ، ماكس نوردو : فيلسوف التضامن الانساني ، ص ١٩٩ .
٤٩ ـ يديعوت احرونوت (١٧ اكتوبر ١٩٦٩) ، ورد في بوبر ، اسرائيل الاخرى، ص ٧٧ ـ ٧٨ .

٥٠ ـ ايموس ايلون ، الاسرائيليون : الآباء المؤسسون والابناء ، ص ١١٥ .
٥١ ـ بن جوريون ، بعث اسرائيل ومصيرها ، ص ٣٨ .

٥٢ ـ رابينو فيتش « هرتزل وانجلترا » كتاب هرتزل السنوي ، المجلد الثالث ، ص ٤١ .
٥٣ ـ كورت جراسمان « الصهاينة وغير الصهاينة في ظل حكم النازي في الثلاثينات » ، كتاب هرتزل السنوي ، المجلد الرابع ص ٣٤١ . التأكيد ليس في الاصل .

٥٤ ـ الصلات المعاصرة بين جنوب افريقيا واسرائيل وردت في ابراهيم العابد ، ١٢٧ سؤال وجواب عن الصراع العربي الاسرائيلي ، ص ١٣٦ .

٥٥ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ٣٤١ .
٥٦ ـ ايلون ، الاسرائيليون ص ١١٢ .
٥٧ ـ بن جوريون ، بعث اسرائيل ومصيرها ، ص ٥ .
٥٨ ـ سميث ، الصهيونية الحلم والواقع ، ص ١٨٩ .
٥٩ ـ إيحود بن عيزر (محرر) قلق في صهيون ، ص ٨٣ .

« الفصل السادس »

١ ـ سلزر،اعادة النظر في الصهيونية ص ٦ .

٢ ـ ستيوارت،تيودور هرتزل ص١٧٨ .

٣ ـ ملاحظات حول الصهيونية لماكس نوردو اختيار حاييم بلوخ . كتاب هرتزل السنوي ، المجلد السابع ص ٣٤ .

٤ ـ كروسمان امة تولد من جديد ، ص ٢٣ .

٥ ـ ايلون ، الاسرائيليون ، ص ٣٢٩ .

٦ ـ ميلفوردا اسبيرو ، الكيبوتز،ص ٤٩ .

٧ ـ سلزر ، اعادة النظر في الصهيونية ، ص ٥٥ .

٨ ـ د. ح تندولكار ، المهاتما : حياة موهانداس كرمشاند غاندي ، الجزء الرابع ص ٣١٤ .

٩ ـ بلوخ « ملاحظات حول الصهيونية لماكس نوردو » كتاب هرتزل السنوي ، المجلد السابع ، ص ٣٢ .

١٠ ـ سلزر ، اعادة النظر في الصهيونية ص ١٣ .

١١ ـ بن هورين ، ماكس نوردو ، ص ١٩٩ .

١٢ ـ اليوميات ، الجزء الاول ص ١٣٣ .

١٣ ـ المصدر السابق ،

١٤ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ٩٥ .

١٥ ـ المصدر السابق ص ٩٢ .

١٦ ـ المصدر السابق ، ص ٩٥ .

١٧ ـ اليوميات ، الجزء الرابع ، ص ١٦٠٤ .

١٨ ـ المصدر السابق ، ص ٥٩٤ .

١٩ ـ موسوعة الصهيونية واسرائيل ، المجلد الاول ، « مشروع شرق افريقيا » (المعروف خطأ باسم مشروع اوغندا) .

٢٠ ـ الموسوعة اليهودية ، المجلد الخامس عشر ، مشروع اوغندة .

٢١ ـ سميث ، الصهيونية ـ الحلم والواقع ، ص ٢٣١ .

٢٢ ـ فيليب سيجال « تأملات في القومية اليهودية » ، ايشوز ، المجلد ١٥ (خريف ١٩٦١) .

٢٣ ـ ستيوارت ، :تيودور هرتزل، ، ص ٣٢٥ .

٢٤ ـ سيجال ، « تأملات في القومية اليهودية » ص ٢١ .
٢٥ ـ اليوميات ، الجزء الرابع ، ص ١٥٩٩ .
٢٦ ـ موشيه بيرلمان ، بن جوريون ينظر الى الماضي ، ص ٢٣٠ .
٢٧ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ٥١ .
٢٨ ـ المصدر السابق ، ص ١٣٧ .
٢٩ ـ ملاحظة تمهيدية لكلمة حاخام برجر ، النبوة والصهيونية ودولة اسرائيل ، ص ٣ . (القيت كلمة الحاخام في ٢٠ مارس ١٩٦٨)
٣٠ ـ ورد في ١. رابينوفيتش ، « الصهيونية السياسية ودولة اسرائيل ، قضايا أخلاقية » ، ذي جويش جارديان ، فبراير ١٩٧٥ ، ص ٩ .
٣١ ـ الفكرة الصهيونية ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .
٣٢ ـ بلوخ ، ملاحظات حول الصهيونية لماكس نوردو « كتاب هرتزل السنوي ، المجلد السابق ، ص ٢٩ .
٣٣ ـ المصدر السابق ص ٣١
٣٤ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ٣٩٦ .
٣٥ ـ المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .
٣٦ ـ المصدر السابق ص ٢٠٣ .
٣٧ ـ المصدر السابق ص ٢٠٢
٣٨ ـ المصدر السابق ص ٤٣ .
٣٩ ـ المصدر السابق ص ٢٠٧ .
٤٠ ـ سلزر ، اعادة النظر في الصهيونية ، ص ١٣ .
٤١ ـ بن هورين ، ماكس نوردو ، ص ١٩٩ .
٤٢ ـ اليوميات ، الجزء الثالث ، ص ٨٩٩ .
٤٣ ـ المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ٥٦ .
٤٤ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ١٢٠ .
٤٥ ـ المصدر السابق ، ص ٣٨ .
٤٦ ـ المصدر السابق ، ص ٠٧١ التأكيد ليس في الأصل .
٤٧ ـ المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .
٤٨ ـ المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
٤٩ ـ المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .

٥٠ ـ المصدر السابق،ص ٣٣٧ .
٥١ ـ المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .
٥٢ ـ المصدر السابق ، ص ٣٠٠
٥٣ ـ المصدر السابق،ص ٣٠٤ .
٥٤ ـ المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
٥٥ ـ المصدر السابق ، ص ٣٣١
٥٦ ـ المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .
٥٧ ـ الفاروقي ، اصول الصهيونية في الدين اليهودي ص ٤ .
٥٨ ـ مارفن هالفرسون،مرشد الى اللاهوت المسيحي ، ص ١٧٣ ـ ١٧٦
٥٩ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ٣٠٤
٦٠ ـ المصدر السابق ص ٣٧٨
٦١ ـ ورد في مقال السيرجون ريتشموند « تنقية الجوانب » « ميدل ايست انترناشيونال ، (سبتمبر) ص ٩ .
٦٢ ـ بحث بعنوان « أمل يهودي وأمل علماني » ألقى في كلية سانت زافيير في يونيه ١٩٦٧ ، ورد في هـ . حداد ، « الاسس الانجيلية للاستعمال الصهيوني » في ابو لغد وابو لبن ، النظم الاستيطانية في افريقيا والعالم العربي ، ص ٧ .
٦٣ ـ هوراس مايركالن ، الطوباويون يدافعون عن انفسهم بضراوة ا ص ٢٧٨ .

« الفصل السابع »

١ ـ الفكرة الصهيونية خاصة ، ص ١٤٧ ـ ١٥٤.
٢ ـ المصدر السابق خاصة ، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٩ .
٣ ـ المصدر السابق ، ص ٩٤ ـ ٣٠٥ .
٤ ـ المصدر السابق ، ص ١٧٩ .
٥ ـ المصدر السابق ص ٢١٩ .
٦ ـ المصدر السابق ، ص ٣٣ ـ ٣٥ .

٧ ـ المصدر السابق ، ص ٣٣١ .
٨ ـ المصدر السابق ض ٣٣٦ .
٩ ـ المصدر السابق ، ص ٢١٧
١٠ ـ آلون ، الاسرائيليون ، ص ٣٢٩ .
١١ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ٣٣٣ .
١٢ ـ المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .
١٣ ـ المصدر السابق ، ص ٣١٠ .
١٤ ـ المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .
١٥ ـ مايكل سلزر اضفاء الصبغة الآرية على الدولة اليهودية ، ص ١١٠
١٦ ـ الفكرة الصهيونية ص ٣٠٩ .
١٧ ـ المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .
١٨ ـ المصدر السابق ، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ .
١٩ ـ المصدر السابق ص ١٠ .
٢٠ ـ المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .
٢١ ـ أدلى دايان بتصريحه في اغسطس ١٩٦٧ ونشر في النهار (٢٨ مايو ١٩٦٨) ، وورد في اسعد رزوق ، اسرائيل الكبرى ص ٦٠٤ .
٢٢ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ٢٩٣ .
٢٣ ـ كالن ، الطوباويون يدافعون عن انفسهم بضراوة ، ص ١٨٣ .
٢٤ ـ المسيري ، اليهودية والصهيونية واسرائيل ، الفصل السادس ، ص ٩٥ ـ ١٠٦
٢٥ ـ بن جوريون ، ولادة وبعث اسرائيل ص ١٩٥ .
٢٦ ـ المصدر السابق ص ٤٣٣ .
٢٧ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ٣٢ .
٢٨ ـ المصدر السابق ص ٤٥٧ .
٢٩ ـ المصدر السابق ص ١٦ .
٣٠ ـ بن جوريون ، ولادة وبعث اسرائيل ، ص ٣١٠ .
٣١ ـ بلوخ ، « مذكرات عن الصهيونية بقلم ماكس نوردو » كتاب هرتزل السنوي ، المجلد الثاني ، ص ٣٤ .
٣٢ ـ سوكولوف تاريخ الصهيونية ، الجزء الاول ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
٣٣ ـ مارفن لونثال (محرر) يوميات هرتزل ، ص ١٦ ، (نظرا للظروف البحثيةالموجودة في

الوقت الحالي في القاهرة والتي يواجهها المهتمون بالدراسات الفلسطينية والصهيونية لم اتمكن من الحصول على نسخة من يوميات هرتزل (تحرير باتاي) التي استخدمناها في بقية هذه الدراسة اثناء كتابة هذا الجزء ولذا استميح القارىء عذرا اذ احيله الى مصدرين مختلفين لنفس اليوميات .

٣٤ ـ المصدر السابق ، ص ١٩٩ .
٣٥ ـ المصدر السابق ، ص ٣٧٧
٣٦ ـ المصدر السابق ، ص ٢٨٣
٣٧ ـ المصدر السابق ، ص ١١٩ .
٣٨ ـ المصدر السابق ، ص ١١٩ .
٣٩ ـ المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
٤٠ ـ المصدر السابق ، ص ١٠١ .
٤١ ـ المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
٤٢ ـ المصدر السابق ٣٣٤ .
٤٣ ـ المصدر السابق ص ١٤٣ .
٤٤ ـ المصدر السابق « المقدمة »
٤٥ ـ الفكرة الصهيونية ص ٣٧ ـ
٤٦ ـ المصدر السابق ص ٧٣ .
٤٧ ـ المصدر السابق ص ٩٥ .
٤٨ ـ المصدر السابق ص ١٨٢ .
٤٩ ـ المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

٥٠ ـ لطفي العابد «العنف والسلام في اسرائيل ، ص ١١ .
٥١ ـ بربارة حداد « فلاديمير جابوتنسكي » شئون فلسطينية (نوفمبر ١٩٧١) ، ص ٧٩ ـ ٩١ .

٥٢ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ١٨٥ .
٥٣ ـ المصدر السابق ، ص ٣٩٢ .
٥٤ ـ اليوميات ، الجزء الثاني ، ص ٥٨١ .
٥٥ ـ المصدر السابق ، ص ٧٠٠ ـ ٧٠١
٥٦ ـ الفكرة الصهيونية ، ص ٤٧٧ .

٥٧ ـ المصدر السابق،ص ٤٧٦ .
٥٨ ـ المصدر السابق ، ص ٤٧٩ .
٥٩ ـ بيرلمان ، بن جوريون ينظر الى الماضي ، ص ٢٣٦ .
٦٠ ـ رزوق ، اسرائيل الكبرى ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .
٦١ ـ المصدر السابق ، ص ٤٧٢ .
٦٢ ـ مناحم بيجين الثورة : قصة الارجون ، ص ٤٦ . والمقدمة .
٦٣ ـ تهاني هلسة ، بن جوريون ، ص ٢٣ .
٦٤ ـ بن جوريون ، ميلاد وبعث اسرائيل ، ص ٤٢٣ .
٦٥ ـ المصدر السابق ص ٤٢٧
٦٦ ـ بيرلمان ، بن جوريون ينظر الى الماضي ، ص ١٤٤ .
٦٧ ـ المصدر السابق ص ١٥٠ .
٦٨ ـ موشيه مينوهين انهيار اليهودية في عصرنا ، ص ١٠٧ .
٦٩ ـ مينوهين نقاد الصهيونية اليهود ، ص ٣٨ .
٧٠ ـ اميل مارموشتاين ، سماء مكبلة ، ص ٧١ .
٧١ ـ د. دوب « ناطوري كارتا » في سلزر اعادة النظر في الصهيونية ، ص ٤٣ .

« الفصل الثامن »

١ ـ بيرلمان بن جوريون ينظر الى الماضي ، ص ٢٤٤ .
٢ ـ المصدر السابق،ص ٤٤٥
٣ ـ الفكرة الصهيونية،ص ٣٥٥
٤ ـ كانديان جويش نيوز ، ورد في سبشيال انترست ريبورت ، المجلد ٨ (ابريل ١٩٧٧) .
٥ ـ بن عيزر قلق في صهيون ، ص ٥٩ .
٦ ـ الفكرة الصهيونية،ص ٢١١
٧ ـ مايكل سلزر ، السياسة وامكانية الكمال الانساني : منظور يهودي « ورد في سميث ، الصهيونية ـ الحلم والواقع ، ص ٢٩٨ هامش ٣٠ .
٨ ـ ورد في بنيامين ما توفو ، « الرغبة الصهيونية والفعل النازي » مجلة ايشوز المجلد العشرون (شتاء ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧) ص ١٠ .
٩ ـ كروسمان ، امة تولد من جديد ، ص ١٩ .

١٠ - بن جوريون،بعث اسرائيل ومصيرها ص ٤٢٠ - ٤٢١

١١ - جويش ديلي فورواد (٦ يناير ١٩٥٩) ، ورد في الفريد م . ليلينتال ، الوجه الآخر للعملة ص ٨١ .

١٢ - بيرلمان ، بن جوريون ينظر الى الماضي ، ص ٢٤٦

١٣ - برقية لهارتس في ٢٢ يوليوه ١٩٧٣ وردت في نشرة فيوبوينت (يوليو ١٩٧٣).

١٤ - باتريك مارنهام ، « هل اسرائيل عنصرية » ، سبكتاتور (٦ مارس ١٩٧٦) .

١٥ - اسرائيل وفلسطين (مارس ١٩٧٥) .

١٦ - يديعوت احرونوت (ديسمبر ١٩٧٤) وردت في اسرائيل وفلسطين ٦ مارس ١٩٧٥ .

١٧ - انظر بعد الحرب : فصول في التأمل والقواعد والبحث « كتيب نشرته قيادة حاخامية الجيش الاسرائيلي وقد نشر نبأ صدور الكتيب وبعض محتوياته في الصحف الاسرائيلية . انظر على سبيل المثال هاعولام هازيه (١٥ مايو ١٩٧٤) (وردت هذه المعلومات في فري بالستاين ، سبتمبر ١٩٧٤) وانظر ايضا عال هاميشمار (٢٨ مارس ١٩٧٥) (وردت هذه المعلومات في سواسيا ، ٦ يونيه ١٩٧٤) ، وردت الفقرة كاملة التي اقتبسنا منها في نشرة فيوبوينت (يوليه ١٩٧٤) .

١٨ - الفكرة الصهيونية ص ٣٣٠

١٩ - المصدر السابق،ص ٢٠٥

٢٠ - المصدر السابق ، ٢٥ .

٢١ - روبين،اليهود اليوم ، ص ٢١١

٢٢ - الفكرة الصهيونية ص ٢١١

٢٣ - المصدر السابق،ص ٢٣٠ .

٢٤ - وايزمان ، المحاولة والخطأ ص ٣٤٦ .

٢٥ - نشرة بريف (يناير - فبراير ١٩٦٥)

٢٦ - المصدر السابق،سبتمبر ١٩٥٩) .

٢٧ - سيتورات،تيودور هرتزل ص ٢٤٧

٢٨ - اليوميات الجزء الاول ، ص ١٩٦ .

٢٩ - المصدر السابق ، ص ١١١

٣٠ - المصدر السابق ص ٧

٣١ - الفكرة الصهيونية،ص ١١٢

٣٢ ـ المصدر السابق .
٣٣ ـ المصدر السابق،ص ٣٣
٣٤ ـ المصدر السابق،ص ٣٤٦
٣٥ ـ المصدر السابق،ص ٨٣ .
٣٦ ـ المصدر السابق،ص ٨٤ .
٣٧ ـ كروسمان،امة تولد من جديد ص ٢١ ـ ٢٢ .
٣٨ ـ الفكرة الصهيونية،ص ٣٧٢
٣٩ ـ المصدر السابق،ص ١٦٢ .
٤٠ ـ ستيوارت ، تيودور هرتزل ، ١٧٨ .
٤١ ـ جاكوب برنارد اجوس ، معنى التاريخ اليهودي ، الجزء الثاني ، ص ٤٢٥ .
٤٢ ـ اليوميات ، الجزء الاول ص ١٧١ .
٤٣ ـ المصدر السابق ، ص ١٨١ .
٤٤ ـ المصدر السابق،ص ١٨٢ .
٤٥ ـ حزقيال كوفمان « دمار الروح » في سلزر اعادة النظر في الصهيونية ص ١٢١ .
٤٦ ـ الفكرة الصهيونية،ص ٢٠٠
٤٧ ـ المصدر السابق،ص ١٩٦ .
٤٨ ـ المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
٤٩ ـ المصدر السابق،ص ٢٥٩ .
٥٠ ـ المصدر السابق ، ص ٢٦٢
٥١ ـ المصدر السابق ، ص ٢٦١
٥٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٩٧ .
٥٣ ـ المصدر السابق ، ص ٢٠٨
٥٤ ـ كوفمان « دمار الروح » في سلزر ، اعادة النظر في الصهيونية ص ١٢١ ، هامش ٧ .
٥٥ ـ اليوميات الجزء الاول ص ٨٤ .
٥٦ ـ المصدر السابق ، ص ٣٤ .
٥٧ ـ اجوس ، معنى التاريخ اليهودي ، الجزء الثاني ص ٤٢٥ .
٥٨ ـ مايكل سلزر « يهودية الصهيونية » مجلة اشوز (يونيه ١٩٦٨) . ص ١٢ ـ ٢٢ .
٥٩ ـ شتاين،وعد بلفور ص ١٠ .
٦٠ ـ ستيورات،تيودورهرتزل ، ص ٣٠٤

٦١ - وايزمان،المحاولة والخطأ ، ١٥١ .
٦٢ - ا شتاين،وعد بلفور،ص ١٤٣ .
٦٣ - المصدر السابق ، ص ١٤٩ .
٦٤ - المصدر السابق ، ص ٧٩ .
٦٥ - سوكولوف ، تاريخ الصهيونية ، الجزء الاول ص ١ .
٦٦ - شتاين،وعد بلفور ص ١٥٤ .
٦٧ - سوكولوف ، تاريخ الصهيونية ، الجزء الاول « المقدمة » ص ١٧٠ .
٦٨ - الفكرة الصهيونية،ص ٢٨٠
٦٩ - بن عيزر ، قلق في صهيون ، ص ٧٢ .
٧٠ - الموسوعة الصهيونية المجلد السابع ، « موسى هيس »
٧١ - ستيوارت،نيو دور هرتزل ، ص ١٧٨ .
٧٢ - اليوميات الجزء الاول ص ١١
٧٣ - الفكرة الصهيونية ص ٢٠٥ .
٧٤ - روبين اليهود اليوم ص ٢٣١ هامش ١ .
٧٥ - المصدر السابق ص ٢٢٧ - ٢٢٨ سميث الصهيونية . الحلم والواقع ص ٥٠ .
٧٦ - بشير ، ادوين مونتاجو ووعد بلفور ص ٢٠ .
٧٧ - لويس برانديز ، مجموعة كلمات وبيانات لويس برانديز ص ١٤ - ١٥ .
٧٨ - شتاين ، وعد بلفور ص ٥٤٧
٧٩ - الموسوعة البريطانية الجديدة الماكروبيديا المجلد الخامس عشر ، « العنصرية .
٨٠ - سيمحا كنج ، ناحوم سوكولوف : خادم شعبه ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .
٨١ - المصدر السابق ص ١٧٧ .
٨٢ - ستيورات تيودورهرتزل ص ٢١٠ .
٨٣ - هومرجاك ، « هل الصهيونية حركة عنصرية » ؟ المناظرة التي جرت في هيئة الامم عام ١٩٧٥ ، منشورات بحوث مجلس الكنائس العالمي .
٨٤ - اليوميات ، الجزء الاول ص ٢٣١ .
٨٥ - روبين ، اليهود اليوم ، ص ٢١٧
٨٦ - ورد في ل . همفري فالتز « صهيونية عنصرية ؟ ماذا تعني ؟.نشرة ذي لنك (شتاء ١٩٧٥ - ١٩٧٦ .
٨٧ - ريتشاردكورن « مشروع اشكول الرسمي حول اسرائيل والشتات مجلة ايشوز (شتاء

١٩٦٥ - ١٩٦٦) .
٨٨ ـ السيد يسين ، الشخصية العربية (بين المفهوم العربي والمفهوم الاسرائيلي) ، ص ١٧٥ .
٨٩ ـ كالن الطوباويون يدافعون عن انفسهم بضراوة ، ص ١٢١ - ١٢٢
٩٠ ـ يوهانان بيريس ، « العلاقات الاثنية في اسرائيل » امريكان جورنال اوف سوسيولوجي مجلد ٧٦ (مايو ١٩٧١)، ص ١٠٤١ .
٩١ ـ اليوميات الجزء الرابع ، ص ١٤٤٩ .
٩٢ ـ كالن،الطوباويون يدافعون عن انفسهم بضراوة.ص ١٢١ - ١٢٢ .
٩٣ ـ اليوميات الجزء الثاني ص ٧٠٢ .
٩٤ ـ المسيري ، اليهودية والصهيونية واسرائيل ، الفصل الحادي عشر ١٧٣ - ٢٠٠ .
٩٥ ـ اسرائيل شاهاك ، « الاحصائيات الاسرائيلية » ، اسرائيل وفلسطين (سبتمبر اكتوبر ١٩٧٥) .
٩٦ ـ ايلون الاسرائيليون ، ص ١٧٢
٩٧ ـ لاكير تاريخ الصهيونية ، ص ٢١٦ .
٩٨ ـ بن عيزر،قلق في صهيون ، ص ١٨٣ .
٩٩ المصدر السابق ص ٢٤٥
١٠٠ ـ المصدر السابق ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .
١٠١ المصدر السابق ، ص ٥٤
١٠٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٨٣ .
١٠٣ ـ ايلون ، الاسرائيليون ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .
١٠٤ ـ بن عيزر،قلق في صهيون ، ص ٢٠٣ .

« الفصل التاسع »

١ ـ آجوس ، معنى التاريخ اليهودي الجزء الثاني ص ٤٦٨
٢ ـ ابراهيم العابد دليل المسألة الفلسطينية ص ٤٣ .
٣ ـ مقدمة كتاب الحكومة الاسرائيلية السنوي لعام ١٩٥٢ ورد في العابد ، ١٢٧ سؤالا وجوابا عن الصراع العربي الاسرائيلي .
٤ ـ المصدر السابق .

٥ - موسوعة الصهيونية واسرائيل المجلد الاول « اسرائيل والشتات »
٦ - ورد في نشرة بريف (ربيع - صيف ١٩٧٢) .
٧ - بن جوريون بعث اسرائيل ومصيرها ص ٤٨٩ .
٨ - و رد في ليلينتال ، الوجه الآخر للعملة ص ٧٥
٩ - « البقاء اليهودي » في كتاب الحكومة الاسرائيلية السنوي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ص٥٣ ، ورد في ليلينتال ؛ المصدر السابق ، ص ٧٩ .
١٠ - ورد في نشرة بريف (فبراير ١٩٦١)
١١ - نشرة بريف (يناير - وفبراير ١٩٦٠)
١٢ - تيندولكار ، المهاتما الجزء الرابع ، ص ٣١٢
١٣ - آجوس ، معنى التاريخ اليهودي الجزء الثاني ص ٣٩٧ .
١٤ - الفكرة الصهيونية ص ١٠٨ .
١٥ - باريوتشاي (اسم مستعار) ، « نسب للشتات » اسرائيل وفلسطين (ابريل ١٩٧٥) ص ٤ .
١٦ - ليلينتال الوجه الآخر للعملة ص ٤٧ .
١٧ - جاكوب أ. بينوتشوفسكي ، « النزعة الخيرية والسياسية » ورد في سميث ، الصهيونية - الحلم والواقع ص ١٥٥ .
١٨ - نشرة بريف (يناير - فبراير ١٩٦٠ .
١٩ - بن عيزر،قلق في صهيون ص ٥٦ .
٢٠ - الموسوعة اليهودية المجلد السادس ، « مصر » .
٢١ - المعلومات الواردة في هذا الجزء فيما عدا المشار اليها بخلاف ذلك ، مأخوذة في معظمها من : موسوعة الصهيونية واسرائيل ، الجزءالاول ، « الصهيونية والعراق » ، « الصهيونية في مصر » والجزء الثاني ، الصهيونية في شمال افريقيا .
٢٢ - الموسوعة اليهودية المجلد السادس « مصر ».
٢٣ - نشرة بريف (يناير - فبراير ١٩٦٢*) .
٢٤ - الموسوعة اليهودية المجلد السادس « مصر » .
٢٥ - المصدر السابق ، المجلد الحادي عشر ، « موسى مرزوق »
٢٦ - يوري افنيري،اسرائيل بدون صهاينة ص ١١٧ - ١١٨ .
٢٧ - الموسوعة اليهودية المجلد الحادي عشر « موسى مرزوق » .
٢٨ - ايمتاي بن يونا ، « ما الذي تفعله اسرائيل مع مواطنيها الفلسطينيين - رسالة من اسرائيل

الى يهود اليسار الامريكي « النشرة الاعلامية لمنظمة خريجي الجامعات الاميركية العرب ، العدد الثاني (سبتمبر ١٩٧٠) .
٢٩ ـ الموسوعة اليهودية المجلد الحادي عشر « موسى مرزوق »
٣٠ ـ كريستوفر سايكس ، ملتقى الطرق الى اسرائيل ، ص ٢٤٣ ـ ٢٢٤ .
٣١ ـ المصدر السابق .
٣٢ ـ الجار ديانز (يوليو ١٩٧٤) .
٣٣ ـ سايكس ملتقى الطرق الى اسرائيل ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .
٣٤ ـ ورد في ليلى سليم القاضي ، المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، ص ٥٥
٣٥ ـ الفريد ليلينتال ، ما ثمن اسرائيل ؟ ص ١٩٦ .
٣٦ ـ فوبيون باورز ، وحيد وبمفرده في امريكا مجلة النيويورك تايمز (٢٥ سبتمبر ١٩٧٦)
٣٧ ـ المصدر السابق .
٣٨ ـ كورن،خطة اشكول الرسمية اسرائيل والشتات ، مجلة ايشوز (شتاء ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
٣٩ ـ ا. ف. ستون ، « نحو معالجة جديدة للصراع العربي ـ الاسرائيلي » في سميث ! الصهيونية ـ الحلم الواقع ، ص ٢١١ .
٤٠ ـ انظر النيويورك تايمز (١٢ سبتمبر ١٩٧٦)
٤١ ـ واشنجتون يوست (٢٧ سبتمبر ١٩٧٦) .
٤٢ ـ ليلينتال،ما ثمن اسرائيل ؟ ص ٢٠٧
٤٣ ـ ا. ف ستون ، « نحو معالجة جديدة للصراع العربي الاسرائيلي » ، في سميث ، الصهيونية ـ الحلم والواقع ، في ٢١١ .
٤٤ ـ موسوعة الصهيونية واسرائيل ، الجزء الأول ، الصهيونية في العراق
. تفضل السيد السفير وسام الزهاوي بوزارة الخارجية في العراق ، بتزويدي بالمراجع والمقالات التي استفدت منها في هذا الجزء فله منا الشكر .
٤٥ ـ ورد في خطاب محمود طربوش لجريدة المانشستر جارديان (٢١ ديسمبر ١٩٧٦)
٤٦ ـ دوجلاس ل . جرين ، « من النفي البابلي الى رامات جان » ، اسرائيل دايجست (٣٠ اغسطس ١٩٤٤) .
٤٧ ـ الموسوعة اليهودية ، المجلد الثامن ، « العراق » .
٤٨ ـ مراسل خاص « كيف جاء يهود العراق الى اسرائيل » ميدل ايست انترناشيونال (يناير ١٩٧٣) .
٤٩ ـ موسوعة الصهيونية واسرائيل ، المجلد الاول ، « الصهيونية في العراق »

٥٠ ـ المصدر السابق .
٥١ ـ المصدر السابق .
٥٢ ـ ليلينتال،الوجه الآخر للعملة ، ص ٣٧ .
٥٣ ـ خطاب محمد طربوش للمانشستر جارديان (٢١ ديسمبر ١٩٧٦) ،
٥٤ ـ بارشاس هاباس محطمو البوابات ، ورد في ماريون دولفون ، قطع شطرنج في اللعبة الصهيونية « ميدل ايست انترناشيونال (نوفمبر ١٩٧٥) .
٥٥ ـ المربرجر ، من يعرف اكثر من هذا فليتكلم ص ٣٠ .
٥٦ ـ المصدر السابق ص٣١ .
٥٧ ـ منديس ، « الهجرة العراقية والحكومة الاسرائيلية » هآرتس ورد في القدسي ولوبل ، العالم العربي واسرائيل ص ٢٦ .
٥٨ ـ الموسوعة اليهودية المجلد الثامن ، « العراق » .
٥٩ ـ مراسل خاص ، كيف جاء يهود العراق الى اسرائيل ، ميدل ايست انترناشيونال (يناير ١٩٧٣) ص ١٩ .
٦٠ ـ ولفسون ، « قطع شطرنج في اللعبة الصهيونية » ميدل ايست انترناشيونال (نوفمبر ١٩٧٤)
٦١ ـ مراسل خاص « كيف جاء يهود العراق الى اسرائيل » .
٦٢ ـ برجر ، من يعرف اكثر من هذا فليتكلم ص ٣٣ .
٦٣ ـ مراسل خاص ، « كيف جاء يهود العراق الى اسرائيل .
٦٤ ـ ورد في المصدر السابق .
٦٥ ـ المصدر السابق .
٦٦ ـ المصدر السابق .
٦٧ ـ سلزر ، اضفاء الصبغة الآرية على الدولة اليهودية ، ص ٥٠ .
٦٨ ـ المصدر السابق ص ٦٦ .
٦٩ ـ المصدر السابق ص ٦٩ .
٧٠ ـ بن جوريون ، بعث اسرائيل ومصيرها ، ص ٤٨٩ .
٧١ ـ سلزر ، اضفاء الصبغة الآرية على الدولة اليهودية ص ٧٠ .
٧٢ ـ سيجال ، « تأملات في الدولة اليهودية » مجلة اشوز ، المجلد الخامس عشر (سبتمبر ١٩٧٢) .

٧٣ - ثيرد ورلدريبورتس المجلد الخامس العدد السابع (سبتمبر ١٩٧٤) .
٧٤ - سلزر اضفاء الصبغة الآرية على الدولة اليهودية ص ٦٥ .
٧٥ - المصدر السابق ، ص ٦٧ .
٧٦ - سبيرو الكيبوتز ص ١٠٨ - ١٠٩ .
٧٧ - ايلون ، الاسرائيليون ص ٣١٦ - ٣٠٧
٧٨ - اصل حركة الفهود السوداء الاسرائيلية وتطورها ، « مريب ريبورت ، رقم ٤٩ (يوليه ١٩٧٦) ص ٢٠ .
٧٩ - المصدر السابق .
٨٠ - سلزر ، اضفاء الصبغة الآرية على الدولة اليهودية ص ٧٥ - ٧٦ .
٨١ - المصدر السابق ص ٧٨ .
٨٢ - المصدر السابق ص ٥١ .
٨٣ - مريب ريبورت ، رقم ٤٩ - (يوليه ١٩٧٦)
٨٤ - لاكير ، تاريخ الصهيونية ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ .
٨٥ - شحخيان ، مقاتل ونبي ص ٢١٦ .
٨٦ - المصدر السابق ض ٢٦٧ .
٨٧ - حاييم كابلان ، مخطوطات الغراب ص ١١٠ .
٨٨ - آجوس ، معنى التاريخ اليهودي ، الجزء الثاني ص ٩٤ .
٨٩ - لاكير تاريخ الصهيونية ، ص ٦٤ .
٩٠ - الفكرة الصهيونية ص ٦٤ .
٩١ - المصدر السابق ص ٢١ .
٩٢ - المصدر السابق ص ٢٩ .
٩٣ - اجوس ، معنى التاريخ اليهودي ، الجزء الثاني ص ٤٢١ .
٩٤ - الموسوعة البريطانية ,المجلد العاشر ، الاشتراكية الوطنية .
٩٥ - محاكمة مجرمي الحرب الرئيسيين. امام المحكمة العسكرية الدولية نورمبرج الجزء الثاني عشر ص ٣١٥ .
٩٦ - اليوميات ، الجزء الثاني ، ص ٥٨١ .
٩٧ - فيوبوينت (مارس ١٩٧٤)
٩٨ - محاكمة مجرمي الحرب الرئيسيين, امام المحكمة العسكرية الدولية ، نورمبرج ، الجزء الثاني عشر ص ٣٤٦ .

٩٩ ـ اجوس ، معنى التاريخ اليهودي الجزء الثاني ، ص ٤٨٦ .
١٠٠ ـ موتافو « الرغبة الصهيونية والفعل النازي » مجلة اشوز ، المجلد العشرون (شتاء ١٨٦٦ ـ ١٩٦٧) ص ١٠ .
١٠١ ـ القدسي ولوبل ، العالم العربي واسرائيل ص ١٢٩ - ١٣٠ .
١٠٢ ـ الجارديانر (فبراير ١٩٧٥ .
١٠٣ ـ المصدر السابق .
١٠٤ ـ حنا أرنست.ايخمان في اورشليم ص ٥٩ .
١٠٥ ـ بوبر اسرائيل الاخرى ، ص ١٧١ .
١٠٦ أرنست، ايخمان في اورشليم ص ٤٢ .
١٠٧ ـ المصدر السابق ص ٤١ .
١٠٨ ـ المصدر السابق ص ٦٢
١٠٩ ـ المصدر السابق ص ٦٠ ـ ٦١ .
١١٠ ـ الموسوعة اليهودية المجلد السابع ، « الهعفراه » وموسوعة الصهيونية واسرائيل ، المجلد الاول « الهعفراه » .
١١١ ـ موسوعة الصهيونية واسرائيل المجلد الثاني « كاستنز وانظر ايضا كتاب بن هخت ، الخيانة .

الفصل العاشر

١) موسوعة الصهيونية واسرائيل ، المجلد الاول ، معاداة الصهيونية ، التأكيد ليس في الاصل .
٢) المصدر السابق .
٣) المصدر السابق .
٤) المصدر السابق .
٥) مينوهين ، انهيار اليهودية في عصرنا ، ص ٧٠ ـ ٧٨ .
٦) ا. ف. ستون في سميث ، الصهيونية ـ الحلم والواقع ، ص ٢١١ .
٧) موسوعة الصهيونية واسرائيل ، المجلد الاول ، نيرنباوم .
٨) بشيردوين مونتاجو ووعد بلفور ، ص ٧ ـ ١١ .
٩) مينوهين ، انهيار اليهودية في عصرنا ، ص ٦٣ .
١٠) هانزكوهين في سميث ، الصهيونية ـ الحلم والواقع ، ص ٣٢ .
١١) المصدر السابق ، ص ٣٦ .

١٢) مينوهين ، انهيار اليهودية في عصرنا ، ص ١١ .
١٣) مينوهين ، نقاد الصهيونية اليهود ، ص ٢
١٤) الفكرة الصهيونية ، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥ .
١٥) البرت اينشتاين ، من سنواتي الاخيرة ، ص ٢٦٣ .
١٦) كلارك ، اينشتاين ، ص ٣٨١ .
١٧) الفريد ليلينتال ، وهكذا يذهب الشرق الاوسط ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .
١٨) كلارك ، اينشتاين ، ص ٢٠٤ .
١٩) ليلينتال ، وهكذا يذهب الشرق الاوسط ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠
٢٠) سيشيال انترست ريبورت ، المجلد السابع (اكتوبر ١٩٧٦) .
٢١) الفكرة الصهيونية ، ص ١٦٤ .
٢٢) اجوس ، معنى التاريخ اليهودي ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٤ .
٢٣) بريف ، (ربيع ١٩٧٦) .
٢٤) ورد في «تنويعات شخصية على موضوعات شرق / اوسطية » ميدل ايست انترناشيونال (اكتوبر ١٩٧٥) ص ٢٤
٢٥) رسالة من مايك اشلي الى فيويوينت (مارس ١٩٧٤) .
٢٦) بريف (ربيع ١٩٧٦) .
٢٧) بيرلمان ، بن جوريون ينظر الى الماضي ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠ .
٢٨) كورن « مشروع اشكول الرسمي حول اسرائيل والشتات » مجلة ايشوز ، المجلد التاسع عشر (شتاء ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) ص ١٥ .
٢٩) الفكرة الصهيونية ، ص ١٠٩
٣٠) يينوتشوفكي « النزعة الخيرية والسياسية » في سميث ، الصهيونية ـ الحلم والواقع ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ .
٣١) كروسمان ، امة تولد من جديد ، ص ١٩ .
٣٢) عبد الوهاب المسيري ، الفردوس الارضي .
٣٣) الفكرة الصهيونية ، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .
٣٤) ورد في يواكيم برنز ، مأزق اليهودية المعاصر ، ص ١٤٥ .
٣٥) الواشنطن بوست (١٨ سبتمبر ١٩٧٤) .
٣٦) النيويورك تايمز مجازين (٢٦ سبتمبر ١٩٧٦) .
٣٧) الواشنطون بوست (١٨ سبتمبر ١٩٧٤) .
٣٨) ورد في النيويورك تايمز مجازين (٢٦ سبتمبر ١٩٧٦) .
٣٩) ورد في فيويوينت (مارس ١٩٧٤) .
٤٠) سلزر ، اضفاء الصبغة الآرية على الدولة اليهودية ، ص ١١١ .

٤١) بريف (فبراير ١٩٦١) .
٤٢) هوم نيوز (١٩ ديسمبر ١٩٧٦) .
٤٣) جويش فلوريديان (٥ مارس ١٩٧٦) وشيكاغو تريبيون (٢٨ فبراير ١٩٧٦) ورد في سيشيال انترست ريبورت ، المجلد الثالث ابريل ١٩٧٢ .
٤٤) تايم (١ نوفمبر ١٩٧٦) .
٤٥) فيليب روث ، شكوى بورتنوى ، ص ٢٥٦ .
٤٦) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .
٤٧) المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .
٤٨) اجوس ، معنى التاريخ اليهودي ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٧ .
٤٩) المصدر السابق ، ص ٤٨٣ .
٥٠) سلزر ، اضفاء الصبغة الآرية على الدولة اليهودية ، ص ١١٢ .
٥١) المصدر السابق ، ص ١١٤ .

« الفصل الحادي عشر »

١) اليوميات ، الجزء الاول ، ص ٨٨ - ٩٠ ، ١٩٨ .
٢) المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص ١٣٦٢ .
٣) ارسكين تشايلدرز « الرغبة الصامتة : من مواطنين الى لاجئين » في ابراهيم ابو لغد (محرر) ، تحول فلسطين ، ص ٦٧١ .
٤) ماخوفير « رد على سول شتيرن » ، اسراكا (٥ يناير ١٩٧٣) .
٥) شختمان ، « مقاتل ونبي » ص ٣٢٥ .
٦) جباره وتيري ، العالم العربي اليوم ، ص ١٧٠
٧) القدسي ولوبل ، العالم العربي واسرائيل ص ١١٩ .
٨) المصدر السابق ص ١٢٠ .
٩) ايلون ، الاسرائيليون ص ١٥١ .
١٠) اليوميات ، الجزء الاول ص ٢٨ .
١١) بن هيرمان ، في درابر ، الصهيونية واسرائيل والعرب ، ص ٣١ .
١٢) الفكرة الصهيونية ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .
١٣) موسوعة الصهيونية واسرائيل ، المجلد الاول « بيجين » .
١٤) لاكير ، تاريخ الصهيونية ، ص ٢١٩ .
١٥) موسوعة الصهيونية واسرائيل ، المجلد الأول ، « ارجون تزفاى ليومى (اتزيل)
١٦) شيختمان ، مقاتل ونبي ، ص ٢٣٤ .

١٧) ايلون ، الاسرائيليون ص ١٦١ .
١٨) تشايلد رز ، في أبو لغد ، تحول فلسطين ، ص ١٨٥ .
١٩) المصدر السابق ، ص ١٨٢ .
٢٠) ورد في العابد ، ١٧٢ سؤالا وجوابا ص ٧٢ .
٢١) ورد في العابد ، دليل المسألة الفلسطينية ص ٨٤ .
٢٢) تشايلدرز ، في ابو لغد ، تحول فلسطين ، ص ١٨٣ .
٢٣) المصدر السابق ص ١٨٢ ، الهامش رقم ٦٠
٢٤) ورد في العابد ، ١٢٧ سؤال وجواب ص ٧٢
٢٥) بن جوريون « صديقنا » في الخالدي ، من المأوى الى الغزو ص ٣٠١٤ .
٢٦) موسلى ، « اوردي وينجيت وموشيه ديان » ، ١٩٣١ ، المصدر السابق ص ٣٧٧ .
٢٧) المصدر السابق ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨ .
٢٨) المصدر السابق ، ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ .
٢٩) ورد في العابد ، ١٢٧ سؤال وجواب ص ٧٢
٣٠) تشايلدرز ، في ابو لغد ، تحول فلسطين ، ص ١٨٢ .
٣١) بيجين ، التمرد ص ١٦٢ .
٣٢) ديفيز وينز ، الحرب غير المقدسة ص ١٠٧ .
٣٣) موسوعة الصهيونية واسرائيل ، المجلد الاول « ارجون تزفاي ليومي اتزيل » .
٣٤) بولك ، خلفية المأساة ، ص ٢٩٢ .
٣٥) موسوعة الصهيونية واسرائيل ، المجلد الاول « ارجون تزفاى ليومي (اتبزيل) » .
٣٦) بيجين ، التمرد ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .
٣٧) العابد ، ١٢٧ سؤال وجواب ص ٦٥
٣٨) المصدر السابق .
٣٩) المصدر السابق .
٤٠) المصدر السابق ص ٦٥ ـ ٦٦ .
٤١) ورد في تشايلدرز ، في ابو لغد ، تحول فلسطين ، ص ١٩٤ .
٤٢) ورد في المصدر السابق ص ١٩٤ .
٤٣) المصدر السابق .
٤٤) مأخوفير. ، « رد على سول ستيرن » ، اسراكا (٥ يناير ١٩٧٣) .
٤٥) راكهان ، ظهور دستور اسرائيل ١٩٤٨ ـ ١٩٥١ ، ص ١٥٥ .
٤٦) مكسيم جيلان ، كيف فقدت اسرائيل روحها ، ص ١٧١ .
٤٧) موسوعة الصهيونية واسرائيل ، المجلد الاول .
٤٨) سامي هداوي ، الحصاد المر ، ص ١٩٩
٤٩) المصدر السابق .

٥٠) عدنان اماد (مؤلف ومحرر) ، العصبة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية (اوراق شاهاك) ص ٣٥ . سنكتفي بالاشارة لهذا المصدر على انه اوراق شاهاك .
٥١) نعوم تشوسكي ، سلام في الشرق الاوسط ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .
٥٢) اوراق شاهاك ص ٣٥ .
٥٣) اعيد نشره في قرى بالستاين (اكتوبر ١٩٧٥) .
٥٤) بيريز « العلاقات العرقية في اسرائيل » ، امريكان جورنال اوف سوسيولوجي ، المجلد ٢٧١ ، (مايو ١٩٧١) .
٥٥) اسرائيل شاهاك ، الطبيعة العنصرية للصهيونية ولدولة اسرائيل الصهيونية في البدائل الامريكية / اليهودية للصهيونية ، التقرير رقم ٢٥ ، (ديسمبر ١٩٧٣ / يناير ١٩٧٥) ص ٢٠ .
٥٦) بوبر ، اسرائيل الاخرى ، ص ١٣٤ .
٥٧) صبري جريس ، العرب في اسرائيل ، ص ٢١ ، الهامش ١ .
٥٨ ـ اوراق شاهاك ، ص ٣٢
٥٩ ـ ورد في هداوى ، اسرائيل والاقلية العربية ، ص ٨-٩ .
٦٠ ـ اوراق شاهاك ص ٣٢ .
٦١ ـ المصدر السابق ص ٢٢٣
٦٢ ـ جريس ، العرب في اسرائيل ص ٢٥
٦٣ ـ دون بيريتز ، اسرائيل والعرب الفلسطينيون ص ١٩٦ .
٦٤ ـ اوراق شاهاك ص ١٨
٦٥ ـ ورد في بوبر ، اسرائيل الاخرى ، ص ١٢٣ ـ ١٣٥ .
٦٦ ـ المصدر السابق ، ص ٦٤٠
٦٧ ـ ورد في العابد ، ١٢٧ سؤالا وجوابا ص ١٤٨ .
٦٨ ـ اوراق شاهاك ص ٧٢ التأكيد ليس في الاصل .
٦٩) جريس ، العرب في اسرائيل ص ٢٥
٧٠) العابد ، ١٢٧ سؤالا وجوابا ، ص ١٤٨ .
٧١) جون رودي ، « ديناميات الاغتراب عن الارض » في ابو لغد ، تحول فلسطين ص ١٣٤ .
٧٢) العابد ١٢٧ سؤال وجواب ص ١٥٨ ـ ١٦٠ .
٧٣) عاموس كوبيليوك ، « ارض قليلة لاناس كثيرين » مانشستر جارديان (٢٠ يونيو .
٧٤) العابد ، ١٢٧ سؤال وجواب ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .
٧٥) ورد في جريس ، العرب في اسرائيل ص ٤٥ ـ ٤٦ .
٧٦) المصدر السابق ص ٤٦ .
٧٧) كابيليوك ، « ارض قليلة لاناس كثيرين » ، سواسيا ، ٢ يوليو ١٩٧٦ .
٧٨) ورد في شاهاك « الطبيعة العنصرية للصهيونية » البدائل اليهودية الامريكية للصهيونية ،

التقرير رقم ٢٥ (ديسمبر ١٩٧٤ / يناير ١٩٧٥) ص ١٧ .
٧٩) تشايلدرز ، في ابو لغد ، تحول فلسطين ، ص ١٦٩ .
٨٠) ورد في العابد، ١٢٧ سؤالا وجوابا ص ١٢٥ .
٨١) ورد في شاهاك ، « الطبيعة العنصرية للصهيونية » البدائل اليهودية الامريكية للصهيونية ، التقرير رقم ٢٥ (ديسمبر ١٩٧٤ / يناير ١٩٧٥) ص ١٥ .
٨٢) المصدر السابق ص ١٨ ، التأكيد في الاصل .
٨٣) المصدر السابق ص ١٩ .
٨٤) المصدر السابق ص ١٨ .
٨٥) العابد ، ١٢٧ سؤالا وجوابا ، ص ٢٩ .
٨٦) ورد في اوراق شاهاك ص ٢٢٦ .
٨٧) المصدر السابق .
٨٨) ورد في شاهاك « الطبيعة العنصرية للصهيونية » البدائل اليهودية الامريكية للصهيونية ، التقرير رقم ٢٥ (ديسمبر ١٩٧٤ / يناير ١٩٧٥) ص ١٩ .
٨٩) مؤسسة ايسكو بفلسطين ، دراسة للسياسات اليهودية والعربية والبريطانية الجزء ٢ ، ص ٦٠٩ - ٦١٢ .
٩٠) وثيقة الامم المتحدة اي. سى. ان ، ٤/١٠١٦ / اضافة ١ ، ص ٢٠ - ١١ فبراير ١٩٧٠ .
٩١) اوراق شاهاك ص ٢٢ .
٩٢) المصدر السابق ص ٢٤ .
٩٣) المصدر السابق ، ص ١٣ .
٩٤) المصدر السابق ص ٥٠
٩٥) شالوميت الوني ، « التمييز ضد المستوطنات العربية » يديعوت احرونوت (١٠ اكتوبر ١٩٧٥) ، اعيد نشرها في سواسيا (١٤ نوفمبر ١٩٧٥) .
٩٦) شاهاك ، الطبيعة العنصرية للصهيونية ، البدائل اليهودية الامريكية للصهيونية ، التقرير رقم ٢٥ (ديسمبر ١٩٧٤ / يناير ١٩٧٥) ص ٢١ .
٩٧) الوني « التمييز ضد المستوطنات العربية » سواسيا ، ١٤ نوفمبر ١٩٧٥ .
٩٨) وينز ، الحرب غير المقدسة ، ص ٧٩ .
٩٩) نورتون مزفنسكى ، الطابع الصهيوني لدولة اسرائيل » في سميث ، الصهيونية - الحلم والواقع ص ٢٥٢ .
١٠٠) جريس ، العرب في اسرائيل ص ١٥٥ .
١٠١) اوراق شاهاك ص ٨٢
١٠٢) شاهاك ، « الاحصاءات الاسرائيلية » ، نشرة اسرائيل وفلسطين (سبتمبر / اكتوبر ١٩٧٥) ص ٦ .

١٠٣) ماخوفير « رد على سو ل شتيرن » اسراكا (٥ يسناير ١٩٧٣) ص ٢٨ .
١٠٤) من بيان صحفي اذاعة اسرائيل شاهاك ، نشر في فيويوينت (مايو ١٩٣) ص ١٧ - ١٨ .
١٠٥) مرجع في تاريخ دولة اسرائيل عنوانه استقلال اسرائيل ، اشير اليه في العابد ، ١٢٧ سؤالا وجوابا ص ١١٨ - ١١٩ .
١٠٦) هارتس (٩ سبتمبر ١٩٧٥) اعيد نشره في سواسيا (١٨ اكتوبر ١٩٧٤) .
١٠٧) شاهاك « الاحصاءات الاسرائيلية » اسرائيل وفلسطين (سبتمبر / اكتوبر ١٩٧٥ .
١٠٨) بيان نشرته صحف اسرائيلية عديدة ، ورد في المصدر السابق .
١٠٩) ورد في بوبر ، اسرائيل الاخرى ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .
١١٠) عال هاميشمار (٧ سبتمبر ١٩٧٦) . اعيد نشره في سواسيا (١٥ اكتوبر ١٩٧٦) الجزء الاول من المذكرة بتاريخ ١ مارس ١٩٧٦ .
١١١) اوراق شاهاك ، ص ٢٣٢ .
١١٢) اسرائيل وفلسطين (سبتمبر / اكتوبر ١٩٧٥) ص ٢
١١٣) كل المعلومات مأخوذة عن محمود درويش ، « كفر برعم واقريت » ، شئون فلسطينية ، (سبتمبر ١٩٧٢) .
١١٤) معاريف (٢ مايو ١٩٧٤) ، ورد في فيوبوينت (يوليو ١٩٧٤) ص ٥
١١٥) اميل توما ، جذور القضية الفلسطينية ، ص ٩٢ - ٩٣ .
١١٦) بولك ، خلفية المأساة ، ص ٥١ - ٥٢ .
١١٧) هـ. د. سميدت « الحزب النازي في فلسطين والشام ، ١٩٣٢ - ١٩٣٩ » ، انترناشيونال افيرز ، مجلد ٢٨ (اكتوبر ١٩٥٢) .
١١٨) لاكير ، تاريخ الصهيونية ، ص ٢٢١ .
١١٩) توما ، جذور القضية الفلسطينية ، ص ٩٢ .
١٢٠) عبد القادر ياسين ، « نشأة وتطور المقاومة الفلسطينية للاستيطان الصهيوني » في « الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ١٨٨٢ - ١٩٤٨ ، اشراف سيد يسين وعلى الدين هلال ، الجزء الاول ، ص ٣٧١ .
١٢١) العابد ، ١٢٧ سؤالا وجوابا ، ص ٤٧ .
١٢٢) ياسين في ياسين وهلال ، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين الجزء الاول ، ص ٣٧٢ .
١٢٣) المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .
١٢٤) لاكير ، تاريخ الصهيونية ، ص ٢٢٠ .
١٢٥) ياسين ، في يسين وهلال ، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، ص ٣٨٠ .
١٢٦) المصدر السابق ، ص ٣٨٤ .
١٢٧) انظر عادل حسن غنيم ، الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ ، وانظر ايضا

تلزجونسون ، الاسلام ومضمون المعنى السياسي في القومية الفلسطينية .
١٢٨) ياسين ، في يسين وهلال ، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين الجزء الأول ، ص ٣٨٥ .
١٢٩) المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

« الفصل الثاني عشر »

١) ورد في فيوبوينت (مارس ١٩٧٤)
٢) بن عيزر ، قلق في صهيون ، ص ٣٢٧
٣) المصدر السابق ، ص ٣٢١ - ٣٢٢
٤) المصدر السابق ، ص ١٥٥
٥) ورد في بريف (ربيع / صيف ١٩٧٥)
٦) الجارديان ، ١٤ مايو ١٩٧٦
٧) بن عيزر ، قلق في صهيون ، ص ٣١٣ - ٣١٤
٨) ورد في العابد ، دليل المسألة الفلسطينية ، ص ٤٦
٩) بوبر ، اسرائيل الاخرى ، ص ١٠٩
١٠) تقرير شينوى ، ورد في النيويورك تايمز ، (٢١ يونيو ١٩٧٥)
١١) بوبر ، اسرائيل الاخرى ، ص ١٦٣ - ١٦٤
١٢) ايلون ، الاسرائيليون ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣
١٣) فيوبوينت (يوليو ١٩٧٤) ، ص ٣٢
١٤) المصدر السابق .
١٥) انترتشينج (يناير ١٩٧٦) ، ص ٥
١٦) ايلون ، الاسرائيليون ، ص ٢٣٠ - ٢٣١
١٧) بن عيزر ، قلق في صهيون ، ص ١٩٩
١٨) دافار (٢ مايو ١٩٥٦)
١٩) ورد في فيوبوينت (يوليو ١٩٧٣) ص ٢٣
٢٠) بن عيزر ، قلق في صهيون ، ص ٣٣٢
٢١) ايلون ، الاسرائيليون ، ص ٢٦١
٢٢) بن عيزر ، قلق في صهيون ، ص ١٣٣
٢٣) ايلون ، الاسرائيليون ، ص ٢٦٨ - ٢٧١ .
٢٤) المصدر السابق ، ص ١٧٩
٢٥) المصدر السابق ، ص ٨٠
٢٦) ديورانت ، قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، الجزء الثالث من المجلد الثالث ، خاصة الباب

الخامس والعشرين .

٢٧) الموسوعة اليهودية ، المجلد العاشر « يوسيفوس » .

« الملحق »

١ ـ الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية المجلد الثامن ، علم اجتماع المعرفة . ، دلويس كوزر ، كبار مفكري علم الاجتماع ، والدكتور محمد محمود الجوهري وآخرون ، ميادين علم الاجتماع .
٢ ـ عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، « علم اجتماع المعرفة » .
٣ ـ الطاهر لبيب ، سوسيولوجية الثقافة ، ص ٣٥ .
٤ ـ معجم فونتانا للفكر الحديث ، « علم اجتماع المعرفة »
٥ ـ بيتر برجر وتوماس لكمان ، التكوين الاجتماعي للواقع ، ص ١ ـ ١٩ .
٦ ـ الزورث فورمان ، علم اجتماع المعرفة في الولايات المتحدة ١٨٨٣ ـ ١٩١٥ . ص ١٨ ـ ١٠ .
٧ ـ معجم فونتانا للفكر الحديث ، « علم اجتماع المعرفة » .
٨ ـ عبدالله العروي ، مفهوم الايديولوجيات (الأدلوجة) ص ١٢٧ .
٩ ـ هاري جونسون ، علم الاجتماع : مقدمة منهجية ، ص ٦٣٩ .
١٠ ـ ورنر ستارك ، علم اجتماع المعرفة:مقال للمساعدة في فهم اعمق لتاريخ الافكار ، ص ٩٩ ـ ١٥٢ .
١١ ـ عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع « الايديولوجية » التأكيد ليس في الاصل ،
١٢ ـ العروي ، مفهوم الايديولوجيا (الادلوجة) ، ص ٩ ـ ١٤ .
١٣ ـ كليفورد جيرتز ، تفسير الحضارة ، ص ٢١٨ .
١٤ ـ معجم تاريخ الافكار ، المجلد الثاني « الايديولوجية » .

ثبت المراجع

يضم هذا الثبت كل المراجع ، سواء العربية او الانجليزية ، التي اعتمد عليها الكاتب ، وقد رتبت ترتيبا ابجديا حسب الاسم الاخير للمؤلف ، فكتاب بديعة امين المشكلة اليهودية مدرج تحت « امين » وكتاب يوري افنيري ، اسرائيل دون صهاينة مدرج تحت « افنيري » وفي حالة الكتب التي صدرت بالانجليزية اكتفينا بترجمة اسم المؤلف والعنوان الاساسي للكتاب ، يليها مباشرة وباللغة الانجليزية ، اسم المؤلف والعنوان الاساسي والفرعي ، ان وجد ، وحقائق

النشر كاملة وفي حالة المعاجم والمجلات التي لا يرد اسم مؤلفها في الثبت فقد رتبت ابجديا حسب الكلمة الاولى من العنوان . فمعجم تاريخ الافكار يرد في حرف « الميم » ومجلة تايم في حرف «التاء» وقد قسم الثبت الى ثلاث اقسام :١-الكتب ، ٢ ـ الوثائق والموسوعات ، ، ٣ ـ المجلات والصحف والدوريات .

اولا الكتب

آجوس ، جاكوب برنارد . معنى التاريخ اليهودي . (جزءان) .

Agus, Jacob Bernard. The Meaning of Jewish History (2 Vols.). London: Abelard—Schuman, 1963

ابشتاين ، ازيدور . اليهودية .

Epstein,Isidore. Judaism: A Historical Presentation. Baltimore, Maryland: Penguin Books. 1966.

ابو لغد ، ابراهيم ، وأبو لبن ، بهاء . النظم الاستيطانية في افريقيا والعالم العربي .

Abu — Lughod Ibrahim, and Abu — Laban Bahaa (Eds.) Settler Regimes in Africa and the Arab World: The Ilusion of Endurance. Wilmette, III.: Medina University Press, 1974.

أرنت ، حنا . أيخمان في أورشليم .

Arendt, Hannah. Eichmann in Jerusalem: A Report on the Banality of Evil. New York: The Viking Press, 1963.

أفنيري ، يوري . اسرائيل بدون صهاينة

Avnery, Uri.Israel Without Zionists: A Plea for Peace in the Middle East. New York: The Macmillan Company, 1970

أمين ، بديعة . المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٤ .

إيلون ، إيموس ، الاسرائيليون

Elon, Amos. The Israelis: Founders and Sons. New York: Holt, Rinehart, and Winston, 1971.

اينشتاين ، البرت ، من سنواتي الأخيرة .

Einstein, Albert. Out of My Later Years. New York: Philosophical Library, 1950.

باتاي ، رافائيل (محرر) . يوميات هرتزل ، (خمسة اجزاء) .

Patrai, Raphael (Ed.). The Complete Diaries of Theodore Herzl (5 Vols.). New York: Herzl Press and Thomas Yoseloff, 1960. Trans. Harry Zohn.

بار زوهار ، ميخائيل ، بن جوريون النبي المسلح .

Bar—Zohar, Michael. Ben Gurion. The Armed Prophet. Englewood Cliffs. N.J.: Prentice Hall, 1967. Trans. Len Ortzen.

برنز ، ادوارد ماكنل ، ورالف ، فيليب لي ، حضارات العالم . (جزءان) .

Burns, Edward Monall, and Ralph, Philip Lee. World Civilizations (2 Vols.). New York: W. W. Norton and Company Inc. 1969.

بارون ، سالو وكان ، آركاديوس ، وآخرون . تاريخ اليهود الأقتصادي .

Baron, Salo W., and Kahn. Arcadius et al. Economic History of the Jews. Ed. Nachum Gross. New York: Schocken Books, 1975.

برانديز ، لويس ، مجموعة كلمات وبيانات لويس برانديز .

Brandeis, Louis, A Collection of Addresses and Statements bu Louis Brandeis, With a foreward bu Mr. Justice Felix Frankfurter. Washington D.C.: Zionist Organization of America, 1942.

برجر ، المر ، النبوة والصهيونية ودولة اسرائيل .

Berger, Elmer. Prophecy, Zionism and the State of Israel. New York: American Jewish Alternative to Zionism (n. d.).

من يعرف اكثر من هذا فليتكلم .

Who Knows Better Must Say No: New York: The Bookmailer, 1955.

برجر ، بيتر ولكمان ، توماس . التكوين الاجتماعي للواقع .

Berger, Peter and Luckman, Thomas. The Social Construction of Reality: A Treatise in the Sociology of Knowledge. Garden City, New York: Doubleday, 1971.

برنز ، يواكيم ، مأزق اليهود المعاصر .

Prinz, Joachim. The Dilemma of the Modern Jew. Boston: Little, Brown. 1962 .

بشير ، تحسين ، ادوين مونتاجو ووعد بلفور .

Basheer. Tahseen (Ed.). Edwin Montagu and the Balfour Declaration. New York: Arab League Office (n.d.).

بن جوريون ، دافيد ، بعث اسرائيل ومصيرها .

Ben Gurion, David. Rebirth and Destiny of Israel. New York: Philosophical Library. 1954.

بن عيزر ، إيجود (محرر) . قلق في صهيون .

Ben Ezer Ehud (Ed.). Unease in Zion. New York: Quadrangle/The New York Times Book Co., 1974.

بن هخت ، الخيانة .

Ben Hecht. Perfidy. New York: Julian Messner, 1961.

بن هورين ، ماير ، ماكس نوردو ، فيلسوف التضامن الانساني .

Ben—Horin. Meir. Max Nordau: Philosopher of Human Solidarity. New York: Conference of Jewish Social Studies, 1956

بوبر ، اريه (محرر)) . إسرائيل الأخرى .

Bober. Arie (Ed.). The Other Israel: The Radical Case Against Zionism. Garden City, New York: Doubleday, 1972.

بولك ، وليام . خلفية المأساة .

Polk William, et al. Backdrop to Tragedy: The Struggle for Palestine. Boston: Beacon Press 1957.

بيجين ، مناحم ، الثورة .

Begim, Menachem.The Revolt, With a Foreward by Rabbimeir kohane. los Angeles: Nash P ublishing, 1972.

بيرلمان ، موشيه . بن جوريون ينظر الى الماضي :

Pearlman Moshe. Ben Gurion Looks Back in Talks with Moshe Pearlman New York: Simon and Schuster, 1965.

ترومان ، هاري . المذكرات ، (جزءان)

Truman. Harry S. Memoirs (2 vols.). Garden City. New York: Doubleday, 1955.

تشرمسكي ، نعوم . السلام في الشرق الاوسط

Chomsky, Naom. Peace in the Middle East? Reflection on Justice and Nationhood. New York: Vintage Books. 1969.

تندولكار ، د. ج. المهاتما : حياة موهانداس كرمشاند غاندي (ثمانية اجزاء)

Tendulkar, D.G. Mahatma: Life of Mohandas Karamchand Gandi (8 vols.). New Delhi: Patalla House. 1961.

توما ، اميل ، جذور القضية الفلسطينية بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث ، ١٩٦١ .

جبارة ، عابدين تيري ، جانيس . العالم العربي من القومية الى الثورة .

Jabara, Abdeen and Terry Janice (Eds.). The Arab World: From Nationatism to Revolution. Wilmette, Ill.: Medina University Press, 1971.

جبور ، جورج ، الاستعمار الاستيطاني في جنوب آفريقيا والشرق الاوسط .

Jabbour, George. Settler Colonialism in Southern Africa and the Middle East. Beirut: Liberation Lenter Palestine Research Cemter, 1970.

جرايزيل ، سولومون ، تاريخ اليهود من النفي البابلي الى الوقت الحاضر .

Grayzel, Solomon. A History of the jews from the Babylonian Exile to the Present 5728.—1968. New York: The New American Library, 1968.

جريس ، صبري ، تاريخ الصهيونية ، الجزء الاول ـ بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ١٩٧٧ .

جريس ، صبري . العرب في اسرائيل

Jiryis, Sabri. The Arabs in Israel. Beirut: The Institute for Palestine Studies, 1969.

جولدمان ، ناحوم ، سيرة ناحوم جولدمان الذاتية .

Goldmann, Nahum. The Autobiography of Nahum Goldmann: Sixty Years of Jewish Life. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1969. Trans. Helen Sabba.

جونسون ، نلز ـ الاسلام ومضمون المعنى السياسي في القومية الفلسطينية .

Johnson, Nels. Islam and the Politics of Meaning in Palestinian Nationalism. London: Kegan Paul International. 1982.

جونسون ، هاري . علم الاجتماع .

Johnson, Harry M. Sociology: A Systematic Introduction. New York: Harcourt, Brace, 1960.

الجوهري ، محمد محمود ، ميادين علم الاجتماع . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٠

جيرتز ، كليفورد : تفسير الحضارة : مقالات مختارة .

Geertz, Clifford. Interpretations of Culture: Selected Essaya. New York: Basic Books, 1973.

حمدان ، جمال . استراتيجية الاستعمار والتحرير ، القاهرة ٠ كتاب الهلال ـ دار الهلال ١٩٦٨ .

خالدي ، وليد ، من المأوى الى الغزو .

Khalidi, Walid. From Haven to Conquest. Beirut: Institute for Palestine Studies. 1971.

درابر ، هال (محرر) . الصهيونية واسرائيل والعرب .

Draper. Hal (Ed.). Zionism, Israel and the Arabs. Berkely, Californa: Independent Socialist Clippingbooks, 1967.

ديورانت ، ول . قصة الحضارة ترجمة محمد بدران ، القاهرة . : جامعة الدول العربية ، الطبعة الأولى من الاجزاء الخمسة عشر التي نشرت ما بين عام ١٩٥٧ وعام ١٩٦٤ .

راكمان ، امانويل ظهور دستور اسرائيل ، ١٩٤٨ ـ ١٩٥١ .

Rackman, Emmanuel. Israel's Emerging Constitution, 1948 u 1952. New York: Columbia University Press. 1955.

رزوق ، أسعد . اسرائيل الكبرى دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث ١٩٦٨ .

روبين ، آرثر . اليهود اليوم .

Ruppin, Arthur The Jews of Today. London: G. Bell and Sons, 1913. Trans. Margery Benwitch.

روث ، سيسل . تاريخ اليهود من اول العصور الى حرب الايام الستة .

Roth. Cecil. A History of the Jews from Earliest Times Through the Six Day War. New York: Schocken Book, 1970.

روث ، فيليب ، شكوى بورتنوي .

Roth, Philip. Portnoy's Complaint. New York: Random Vouse 1968.

روز ن . أ. الصهاينة الأخيار .

Rose, N.A. The Genile Zionists: A Study in Anglo—Zionist Diplomacy, 1929—1939. London: Frank Cass, 1973.

ساخار ، هوارد مورلي ، مسار التاريخ اليهودي الحديث .

Sachar, Howard Morley. The Course of Modern Jewish History. New York: Dell, 1958.

سايكس ، كريستوفر . ملتقى الطرق الى اسرائيل .

Sykes, Christopher. Cross Roads to Israel. Cleveland. The World Publishing Company. 1965.

سبيرو ، ميلفورد. أ. الكيبوتز

Spiro, E. Melford. Kibbutz: Venture in Utopia. Cambridge, Mass: Harvard University Press, 1956.

ستارك ، ورنر ، علم اجتماع المعرفة

Stark, Werner. The Sociology of Knowledge: An Essay in Aid of a Deeper Understanding of the History of Ideas. London: Routledge & Kegan Paul. 1979.

ستيوارت دزموند . ثيودور هرتزل .

Stewart, Desmond. Theodore Herzl. Garden City, N.Y.: Doubleday, 1974.

سلـــزر ، مايكل (محرر) . اعادة النظر في الصهيونية .

Selzer, Michael. (Ed.). Zionism Reconsidered: The Rejection of Jewish Normalcy New York: The Macmillan Company, 1970.

سلزر ، مايكل . اضفاء الصبغة الآرية على الدولة الصهيونية

Selzre, Michael. The Aryanization of the Jewish State. New York: Blacksta, 1968.

سميث ، جاري (محرر) . الصهيونية ـ الحلم والواقع ,

Smith, Gary U. (Ed.). Zionism — The Dream and Reality: A Jewish Critique. New York: Barnes and Noble, 1974.

سوكولوف ، ناحوم . تاريخ الصهيونية (جزءان) .

Sokolov, Nahum. History of Zionism, 1600 — 1918 (2 vols.). New York: KTAV Publishing House, 1964.

شتاين ، ليونارد ، وعد بلفور .

Stein, Leonard. The Balfour Declaration. London: Vallentine, Mitchell, 1961.

شختمان ، جوزيف ب. مقاتل ونبي : قصة فلاديمير جابوتنســكى ـ السنوات الأخيرة .

Schechtman, Joseph B. Fighter and Prophet: The Vladimir Jabotinsky Story — The Last

Years. New York: Thomas Yoseloff 1961.

شفايتزر ، فردريك ، تاريخ اليهود منذ القرن الاول الميلادي .
Schweitzer, Fredrick M. A History of The Jews Since the First Century A.D. New York: Macmillan, 1971.

شلوينز ، كارل ، الطريق الملتوي الى اشويتز .

Schleunes, Karl. A. The Twisted Road to Auschwitz: Nazi Policy Toward German Jews 1933 — 1939. Urbana, Ill: University of Illinois Press. 1970.

العابد ، ابراهيم . دليل المسألة الفلسطينية .
Al— Abid Ibrahim. A Handbook to the Palestine Question: Questions and Answers. Beirut: Palestine Liberation Organization Research Center, 1969.

العابد ، ابراهيم ، ١٢٧ سؤالا وجوابا عن الصراع العربي الاسرائيلي .

Al — Abid, Ibrahim. 127 Questions And Answers on the Arab — Israeli conflict.

العابد ، لطفي ، العنف والسلام في اسرائيل ، دراسة في الاستراتيجية الصهيونية ، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٦٧ .

العابد ، لطفي وعنتر ، موسى (ترجمة) ، اشراف انيس صايغ ، تعريف الدكتور اسعد مرزوق . الفكرة الصهيونية النصوص الاساسية بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٧٠ .

العروى ، عبدالله ، مفهوم الايديولوجيا (الأد لوجة) . بيروت : دار الفارابي ١٩٨٠ .

العظم ، صادق جلال . الصهيونية والصراع الطبقي . بيروت : دار العودة ، ١٩٧٥ .

غنيم ، عادل حسين : الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .

غيث ، عاطف ، قاموس علم الاجتماع ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٩ .

الفاروقي ، اسماعيل راجي ، اصول الصهيونية في الدين اليهودي ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٣/ ١٩٦٤ .

الملل المعاصره في الدين اليهودي . القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ .

فورمان ، الزوث . علم اجتماع المعرفة في الولايات المتحدة ١٨٨٣ـ ١٩١٥ .

Fukrman, Ellsworth R. The Sociology of Knowledge in America 1883—1915. Charlottesville, Virginia: University Press of Virginia, 1980

القاضي ، ليلى سليم ، المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، ماتسبن بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٧١ .

القدسي، احمد ولوبل ، إلى العالم العربي واسرائيل

El—Kadsi, Ahmed, and Lobel, Eli. The Arab World and Israel New York: Monthly Review Press, 1970.

كابلان ، حاييم ، مخطوطات الغراب .

Kaplan, Chaim A. The Scrolls of Agnoy: The Warsaw Diary of Chaim A. Kaplan. New York: The Macmillan Company, 1965.

كالن ، هوراس ماير، الطوباويون يدافعون عن انفسهم بضراوة .

Kallen, Horace M. Utopians at Bay. New York: Theodore Herzl Foundation, 1958.

كاوتسكي كارل ، هل يشكل اليهود جنسا ؟

Kautsky, Karl. Are the Jews a Race ? New York: International Publishers, 1926. (Translated from the Second German edition).

كروسمان ، ريتشارد أمة تبعث من جديد :

Crossman, Richard. A Nation Reborn: The Israel of Weizman, Bevin and Ben Gurion. London: Hamish Hamilton, 1969.

كلارك ، رونالد و. اينشتاين .

Clark, Ronald W. Einstein: The Life and Times. New York: The World Publishing Company, 1971.

كنج ، سيمحا ، ناحوم سوكولوف . خادم شعبه .

King, Simcha. Nachum Sokolow: Servant of His People. New York: Herzl Press, 1960.

كوزر ، لويس. أ. كبار مفكري علم الاجتماع .

Coser, Lewis A. Masters of Sociological Thought: Ideas in Historical and Social Context. New York: Harcourt Brace, 1971.

لاكير ، والتر ، تاريخ الصهيونية .

Laquer, Walter. A History of Zionism. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1972.

لبيب ، الطاهر . سوسيولوجيه الثقافة . القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٨ .

لفين جوردون (محرر) . الحركة الصهيونية في فلسطين والسياسة العالمية .

Levin, Gordon (Ed.). The Zionist Movement in Palestine and World Politics, 1880 — 1918. Lexington, Mass Heath. 1974.

لونتال ، مارتن (محرر ومترجم) يوميات هرتزل .

Loventhal', Martin (Ed. and Trans.). Diaries of Theodore Herzl. New York: Gerasset and Dunlop, 1962.

ليلينتال ، الفريد . ما ثمن اسرائيل ؟

Lilienthal, Alfred. What Price is Israel ? Chicago: Henry Regnery, 1953.

الوجه الآخر للعملة .

The Other Side of the Coin: An American Perspective of The Arab — Israeli Conflict. New York: Devin — Adair, 1957

وهكذا يذهب الشرق الاوسط .

There Goes the Middle East. New York: Devin — Adair, 1965.

ليون ، ابراهام ، الماركسية والمسألة اليهودية ، ترجمة وتقديم عماد نويهض ، بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٩ .

مارموشتاين ، اميل ، سماء مكبلة .

Marmorstein, Emile. Heaven at Bay: The Jewish Kulturkampt in the Holy Land. London: Oxforf University Press. 1969.

ماهلر ، رفائيل ، تاريخ اليهود في العصر الحديث ١٧٨٠ ـ ١٨١٥ .

Mohler, .Raphael . A History of Modern Jewry 1780 — 1815. London: Vallentine, Mitchell, 1971.

المسيري ، عبدالوهاب ، ارض الوعد .

Elmessiri, Abdelwahab. The Land of Promise: A Critique of Political Zionism. New Brunswick, N.J.: North American, 1977.

الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي . القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥

موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، رؤية نقدية القاهرة : مركز الدراسات السياسية

والاستراتيجية ، الاهرام ، ١٩٧٥

نهاية التاريخ ، دراسة في بنية الفكر الصهيوني ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٩ .

الفردوس الأرضي : دراسات وانطباعات عن الحضارة الاميركية الحديثة ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٩ .

اليهودية والصهيونية واسرائيل : دراسات في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٥ .

مينوهين ، موشيه ، انهيار اليهودية في عصرنا .

Menuhin, Moshe. The Decadence of Judaism in our Time. Beirut: Institute for Palestine Studies, *1969*.

مينوهين ، موشيه . نقاد الصهيونية اليهود .

Menuhin, Moshe. Jewish Critics of Zionism: A Testament Essay with The Strifling and Smearing of a Dissenter. New York: Arab Information Center (n.d.)

نوردو ، ماكس . ماكس نوردو يتحدث الى شعبه .

Nordau, Max. Max Nordau to His People: A Summons and a Challenge. New York: ; Scopus Publishing Society, 1941.

هالفرسون ، مارفن ، مرشد الى اللاهوت المسيحي .

Halverson, Marvin. A Handbook of Christian Theology. New York: Merridian Books, 1960.

هداوي ، سامي ، فلسطين في الأمم المتحدة .

Hadawi, Sami. Palestine in the United Nations. New York: Arab Information Center, 1964.

هرتزربرج ، ارثر ، الفكرة الصهيونية : تحليل تاريخي ومختارات .

Hertzburg, Arthur (Ed.). The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader.

حركة التنوير الفرنسية واليهود .

The French Enlightenment and the Jews. New York: Columbia University Press, 1968.

هلسه ، تهاني : بن جوريون ، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ١٩٦٥ .

ويرث ، و.ل. الجيتو .

Wirth, W.L. The Ghetto. New York: 1928 reprinted 1958.

وايزمان ، حاييم . المحاولة والخطأ .

Weizmann, Chaim Trial and Error: The Autobiography of Chaim Weizmann. New York: Harper, 1949.

يسين ، السيد وهلال ، علي . الإستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين (١٨٨٢ - ١٩٤٨) الجزء الاول القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥ يسين ، السيد . الشخصية العربية (بين المفهوم العربي والمفهوم الاسرائيلي) ، القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٤ .

ثانيا : وثائق وموسوعات

كتاب هرتل السنوي

Herzl Year Book

محاكمة مجرمي الحرب الرئيسيين امام المحكمة العسكرية الدولية : نورمبرج ؛ ١٤ نوفمبر ١٩٤٥ - ١١ اكتوبر ١٩٤٦ .

Trial of the Major War Criminals Before The International Military Tribunal: Nuremberg, 14 Novenber 1945— 1 October 1946. (Nuvemberg, Germny, 1947) Vol XI (Official text in the English Language, Proceedings April 8, 1946, April 17, 1946).

معجم تاريخ الافكار

Philip Wiener (ed.). Dictionary of the History of Ideas: Studies of Selected Pivotal Ideas (New York: Charles Scribner's , 1973).

معجم فونتانا للفكر الحديث ،

Bullock Alan, & Stallybrass, Oliver (eds.). The Fontana Dictionary of Modern Thought London: Fontana 1977.

الموسوعة الامريكية (٢٤ جزءا)

Encyclopedia Americanaı, (24 Vols). New York Americana Corporation, 1961.

الموسوعة البريطانية (٢٣ جزءا)

Encyclopedia Britannica (23 Vols.). Chicago: Encyclopedia Britannaica 1968.

الموسوسعة البريطانية الجديدة (١٩ جزءا) .

New Encyclopedia Britannica (19 Vols.). Chicago: Encyclopedia Britannica, 1974.

الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية

International Encyclopedia of the Social Sciences

موسوعة الصهيونية واسرائيل (جزءان)

Encyclopedia of Zionism and ISRAEL (2 Vold.).

الموسوعة اليهودية (٧ اجزاء)

Encyclopedia Judaica (17 Vols.). Cecil Roth (Ed.). New York: The Macmillan Company, 1971.

وثائق مختلفة اصدرتها هيئة الامم ومجلس الكنائس العالمي الخ .

ثالثا:مجلات وصحف ودوريات

إزراكا .

Israca.

إسرائيل دايجست .

Israel Digest.

اسرائيل وفلسطين .

ISRAEL and Palestine

امريكان جورنال أوف سوسيولوجي .

American Journal of Sociology.

انترتشينج .

Inter Change.

انترناشيونال افيرز .

Internattional Affairs.

ايشوز ،

Issues.

بريف .

Brief.

تايم .

Time.

الثقافة الوطنية .

ثيرد ورلد ريبورت ،

Third World Report.

ذي جارديانز ،

The Guardians

ذي لنك .

The Link.

جويش جارديان .

Jewish Guardian.

جويش سوشيال ستديز .

Jewish Social Studies.

سبشال انترست ريبورت .

Soecial Interest Report.

سبكتاتور .

Spectator.

سواسيا .

Swasia.

شئون فلسطينية

فرى بالستاين .

Free Palestine.

فيوبوينت .

Viewpiont.

المانشستر جارديان

Manchester Guardian.

مريب ريبورت .

Merip Report.

ميدل ايست انترناشيونال .

Middele East International.

النشرة الاعلامية لمنظمة خريجي الجامعات الاميركية العرب .

AAUG News Bulletin.

النيويورك تايمز .

New York Times.

النيويورك تايمز ماجازين .

New York Times Magazine.

هوم نيوز .

Home News (New Brunswick, N.J.).

واشنجتون بوست .

Washington Post.

☆ ☆ ☆

المحتوى

صدر في هذه السلسلة

١٩ ـ المخرج في المسرح المعاصر — تأليف: سعد أردش
٢٠ ـ التفكير المستقيم والتفكير الأعوج — تأليف: حسن سعيد الكرمي
مراجعة: صدقي حطاب
٢١ ـ مشكلة انتاج الغذاء في الوطن العربي — تأليف: د. محمد علي الفرا
٢٢ ـ البيئة ومشكلاتها — تأليف: رشيد الحمد ـ محمد سعيد صباريني
٢٣ ـ الرق — تأليف: د. عبدالسلام الترمانيني
٢٤ ـ الابداع في الفن والعلم — تأليف: د. حسن أحمد عيسى
٢٥ ـ المسرح في الوطن العربي — تأليف: د. علي الراعي
٢٦ ـ مصر وفلسطين — تأليف: د. عواطف عبدالرحمن
٢٧ ـ العلاج النفسي الحديث — تأليف: د. عبدالستار ابراهيم
٢٨ ـ افريقيا في عصر التحول الاجتماعي — ترجمة: شوقي جلال
٢٩ ـ العرب والتحدي — تأليف: د. محمد عمارة
٣٠ ـ العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة — تأليف: د. عزت قرني
٣١ ـ الموشحات الأندلسية — تأليف: د. محمد زكريا عناني
٣٢ ـ تكنولوجيا السلوك الانساني — ترجمة د. عبدالقادر يوسف
مراجعة: د. رجا الدريني
٣٣ ـ الانسان والثروات المعدنية — تأليف: د. محمد فتحي عوض الله
٣٤ ـ قضايا افريقية — تأليف: د. محمد عبدالغني سعودي
٣٥ ـ تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي ١٩٣٠ ـ ١٩٧٠ — تأليف: د. محمد جابر الأنصاري
٣٦ ـ الحب في التراث العربي — تأليف: د. محمد حسن عبدالله
٣٧ ـ المساجد — تأليف: د. حسين مؤنس
٣٨ ـ تكنولوجيا الطاقة البديلة — تأليف: سعود يوسف عياش
٣٩ ـ ارتقاء الانسان — ترجمة د. موفق شخاشيرو
مراجعة: زهير الكرمي، د. عبدالعظيم أنيس
٤٠ ـ الرواية الروسية في القرن التاسع عشر — تأليف: د. مكارم الغمري
٤١ ـ الشعر في السودان — تأليف: د. عبده بدوي
٤٢ ـ دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية — تأليف: د. علي خليفة الكواري
٤٣ ـ الاسلام في الصين — تأليف: فهمي هويدي

٤٤ ـ اتجاهات نظرية في علم الاجتماع	تأليف: د. عبدالباسط عبدالمعطي
٤٥ ـ حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي	تأليف: د. محمد رجب النجار
٤٦ ـ دعوة الى الموسيقا	تأليف: مايسترو يوسف السيسي
٤٧ ـ فكرة القانون	ترجمة: سليم الصويص مراجعة: سليم بسيسو
٤٨ ـ التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان	تأليف: د. عبدالمحسن صالح
٤٩ ـ صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي	تأليف: صلاح الدين حافظ
٥٠ ـ التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي	تأليف: د. محمد عبد السلام
٥١ ـ السينما في الوطن العربي	تأليف: جان الكسان
٥٢ ـ النفط والعلاقات الدولية	تأليف: د. محمد الرميحي
٥٣ ـ البدائية	تحرير: أشلي مونتاغيو ترجمة: د. محمد عصفور
٥٤ ـ الحشرات الناقلة للأمراض	تأليف: د. جليل أبوالحب
٥٥ ـ العالم بعد مائتي عام	تأليف: هيرمان كان وآخرين ترجمة: شوقي جلال
٥٦ ـ الإدمان	تأليف: د. عادل الدمرداش
٥٧ ـ البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية	تأليف د. أسامة عبد الرحمن
٥٨ ـ الوجودية	تأليف: جون ماكوري ترجمة: د. إمام عبد الفتاح
٥٩ ـ العرب أمام تحديات التكنولوجيا	تأليف د. انطونيوس كرم
٦٠ ـ الايديولوجية الصهيونية	تأليف د. عبد الوهاب المسيري

الاشتراك السنوي: وهو مقصور على الفئات التالية:

● المؤسسات والهيئات داخل الكويت	١٠ دنانير
● المؤسسات والهيئات في الوطن العربي	١٢ دينارا
● المؤسسات والهيئات خارج الوطن العربي	٨٠ دولاراً امريكياً
● الافراد خارج الوطن العربي	٤٠ دولاراً امريكياً

الاشتراكات:

ترسل باسم الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب ٢٣٩٩٦ الكويت ● برقياً ثقف ● تلكس ٤٤٥٥٤
TLX No. 44554 NCCAL

المؤلف في سطور

الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري

- حصل على الدكتوراه في الأدب المقارن من جامعة رتجرز بالولايات المتحدة.
- شغل وظيفة خبير (الصهيونية) بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- عمل مستشارا ثقافيا للوفد الدائم لجامعة الدول العربية بهيئة الأمم المتحدة بين عامي ١٩٧٥ — ١٩٧٩م
- يعمل الآن استاذا للأدب الانجليزي بجامعة عين شمس بالقاهرة.

من مؤلفاته:

١ — موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية.

٢ — اسرائيل وجنوب افريقيا؛ تطور العلاقة بينهما (بالانجليزية).

٣ — الشعر الرومانتيكي الانجليزي؛ النصوص الأساسية وبعض الدراسات التاريخية والنقدية.

حكمة الغرب

القسم الاول

تأليف: برتراند رسل

ترجمة: د. فؤاد زكريا

سعر النسخة :

* الكويت	٥٠٠ فلس
* السعودية	١٠ ريالات
* العراق	٦٠٠ فلس
* الاردن	٥٠٠ فلس
* سوريا	٦ ليرات
* لبنان	٥ ليرات
* ليبيا	٥٠٠ قرش
* المغرب	١٠ دراهم
* تونس	دينار واحد
* الجزائر	١٠ دنانير
* مصر	٥٠٠ مليم
* السودان	٥٠٠ مليم
* عمان	ريال واحد
* اليمن الجنوبية	٨٠٠ فلس
* اليمن الشمالية	٩ ريالات
* البحرين	٨٠٠ فلس
* قطر	١٠ ريالات
* الامارات العربية	١٠ دراهم

مطابع الرسالة - الكويت